إلى القارئ

في السياسة الثقافية بتونس

بقلم : البشير بن سلامة

كما كنا وعدنا القارىء الكريم في افتتاحية العدد السابق من هذه المجلة نعود الى الحديث عن المجلس الأعلى للثقافة نظرا الى أهمية الحدث وما أسفر عنه من مقررات هامة . وقد آثرنا لمزيد الفائدة نشر الخطاب الكامل الذى افتتح به يوم الجمعة 28 جانفي 1983 الاستاذ محمد مزالى الوزير الأول أعمال المجلس وكذلك التقرير العام المؤلف لتقارير اللجان الخمس .

إن التقرير العام بالاستناد الى أعمال اللجان الخمس هو زبدة عمل دام ما يقرب من عامين تضافرت فيه جهود كل من ينتمي الى الثقافة بسبب ، الثقافة ذات الأبعاد المتعددة والمستندة أساسا الى الصناعات الثقافية الخاضعة بدورها الى النواميس الاقتصادية والاجتماعية والحضارية .

فلقد كانت هذه المقررات حصيلة عمل اللجان الاستشارية الأولى (أوائل سنة 1981) واللجان الاستشارية القارة والمصالح الادارية وكلها جمعت الاطراف المعنية بالثقافة من ممثلين عن الوزارات والمؤسسات والمنظمات واتحادات القطاعات الثقافية وثلة من رؤساء الجمعيات والنوادى وجمع كبير من الشخصيات الثقافية ورجال القانون والاقتصاد من باحثين ودارسين واخصائيين.ولم تكن أعمال المجلس الأعلى للثقافة مبنية على مجرد خواطر وآراء مختلفة تجمع بينها روح الحوار البناء بل استندت الى دراسة علمية كمية

وتاليفية احتوت على سياسة ثقافية واضحة المعالم وخطة مضبوطة قابلة للتنفيذ .

ولا يمكن بحال من الاحوال أن يدعى مدع أنه ليس لتونس اليوم سياسة ثقافية متينة تتناول عناصر العمل الثقافى الأربعة من هيكل أساسى وتجهيز وتكوين وإنتاج وتعتمد غايات مضبوطة منها الكف عن تهميش الثقافة ورجالها (وهذا يقتضى التقنين والتنظيم وخضوع الهياكل الثقافية واطاراتها الى نصوص تشريعية واجراءات ترتيبية) واعتبار الميدان الثقافى يهم كل الوزارات وكل القطاعات الصناعية والفلاحية والاجتماعية والسياسية بدرجة أعم ، وادخال الثقافة فى الدورة الاقتصادية للبلاد (باعتبار أن الثقافة إنما تستند الى صناعات ثقافية يجب أن تعامل مثلما تعامل الصناعات الاخرى فى مجال الاستثمار والترويج) ونشر الثقافة فى جميع ربوع الوطن والاعتماد على إطارات كفأة مكونة تكوينا عصريا شموليا ودفع الخلق والانتاج الثقافى دفعا يجعله فى مستوى طموحاتنا وآمالنا وفسح المجال لتعاون ثقافى ـ حقيقى لا صورى ـ بين ثقافات العالم أخذا وعطاء ، مدا وجزرا ليكون التلاقح والتمازج والتراشح .

واذا حددنا السياسة الثقافية بتونس بهذه الصورة فليس معنى هذا أننا لا نريد أن نخوض فى محتواها بل اننا نربأ بانفسنا أن تميل الى فكرة « تدجين » الثقافة أو « تدليجها » لأننا نؤمن أن الثقافة حرة أو لا تكون ولكنها الحرية المسؤولة التى تعتبر أن هذا النشاط البشرى يجب ألا ينبنى على الحقد ولا على العقلية النحلية والتطاحن وتوتر الأعصاب و « انهيارها » بل من فائدة الجميع أن تكون هناك أرضية بناءة تعمل فى صالح المجتمع تآلفا وتكاملا ونقدا نزيها ومستوى رفيعا من أجل الوطن الذى يجمعنا والذى بواسطته نلتقى مع الأوطان الأخرى ونتلاقى ونتعامل مع سائر البشر .

ولكننا لم نكتف بضبط الغايات وتحديد الاطار للعمل الثقافى بل دققنا الوسائل الضرورية لتحقيق الخطة المؤاتية والتزمنا بعقلانية الاختيارات

ومنطقية العمل وضبط الحسابات وتقدير مدى فعالية الطرق والوسائل .
وهكذا أصبحت الخطة أيضا واضحة المعالم بينة الملامح متعمقة فى جزئيات التطبيق بالنسبة الى عاجل الأمور وآجالها متناولة كل قطاعات الثقافة بالتحليل والدرس والاقتراح .

وليس من شك فى أن العمل الفعلى من أجل ثقافة شمولية أصيلة عصرية بدأ من الآن لا من حيث البحث عن الموارد (إحداث صندوق العمل الثقافى وتطبيق القانون المتعلق بالهياكل الاساسية الثقافية بتشريك كل من يجب أن يهمه أمر الثقافة) أو اتخاذ الاجراءات القانونية والادارية (تنظيم القطاعات الثقافية واخراجها من التهميش الذى قبعت فيه اقتصاديا واجتماعيا) بل الذى يهم أكثر من غيره فى هذا النسق هو تعبئة الطاقات لتطبيق هذه السياسة وتنفيذ الخطة وبعث روح الخلق والابداع فى الخلايا المنتجة والكف عن مجرد إثبات الوجود فرديا أو جماعيا والاكتفاء بصورى النشاط ورتابته والا فان هذه النصوص التشريعية الصادرة والتى ستصدر ستبقى حبرا على ورق لا يجسمها الفعل والعزيمة الفولاذية وتكون الموارد المتأتية بالعرق والعناء لا تؤتى أكلها بالدرجة التى ينتظرها المجتمع وفى مستوى ما اشتهرت به بلادنا من جد وإشعاع ثقافى .

وهذا يتطلب فى الواقع من كل الخلايا الصانعة للثقافة فى بلادنا أن تراهن على مظاهر لا بد أن تتسم بها ثقافتنا وهى أن تتجاوز حدودنا وتكون ـ بقدر ما هى متجذرة فى أصالتنا التونسية نابعة من شخصيتنا الوطنية ـ ذات مستوى قادرة على أن تفرض نفسها فى الرقعة الطبيعية التى تنتمى اليها وهى الوطن العربى وهو حد أدنى من الاشعاع الذى بدونه تبقى ثقافتنا هزيلة متقوقعة على نفسها ، ضاربة فى المحلية ، ولو تعلل البعض بالظاهرة المعروفة الآن فى كثير من البلدان العربية والمتمثلة فى حصول التبليغ بأيسر السبل وأتفه المواضيع عن طريق الوسائل السمعية البصرية وغيرها . ولكن هذا « الاشعاع » إن لم يكن فيه إمكانية الخروج من الرقعة العربية الى العالم الأوسع والى الانسانية لا

يمكن أن يعد إشعاعا بأتم معنى الكلمة ويبقى انتاجنا فى معظمه محصورا فى بوتقة ضيقة ومثقفونا فى عزلة عن العالم .

والدليل على ذلك أن الجمع الغفير من الأدباء والكتاب ورجال الثقافة والاقتصاد الذى التام حشدهم أخيرا فى « الصربون » بفرنسا بدعوة من وزير الثقافة الفرنسى كم يضم من المثقفين العرب ؟ وهل ارتفعت أصواتهم بالقدر الذى كان للأوربين والأمريكان حتى يقولوا كلمتهم فى الازمة الاقتصادية والاجتماعية السائدة فى العالم ؟ ولكن الذى نريد أن نسجله هو أن ما قاله الرئيس الفرنسى فى هذا الحشد على لسان فرنسا ، وهو جديد بالنسبة الى مواقف الحزب الاشتراكى الفرنسى إزاء الثقافة وجديد بالنسبة الى تصريحات وزير الثقافة الفرنسى ، هو عين ما صدعنا به منذ سنتين وما حددناه فى ندوة مكسكو سواء على لسان الاستاذ محمد مزالى الوزير الاول أو على لسان وزير الشؤون الثقافية . ولقد كان التأكيد أساسا على الناحية الاقتصادية فى الثقافة وأن الاستثمار فى الثقافة هو رهان على المستقبل وأنه لا تنمية حقيقية للمجتمع الا بتنمية الصناعات الثقافية وازدهارها .

نحن نسجل هذه الظاهرة بكل فخر لاننا نعتقد أننا ، ولو لم نشارك كتونسيين وكعرب فى هذا الجمع الملتئم ، فان ما دعونا اليه فى المحافل الدولية وفى لقاءاتنا الشخصية فى هذا الاتجاه وكنا فى ذلك من الشواذ قد وجد الصدى الذى يستحقه وهو ما يزيدنا عزيمة على المضي قدما فى هذه السبيل ويجعل المحتاريين والمتشككين والمتفرجين إزاء سياستنا وخطتنا الثقافية يغيرون موقفهم السلبى ومن مظهر اللامبالاة ويعتقدون أن ما نقوم به فى هذا الحقل هو الثورة الثقافية الحق وهو عين الصواب .

البشير بن سلامة

في أبعاد الثقافة المسؤولة

بقلم: محمد مزالي

أريد في البداية ان اعبر لكم عن اعتزازي بافتتاح اعمال المجلس الاعلى للثقافة (*) في اجتماعه الاول بعد ان امضى السيد رئيس الجمهورية الامر القاضي باحداثه في شكله الجديد وبمشمولاته الجديدة . كما أريد ان اتوجه بالشكر الى المسؤولين في وزارة الشؤون الثقافية الساهرين على هذا القطاع الهام في حياتنا العمومية وكذلك الى السادة اعضاء اللجان ورؤسائها ومقرريها الذين قبلوا العمل في صلب هذه اللجان وضحوا بشيء من أوقاتهم للمساهمة في وضع تصور جديد للثقافة ، والتفكير في طرق وموارد جديدة للتمويل كما بينه منذ حين أخي وزميلي الاستاذ البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية . واحقاقا للحق لاحظنا منذ عامين حركية متزايدة في وزارة الشؤون الثقافية وتصورا جديدا للثقافة ، كما لاحظنا نظرة مختلفة عما ألفناه في معالجة القضايا الثقافية المزمنة التي التأمت في شأنها الكثير من الملتقيات ودار حولها العديد من المناقشات .

ان اهم ركن لهذا التصور المتجدد هو الادراك بأن الثقافة جزء لا يتجزأ من الحياة القومية والتصور للرابطة العضوية بينها وبين الدورة الاقتصادية أي أن الثقافة لم تعد ظاهرة هامشية أو كمالية للتسلية والترفيه ولكنها عنصر أساسي وفعال في حياة الشعوب .

وكان من نتائج هذه النظرة الجديدة العديد من المشاريع والانجازات والاوامر والقوانين التي صدرت في الاشهر الاخيرة كالتي جعلت النوادي والبنية الثقافية الاساسية ضمن اهتمام البلديات والوزارات ، أو التي ترمي الى الحفاظ على التراث وفرض التجهيزات الثقافية ووجوب ادماجها في أمثلة التهيئة والاحياء السكنية .

(*) نص الكلمة التي ارتجلها الاستاذ محمد مزالي الوزير الاول في افتتاح أشغال المجلس الاعلى للثقافة الملتئم يوم 28 جانفي 1983 .

وقد شملت هذه الاوامر والقوانين ايضا ميادين اخرى كالسنما والمسرح ، وبالتالى فأنا شخصيا ألاحظ اننا تجاوزنا مرحلة الجدل والنظر المجرد ودخلنا فى مرحلة الانجاز الفعلى والتخطيط المستقبلى • ولنجاح هذه النظرة ، كما سبق ان قلت فى ملتقى ثقافى فى جوان 1981 لا بد من شرطين أساسيين : شرط يهم رجال الثقافة انفسهم وشرط يتعلق بالمسؤولين فى الحكومة وفى المجتمع بصفة عامة .

فبالنسبة الى الحكومة ، ينبغى لكل مسؤول سواء كان وزيرا أو واليا أو مسؤولا فى خلية حزبية أو فى منظمة قومية أو فى هيكل بلدى أو فى مؤسسة اقتصادية ان يعطى للثقافة حقها ويعتبرها شيئا ضروريا كالخبز لحياة الانسان وشرطا لازدهار الشعب التونسى وكرامة المواطن التونسى . فلا بد من اقحام البعد الثقافى ، مثل البعد الرياضى والشبابى ، فى عقلية المسؤولين ، ونصورهم وسلوكهم ، وبالتالى نستطيع الخروج من الانحطاط الذى ورثناه عن القرون الخوالى وعن الاستعمار وعن النظرة الضيقة للمجتمع ، هذا الانحطاط الذى يهمش ويحقر النشاط الثقافى : فكان الشاعر مجرد عنصر من عناصر الديكور فى بعض البلاطات وفى مناسبات معينة ، وكان المسرح معتبرا مجرد وسيلة ترفيه ، أو تهريج والرسامون لا يعتنى بهم الا القليل ، وكانت الموسيقى معتبرة ضربا من ضروب اللهو وغير ذلك كثير ...

فالشىء الجديد الذى يجب ان يرسخ فى اذهان المسؤولين هو انه لا يمكن للمجتمع التونسى ان يستقيم وان يزدهر وان ينشأ شبابه نشأة متزنة اخلاقيا وجماليا واجتماعيا دون هذا الغذاء الثقافى وعلى هذا الاساس جاءت عناية المسؤولين وعناية وزارة الشؤون الثقافية خاصة بالتجهيزات الثقافية وفرضها فى كل مشروع سكنى أو كل تهيئة عمرانية جديدة . وقد صدر القانون الذى يحجر على أى كان ان يحطم او يهدم قاعة سنما أو مسرحا أو دار ثقافة أو شعب أو يحولها عن وجهتها الحقيقية دون موافقة السلط المسؤولة .

أما الشرط الثانى فيتعلق برجال الثقافة أنفسهم من أدباء وخلاقين ومبدعين • فمنذ ثلاثين أو أربعين سنة وتحديدا قبل الاستقلال كان الادباء يعتبرون انفسهم هامشيين على ان لكل أديب شيطانه واحلامه الغريبة وافيونه الخاص به وخمره ومجالسه . فالاديب لا ينظر الى نفسه نظرة جدية ولا يعتبر نفسه راشدا ولا يشعر انه حر حتى فى تصرفاته • لهذا وجب على الفنانين والمبدعين ان يعتبروا انفسهم راشدين واحرارا كذلك وبالخصوص مسؤولين عن كل ما يقدمونه من انتاج سواء كان ذلك مسرحية او قصيدة أو قطعة

موسيقية فلا بد للاديب أو الفنان أن يشعر بأنه يقوم بواجب ويؤدى رسالة ، ولا يكتفى بأن يردد ان له كلمة قالها أو نظرة عبر عنها أو الهاما اخرجه الى الناس فان لهذه الكلمة دورا هاما فى المجتمع وكذلك الامر بالنسبة الى الموسيقى والمسرح .

ولكى نقضى نهائيا على ظاهرة تهميش الفنانين ورجال الثقافة والخلاقين وجب علينا تعميم التوعية والتوجيه والاكثار من اللقاءات واحكام تنظيم المؤسسات من اتحاد كتاب واتحاد رسامين ولجان ثقافية ودور شعب أى كل المؤسسات والهياكل الثقافية التى يمكن ان ينضم تحت لوائها الاخوان المثقفون ليتدربوا على منطق الحقوق والواجبات ويكتشفوا أو يعيدوا اكتشاف رسالتهم الحقيقية وابعاد مسؤوليتهم .

وبعد هذا أريد أن أذكركم بظاهرة اصبحت تفرض نفسها شيئا فشيئا هى ان الحياة الاجتماعية فى تونس ، كما هو الحال فى دول اخرى من العالم ، أصبحت معقدة ومتنوعة ومتغيرة الامر الذى يوجب علينا تركيز اهتمامنا على البيئة الثالثة والعناية بها . فالمجتمع التونسى كان منغلقا على نفسه ، وكانت سلطة الاولياء فى العائلة قوية بحيث كان الابناء محفوزين ومشدودين ومؤطرين من الناحية الاخلاقية والدينية ومن حيث العادات والسلوك .

اما الآن فان المجتمع ولاسباب كثيرة تغير أى انه اصبح مجتمعا آخر له هيكليته وله مقاييسه وأذواقه وقيمه ، واعطى مثالا واضحا لذلك فبفضل التعميم السريع للتعليم والمحتوى التقدمى لبرامجه نجد عند العائلات وخاصة المتواضعة منها والمتفشية فيها آفة الامية لاسباب تاريخية نجد الى جانب الأب والام الابن الذى يدرس فى كلية الطب أو البنت التى تدرس فى كلية الآداب فأصبح الشباب يعرف ويتعامل مع مركوز وسيجموند فرويد ومع النظريات العلمية الجديدة ومع الهيكلية وعلم الالسنية ومعرفة حقوق الانسان . بينما بقي الأب والأم يتعاملان مع كل قديم وتقليدى فنشأ بذلك تصادم بين الاجيال فلم تعد نفس المقاييس الجمالية مستعملة لدى الجيلين كل له مثله ومقاييسه ونظرته للاشياء . فالبيت الذى يحوى عديدا من الاولاد فى العائلة الواحدة يزيد هذه المشاكل حدة ، فيضطر الاولاد الى الخروج فيستقبلهم الشارع وما نسميه البيئة الثالثة لذا وجب علينا نحن المسؤولين ان نعتنى بهذه البيئة الثالثة التى تحمل هى أيضا العديد من السلبيات منها تفشى الخمور وتصاعد العنف والسرقة ، لكى نعلي من شأنها هذه البيئة الثالثة ونهذبها قدر الامكان

بانشاء هياكل ثقافية من مسابح وملاعب وقاعات سنما وقاعات أفراح وأماكن عروض موسيقية تكون قادرة على استقطاب الشباب وبذلك نخلق في الشباب روح التعاون وحب الجماعة والتضحية ونقلل من دور الخمارات والمقاهي . ولكن هذه السياسة تتطلب منا في الوقت نفسه تكوين اطارات ذات كفاءة ودور هؤلاء المسؤولين لن يكون دور الشرطة مثلما قد يحلو للبعض ان يقول بل مهنتهم الاشراف والارشاد والتنسيق . ومسؤولو المؤسسات الثقافية لا يعينون اعتباطا بل هم بمثابة المنتخبين انتخابا ديمقراطيا ويستطيع المواطنون الشبان بذلك ان يمارسوا الديمقراطية ونحن في هذا المضمار نشجع على العمل التطوعي اننا نشجع على التضحية بالوقت من أجل الغير فنحن نرحب بكل من له خبرة في ميدان ثقافي ما ، ونحن لا يمكن لنا ان نعمم قرارا بأن تسير كل هذه المؤسسات على نفس الطريقة ، بل ان البيئة والامكانيات هي التي تحدد نوعية النشاط الثقافي الذي تريد كل جهة وكل مدينة وكل قرية ، ان تقوم به وشرط التطوع والتضحية لا بد منه في كل هذه الانشطة . فنحن رغم الاستعمار كنا نبعث فرقا مسرحية ونؤسس مكتبات ونوادي أدبية وكنا ننظم الرحلات دون ان نطلب مساعدات من القايد أو الخليفة أو أي مسؤول آخر ، كما نضحي بالقليل الذي نملكه .

نحن نطمح الى ثقافة واعية ومسؤولة بعيدة عن كل أساليب الدمغجة والسياسة بمعناها الرديء . نحن نريد مسرحا رائعا وراقيا ، وما زلت أذكر اننا مثلنا مسرحية يوليوس قيصر في عهد الاستعمار ومثلنا كذلك برج نيل أو البرج الهائل La Tour de Nesles وضحينا بالكثير من وقتنا من أجلها اذ انه لم تكن لدينا الامكانيات فبأشياء بسيطة جدا استطعنا ان نمثل مسرحية يوليوس قيصر في كل من المنستير والقيروان وتونس . وكان المتفرجون جميعا يدفعون ثمن تذاكرهم . واني لاستغرب الآن من بعض المحظوظين الذين يرفضون تسديد ثمن تذاكرهم في المسرح . وانا شخصيا تقلدت عدة مسؤوليات ثقافية ورغم ذلك كنت أسدد ثمن تذكرتي عندما ادخل المسرح . فلا شيء يمنع اليوم قيام فرق هاوية بعيدة عن الربح والتجارة وانا اشجع مثل هذه المبادرات التي تكون فيها الثقافة مجانية للجميع ، لا بأس عندي من ان يتعايش الاحتراف مع الهواية وضمن هذا التنافس النزيه يمكن ان نصل الى ترسيخ ثقافتنا المنشودة . ولكي نصل الى هذا الهدف لا بد لنا من ايجاد البنية الاساسية (دور الثقافة ، النوادي ، المسارح ...) وفريق المنشطين القادرين على تأطير الشباب ونشاطاته وتشجيعهم فينبغي علينا ان نستقطب

هوايات الشباب وان ننمى له هذه الهوايات سواء عند المعلمين او المتعلمين ، من كان قادرا على تعليم أى شيء رغبة منه فى ممارسة هوايته وليس جريا وراء مصلحة مادية فله أجر عند الله وفضل على المجتمع وذلك خير مثال للتضحية فى سبيل خدمة هذه الامة وشبابها ومستقبلها . ينبغى ان نتعلم حب الغير كمبدأ اخلاقى وان نزرعه فى شبابنا وتلامذتنا وأولادنا وعلى هذا الاساس انا ضد من يشترط قبل نشر قصيدة فى مجلة أو مقال فى جريدة ان يتقاضى اجرا على ذلك . انا انسان يؤمن بأن للفكر رسالة وان خير مقابل هو ما نشعر به من نخوة العمل من اجل الغير ربما تتهمون رأيى هذا بالسذاجة لكن فى الحقيقة هذا هو رأيى دائما فما زلت دائما على أوهامى التى تدفعنى الى القول بأن الهواية تحمل جزاءها فى حد ذاتها وان لها مستقبلا رغم تشاؤم الواقعيين الذين يعتقدون ان المادة طاغية وانا دوما من أشد انصار الهواة حماسا لان هذا العمل هو الذى يستحق كل تقدير وكل تبجيل لانه تلقائى هدفه خدمة القيم التى آمنا بها والآراء التى نحيا من أجلها . انما احترم من ينتج ويستميت دفاعا عن انتاجه الفكرى ، فالعمل الفنى مهما كانت درجة الكمال فيه لا يحرز رضاء جميع الناس ، من هنا تأتى حرية الاديب والفنان فى قناعاته وابداعه ، وبالتالى ينبغى على الاديب ان يتحمل كل شيء فى سبيل الدفاع عن آرائه وانتاجه رغم المضايقات والاضطهاد فتاريخ الثقافة والآداب والفنون فى العالم زاخر بمثل هذه المواقف لرجال ناضلوا وصمدوا وتحملوا شتى المضايقات ولكن فكرهم انتصر فى النهاية .

وقد سبق ان قلت مرات : إن علاقة الاديب والفنان بالسلطة لم تكن علاقة سهلة منذ سقراط الى الآن بل كانت علاقة كثيرا ما سادتها التوترات والصعاب والتضييقات ومن هنا جاءت نكهة الخلق ونخوة الهواية وروعة الصمود والانتصار .

انكم تعرفون تجربتى كمدير مجلة كم ساعدت من أديب ومفكر ! وكلكم يذكر ما حدث سنة 1969 لما نشرت الانسان الصفر لعز الدين المدنى وكيف ان مجلة «الفكر» جمعت فى بعض المدن وحرقت ، وتضايقت وضويقت انا شخصيا من جراء نشر انتاج عزالدين المدنى لكننى تحملت مسؤوليتى ونشرت هذا الانتاج رغم اننى لم أكن دائما على اتفاق معه وكنت ولا أزال أومن بحرية الفكر وحرية الاديب مهما كانت آراؤه مختلفة مع آرائى ومع ذلك وجهت لى بعض الانتقادات لنشر انتاج ما او عدم نشر انتاج آخر ولكن كنت انظر الى الانتاج الادبى من حيث جودته أو رداءته فقط لا من حيث مضامينه السياسية

ولم اضطهد طوال حياتى احدا ولم اقمع احدا بل كنت أتحمس لتعـدد الآراء والامثلة على ذلك كثيرة فى مجلة «الفكر» وغيرها • أنا كمدير لمجلة «الفكر» انظر للادب على أساس انه فن وابداع وليس سياسة ، أنا أحترم أفكار الناس وينبغى عليهم أن يحترموا أفكارى لانى أتحمل مسؤوليتى فى كل ما أنشر وما لا انشر تصوروا ان بعض الشبان فى بداية السبعينات طلبوا منى أن اكتفى بنشر انتاجهم دون انتاج الكهول الذين نعتوهم بالرجعية والبرجوازية اننى أكره التعصب وأومن بالتسامح الذى هو سمة الفكر الحق ولا فرق عندى بين الجيل الجديد او الجيل القديم الا من حيث القيمة الجمالية للنص •

حرية التعبير هى نخوة الخلق والاديب ينبغى ان يناضل من أجل أفكاره وليس عندى أى مانع من ان أنشر لانسان يخالفنى الرأى فالاديب الحق ينبغى له ان يفرض نفسه على الساحة الادبية وعلى المجتمع وحتى على السلطة لنشر انتاجه وأنا أطمح الى انتشار هذه العقلية عند كل الادباء والمفكرين وسأواصل بحول الله مساهمتى فى دعم الثقافة لاننى أومن بأن الثقافة حق ومن حقوق كل المواطنين وأن المجتمع لا ينهض ولا يزدهر ولا يشع من دون ثقافة أصيلة وانتاج متنوع وخلق حر وابداع رائع سأواصل هذا الدعم سواء بالعمل على اصدار القوانين والتشريعات او بتخصيص أكثر ما يمكن من الاعتمادات والوسائل المادية على المستوى الحكومى والبلدى وأعدكم ان الحكـومة ستـأخذ بالاقتراحـات التى ستقدمونها وتعمل على ادخالها حيز التطبيق ، كذلك يجب علينـا أن نغيـر شيئا فشيئا عقلية بعض المسؤولين وسنعمل على توسيع الهياكل الاساسية للثقافة قوميا وجهويا ومحليا بتكوين الاطارات وتنظيـم تـربصات للهـواة وسنواصل تشجيع الخلق والابداع بشتى الوسائل والطرق وحتى لو اختلفت أفكار بعض المبدعين مع أفكارنا لكى نجعل الانتاج التونسى يشع فى الداخل والخارج وقد اتخذنا فى هذا المجال قرارا هاما اصبحت الكتب بمقتضاه تشحن مجانا على الطائرات التونسية وانشأنا صندوق تعويض للورق وسوف تقـوم الشـركة التـونسية للتوزيـع والـدار التـونسية للنشـر بخدمـات جليلـة فى هذا المجال مما تقدمونه من اقتراحات عملية ليصل الكتـاب التـونسى الى الشرق والغرب على السواء ودور كلية الآداب ، والجامعة التونسية عامة ، رائد لا محالة فى نطاق خلق حركية جديدة للثقافة التونسية والفكر التونسى .

ونحن بدورنا نظمنا ملتقيات عديدة فى السبعينات قررنا على اثرهـا ادخـال الادب التونسى فى البرامج التعليمية عربيا وانما هدفنا ان نخلق جيلا تونسيا مؤمنا بذاتيته واصالته وخصوصيته ، فتبدلت العقليـة القـديمة التى كانت تهزأ بالادب التونسى وتستنقصه .

وصفوة القول يجب ان نعرف بأنفسنا على الساحة الادبية العربية أو العالمية فهناك مائة وخمسون مليونا من العرب يكادون يجهلون الادب التونسى بمسرحه وشعره وروايته وسنمائه وموسيقاه فينبغى ان ندافع عن انفسنا ونفرض انتاجنا بالمشاركة فى المعارض والندوات والمؤتمرات ، وأحكام وسائل التوزيع وتزويد المكتبات العربية وفى ذلك خدمة للفكر العربى . اما الدول الغربية فيجب ان نوجه اليها انتاجنا خاصة وان العديد من الكراسى فى الجامعات الاوربية مخصصة للادب العربى . والحكومة سوف تتحمل مسؤوليتها كاملة لتشجيع كل المبادرات من هذا النوع وبالتالى نبلغ كل ما نصبو اليه من ادماج الثقافة فى الدورة الدموية الاقتصادية والسياسية وجعل الظاهرة الثقافية فى مستوى الاولويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

أختتم كلمتى بالتوجه مرة ثانية بالشكر الى كل الاخوان المشاركين فى هذا المجلس وخاصة اعضاء اللجان والمسؤولين عليها والى الاخ البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية والى كل من يعمل فى وزارة الثقافة وفى المؤسسات التابعة لها .

محمد مزالى

من مؤلفات الاستاذ محمد مزالى

- ★ الديمقراطية
- ★ فى دروب الفكر
- ★ من وحي الفكر
- ★ مواقف
- ★ دراسات

متى يا قدس نأتي؟!

شعر: رجب بن مهني

بين جَنْبَيَّ فؤاد عاشقٌ ... وطني فيه وأحلام حياتي
فيه من نفسي أنفاسي التي ... بها أحيا .. وهمومي وشكاتي
فيه عمق الجرحِ من أرضي التي ... لم تزلْ تُمنى بأقسى النكباتِ
لم نزلْ في الحزن نشقى ، والهوى ... لم يزلْ يُصلى بنار الجمراتِ
غرقت في الدمع آمال ولمْ ... ينفعِ الدمعُ هضابي وفلاتِي
غاصتِ الأعيُن في محجَرها ... لمْ يعدْ فيها جَميلُ النظرات

★ ★ ★

لِيكنْ يا وَطني حُبك أنْ ... يصبحَ الحبّ عتيَّ الخطوَاتِ
لِيكنْ حُبك أنْ نمضي بهِ ... صارخا يجتثّ أحلامَ الطغاةِ
مِنْ رصاصِ الغدرِ لا ترحمُهمْ ... أي سلوَى لهُمُ في الزفرَاتِ
فمتي – يا قدس – نأتي ؟ ومتى ... أ فِلسطينُ إلى أرْضِكِ ناتِي ؟
وَحِّدوا التارِيخَ يَا قوْمِي فقد ... ثقُلَ الوَزْن على الجمعِ الشتاتِ

★ ★ ★

واسألوا الماضِيَ عنْ أهدَافِهِ ... حفظ التاريخُ أحْلى الذكرياتِ
طالعُ النّور بِهِ يَا سَادَتِي ... عربي البشر يسعى للنجَاة

فرياحُ الشرقِ لنْ تبخلنَا — فهيَ شوقٌ عربِيٌ الهمسَاتِ
وديَار الشرْقِ هلْ تسمحُ أنْ — يرْضخَ العرض إلى نَعْل الغزَاةِ
لو رَأينَا الأرْض فيِ دورتِهَا — تنهبُ الأزمانَ نهبَ الطائِرَاتِ
لفهمنا أننا فيِ عَالم — إنْ وقفنَا فيِ الخيِام العاريات
وطئتْنا أرجلٌ مسحورةٌ — وأضاعتْ رشدَها فيِ الرفساتِ

★ ★ ★

فجروا الثورَةَ فيِ أحلامكمْ — واشرَبوها في الكؤوس المترعاتِ
واصنعوا منها حذَاءً إنّمَا — بهِ تسعون بجدّ وأناةِ
واجعلوا منها هَوَاءً إنما — هيِ جوّ للطيور الصادحاتِ
واجعلوا منها رصاصا صارخا — ليدَوّيِ كدَويِّ الصاعِقاتِ
يزرعُ الرّعبَ ويَجتَاحُ العِدا — ويبيدُ الظلمَ بينَ الظلمَاتِ
إنها القلبُ الذِي نحيَا بِهِ — وهيِ يُنبوعٌ غنِيٌ بالحَيَاةِ

رجب بن مهني

«أدب الرحلة» في تراث سعيد أبي بكر

بقلم: الحبيب الشاوش

ليس همنا ، في هذا المقال ، تفصيل الحديث عن حياة سعيد أبي بكر وكامل تراثه الادبي ، اذ قد لا يتسع المقام لذلك ، وقد تكون لنا الى ذلك عودة ، وانما مرادنا هو التعريف بسعيد « الرحالة » او ما يمكن ان نسميه «أدب الرحلة» في تراث المؤلف ، وقد عثرنا على « رحلة » قام بها الى الاندلس ، خلف لنا عنها كتابا بعنوان « دليل الاندلس » أو « الاندلس كأنك تراها » ، نشره سنة 1933 ، وقد عثرنا على الجزء الاول منه ، اما الجزء الثاني فلم يطبع .

ونظرا الى بقاء الكتاب مغمورا منذ عهد بعيد (نصف قرن) فقد رأينا ان نقدمه ونعرفه للقراء ، مضمونا واسلوبا ، باعتباره نموذجا ادبيا فريدا في نوعه ، قريبا من ادب الرحلات ، شبيها به ، بقي مجهولا لدى الخاص والعام ، وهو لا يقل قيمة واهمية عن بقية تراث سعيد الادبي ، نثرا وشعرا ، وربما فاقه في بعض النواحي ...

ولنقل كلمة موجزة نسبيا عن حياة المؤلف ، وما خلفه لنا مما جادت به قريحته وخطه قلمه ، سواء في ذلك ما طبع وما لم يطبع ، عسى ان تنكب بعض الهمم على نشر ما تبقى مخطوطا من هذا التراث أو اعادة طبع ما نفذ منه - مما نشر - وذلك اعترافا لما قدمه سعيد لابناء وطنه خصوصا والناطقين بلغة الضاد عموما ، من تراث ادبي اصيل ، عرفه بعضهم بكونه طلائعيا ، والبعض الآخر بكونه هادفا ملتزما ...

ولد سعيد ابو بكر بالمكنين ، في 28 اكتوبر 1899 ، وزاول تعلمه الابتدائي بالمدرسة القرآنية هناك ثم باحدى المدارس الحكومية على يد

جمع من المعلمين البارزين ، ومما يروى عنه انه قال الشعر وهو فى الحادية عشرة من عمره وكان يضمنه بعض انشاءاته وكتاباته بالمدرسة ، ذلك انه كان « نابغة » حاد الذكاء رهيف الاحساس ، طلعة ، ميالا الى المعرفة ، يحدوه الى طلب العلم فضوله الفطرى . وكان — منذ صغر سنه شغوفا بالفن والموسيقى ، مغرما بالمزاح والتنكيت الخفيف الذكى ، وكان له مع والدى رحمه الله ، — وكان له صديقا حميما — مجالس ونوادر فى هذا الشأن ثم انتقل سعيد ... الى سوسة لمواصلة تعلمه الثانوى الا انه تعذر عليه ذلك لقلة ذات اليد ، فتعرف هناك على المحامى راجح ابراهيم الاكودى وعمل كاتبا له ، واتيح له ان يستفيد مما كان يقدمه له من كتب ومجلات ادبية مكنته من استكمال ثقافته ، فنشأ سعيد عصاميا ، وسرعان ما نضج فكره وبادر الى كتابة الشعر فأنشأ مجموعة من القصائد كان يبعث بها الى مجلة « النديم » بعنوان « زهرة بعد زهرة » وعمل صحافيا ، اذ لم يقتصر على مراسلة « النديم » بل راسل جريدتى «الصواب» و « الوزير » واخذ نجمه يتألق شيئا فشيئا وعندما انتقل الى العاصمة عمل بمكاتب بعض المحامين وفى نفس الوقت كان يكتب بعض المقالات النقدية الهادفة تحت عنوان « من النافذة » فى جريدة « لسان الشعب » ولم يفتأ فى تلك الاثناء يتردد على نادى الحزب بنهج انقلترا ؛ وفى سنة 1927 اقدم على طبع الجزء الاول من ديوانه « السعيديات » ثم جمع ما كان نشره فى جريدة «النديم» من قصائد فى كتيب بعنوان «الزهرات» ، وهكذا تسنى له ان يصبح علما من اعلام النهضة الادبية والفكرية فى تونس ويذيع صيته فى كل الاوساط .

وتعلقت همة سعيد باصدار مجلة يشرف عليها بنفسه فتقدم بطلب الى سلط الحماية اذ ذاك لهذا الغرض فرفض مطلبه ؛ فالتجأ الى حيلة وتسوغ تحت طي الخفاء امتياز مجلة « العالم » من صاحبها لمدة ثلاثة أعوام واصدر العدد الاول منها فى جانفى 1931 لكن صاحب المجلة فسخ العقدة بعد عام ونصف وسوغها لغيره فاضطر الى كشفه والى تقديم قضية عدلية به . وبعد توقف هذه المجلة اشتغل مراسلا متجولا لجريدة « النهضة » اليومية وفيها حرر سلسلة من الفصول عن « مؤتمر البعث » ثم اعاد طبع تلك الفصول فى كتيب نشره سنة 1936 .

وقام سعيد برحلة الى القطرين الشقيقين الجزائر والمغرب ثم زار بلاد الاندلس ونشر عقب عودته منها الكتاب الذى أشرنا اليه : « **دليل الاندلس**

أو الاندلس كانك تراها » وذلك سنة 1933 وفى سنة 1937 تحققت رغبته القديمة فأصدر مجلته الشهرية « تونس المصورة » بعد صدور اوامر اوت 1936 التى سمحت للتونسيين ببعض الحريات النسبية ومنها حق اصدار الصحف بمجرد اعلام المصالح الرسمية ودون توقف على اخذ موافقتها ، وقد استمرت هذه المجلة فى العمل الى شهر نوفمبر 1942 حيث توقفت بسبب الاحتلال الالمانى ثم استأنفت نشاطها من جديد فى سنة 1945 ولكن فى ثوب متقشف نظرا للظروف الحربية .

وتوفى سعيد ابو بكر رحمه الله يوم 29 جانفى 1948 بمدينة تونس .

مؤلفاته : ترك لنا سعيد مؤلفات ذات أهمية بالغة .

طبع بعضها ومنها :

1) الجزء الاول من « **السعيديات** » (110 ص) ــ تونس 1927 .

2) « **الزهرات** » تونس ــ بلا تاريخ .

3) « **مؤتمر البعث** » : (مجموعة مقالات نشرها بجريدة « **النهضة** » اولا ثم اصدرها فى كتيب فى 81 ص ، عام 1936 واعيد نشره عام 1967 ضمن منشورات الحزب الاشتراكى الدستورى) .

4) الجزء الاول من كتاب « دليل الاندلس ، او الاندلس كانك تراها » تونس ، 1933 .

وبعضها الآخر لم يطبع ، ومنها :

5) « الرحلة الجزائرية » : وهو وصف للاماكن التى زارها وقد نشر سعيد بين سنتى 1927 و 1929 ارتسامات عن هذه الرحلة فى حلقات مسلسلة بعنوان « عشرون يوما فى عمالة قسنطينة » .

6) الجزء الثانى من كتابه « دليل الاندلس » وفيه وصف مدينة الزهراء وغرناطة والجزيرة الخضراء وجبل طارق .

7) الجزء الثاني من ديوانه « **السعيديات** » وهو يحتوى على قصائده السياسية (1) .

ومن أبرز ما تميز به سعيد ابو بكر خصلتان هامتان ، اولاهما : وطنيته ، وقد برزت في جل مقالاته ومؤلفاته ، شعرا ونثرا ، وقد كان للاحداث التى عاشها ، وللبيئة التى نشأ فيها وترعرع ، اثرها البليغ فى نفسه ، وقد واكب طفلا ثم شابا يافعا ثم كهلا ـ ما عرفته بلادنا من احداث تاريخية هامة كواقعة الزلاج عام 1911 ، وحادثة « الترام » عام 1912 ، وثورة ابن عسكر ضد طغيان السلط الفرنسية سنة 1915 ، ثم تأسيس الحزب الدستورى وبروز نزعة وطنية ووعى ثقافى أصيل ، وخاصة من الشباب المثقف فى ذلك العهد الذى استوعبته جمعيتا : « قدماء الصادقية » و « الخلدونية » عقب تأسيسهما ، وكذلك ظهور الحركة النقابية القومية سنة 1924 على يد محمد على الحامى . كما عاش فترة بعث جريدة « صوت التونسى » سنة 1929 وانعقاد المؤتمر الافخارستى بقرطاج من 7 الى 11 ماى 1930 ، وحوادث التجنيس التى سيطرت على الميدان السياسى فى 1932 و 1933 ، والاضرابات الزيتونية من اجل اصلاح التعليم ، وانبعاث الحزب الدستورى الجديد فى 2 مارس 1934 ، وانبعاث اول شعبة تابعة للحزب الجديد بمسقط رأسه . كل هاته الاحداث اثرت فى تنشئته

---

(1) راجع عن حياته ومؤلفاته ، خاصة : « السعيديات » الجزء الاول ، ط . تونس ، 1927 (القدمة) ؛ « الزهرات » ط تونس ، بلا تاريخ (المقدمة) ؛ « مؤتمر البعث » ، ط . 1936 و 1967 (منشورات الحزب الاشتراكى الدستورى) ؛ زين العابدين السنوسى : « الادب التونسى فى القرن الرابع عشر » ، المجلد الاول ، ط . تونس ، 1927 ؛ نفس المؤلف : « من ضحايا النبوغ الباكر » مقال بمجلة « الندوة » ، عدد 5 ، ماى 1953 ؛ مصطفى رجب : شاعران « كتاب البعث » ، الكتاب الرابع عشر ، جانفى 1957 ؛ ح. ح. عبد الوهاب : « مجمل تاريخ الادب التونسى » ط . تونس 1968 ؛ أحمد خالد : « شخصيات وتيارات » ط . سوسة (تونس) ، 1969 ؛ رشيد الذوادى : « ادباء تونسيون » ط . تونس 1972 ؛ الحبيب الشاوش : « سعيد ابو بكر ، شاعرا » ، مقال بجريدة « بلادى » (الصفحة الثقافية) ، تونس 1978 (بمناسبة احياء الذكرى الثلاثين لوفاة سعيد أبى بكر) .

الوطنية ، الى جانب ما شاهده بعينيه من اعتصابات جوع وتنكيل بالوطنيين وقسوة سلط الاستبداد ، وظهور الكثير من الصحف والادباء والمثقفين الذين تعززت بهم الحركة الوطنية .

اما الخصلة الثانية التى ستقوده الى القيام برحلته الى الاندلس عبر الجزائر والمغرب ، للوقوف على ما خلفه الاباء والاجداد والاطلاع عن كثب على التراث العربى الاسلامى بتلك الربوع ، فهى فضوله العلمى ، لا سيما فيما يتعلق بالمآثر الفنية والعمرانية فضلا عن المخلفات ذات الصبغة السياسية والدينية والتراث الادبى والفكرى ...

وتندرج هذه الخصلة فى جملة العوامل الاساسية التى تضافرت على تنشئته الثقافية فى أوسع معانيها ، وجعلت منه رجلا عصاميا متكاملا ، مقداما ، طموحا ، يجابه الصعاب ويتحداها ليذللها ويتغلب عليها بفضل ما جبل عليه من قوة الارادة وعلو الهمة وعزة النفس وما عرف به كذلك من اباء فطرى وتواضع واريحية خفيفة فى نفس الوقت ، تواضع العلماء واريحية المثقفين الحقيقيين الاصيليين ...

وها هو سعيد ابو بكر « الرحالة » ، يذكرنا ، فيما قام به وخلفه لنا ، ببعض الرحالين العرب وكبار الجغرافيين والمؤرخين منهم ، أمثال ابن جبير وابن بطوطة والتجانى ، فلنقف عند كتابه « دليل الاندلس أو الاندلس كانك تراها » لنتبين مدى قيمته واهميته ، وما برز فيه وجسمه خصوصا مما اشرنا اليه آنفا من خصلتين اساسيتين تميز بهما صاحب الكتاب .

« **دليل الاندلس او الاندلس كانك تراها** » :

يتضمن الجزء الاول من هذا الكتاب وصفا دقيقا لجميع « الآثار العربية بمدينتى اشبيلية وقرطبة ، فى 96 صفحة مع 35 صورة فوتوغرافية تمثل تلك الآثار » وخريطة للسكك الحديدية من تخطيط المؤلف وكأنما أراد بذلك الترغيب فى زيارة الاندلس – أرض الآباء والاجداد ، للاعتبار عن طريق الاطلاع على مآثر الحضارة العربية الاسلامية هنالك ، وفى نطاق التمهيد لتلك الزيارة والتشويق اليها وتيسيرها ، فهو يعمد الى تبيين وسائل التنقل ورسم خطوط الارتال وتفصيل اسعار التذاكر ...

ويستهل سعيد كتابه بكلمة اهداء بليغة جاء فيها بالخصوص :

« اعتاد الناس ان يهدوا كتبهم وتآليفهم الى واحد من ثلاثة : رجل يعز عليهم كثيرا فارادوا ان يقدموها له عربونا على الصداقة ، او رجل له عليهم فضل كبير فارادوا ان يقدموها له اعترافا بالجميل ، او رجل آخر صاحب جاه عظيم فارادوا ان يقدموها له للاستفادة من ماله او جاهه .

اما انا فلي اصدقاء كثيرون بودى ان اقدم كتابى اليهم ، ولى رجلان اثنان لهما فضل علي هما والدي وأستاذي وبودي أن أقدمه الى احدهما أيضا ولكنني لم أفعل لان هناك من هو جدير بهذا الشرف اكثر منهم جميعا .

ذلك الرجل العظيم الذى سأقدم اليه كتابى هذا هو الذى كان سببا فى فتح الاندلس . هو الذى على يديه وضعت فيها العرب اقدامها . ذلك الرجل العظيم هو طارق بن زياد . فالى روحك الطاهرة يا طارق لى الشرف بأن اهدى كتابى » .

وبعد هذا الاهداء الذى يبرز شعور المؤلف بالنخوة والاعتزاز يصدر سعيد كتابه بمقدمة بعنوان « كيف وصلت الى الاندلس » فى سبع صفحات (2) ، يعبر فيها عما تثيره فى نفسه لفظة « الاندلس » من عميق المشاعر والذكريات وجاء فى مستهلها : « الاندلس ... هى الكلمة الخفيفة التى لا يكاد يتعطل فى النطق بها انسان منا ، وهى الكلمة الثقيلة التى لا يكاد يتحمل وقعها على قلبه منا رجل واحد . يشعر بذلك المجد الضائع وذلك التقدم الباهر ويتحسر على تلك الجنة الزاهرة وتلك الربوع الجميلة ويتأوه على هاتيك النكبة العظمى والمصيبة الجلى اللتين ختمتا ذلك العصر الاسلامى فى تلك البلاد .

الاندلس ... هى الكلمة التى لازلت اتذكر دموع معلمى تترقرق فى عينيه عندما كان يحدثنا عليها ونحن صغار فى المدرسة . وهى الكلمة التى لا تطاوعه يده الا بجهد جهيد عندما كان يقدمها امامنا ليضعها على المساحة الصغيرة التى تشغلها فى الخريطة . وهى الكلمة التى دخلت

---

(2) ص ص Io ـ I6 من الكتاب .

الى قلوبنا منذ الصغر ونقشت عليه بأحرف من نار وكلما زادت اعمارنا زادت تلك النار اشتعالا ... »

وبعد ان يحدثنا المؤلف عن شوقه الى زيارة الاندلس منذ الصغر وشغفه بأخبارها وصورها من خلال ما كان يطالعه من جرائد ومجلات وكتب عربية وفرنسية ، يستطرد الى الحديث عن الظروف التى سمحت له بتحقيق رغبته ، وتتمثل فى ان الجزء الاول من ديوانه « السعيديات » عندما انتشر فى الشقيقتين الجزائر والمغرب الاقصى انتشارا لم يكن يحلم به ـ على حد تعبيره ـ مكنه من ربط علاقات ودية عميقة مع عدد كبير من الاصدقاء والمعجبين به شجعوه فيما بعد على زيارتهم بكل من القطرين المذكورين ، وقام فعلا بزيارة الجزائر فالمغرب واتيح له بعدئذ ان يزور الاندلس ، متنقلا من مدينة الى اخرى ، فمن تلمسان ـ بعد غالب العواصم الجزائرية ـ الى وجدة بالمغرب الاقصى الى طنجة فتطوان ، الى سبتة ، الى مرسى « الجزيرة الخضراء » ومنها سينطلق الى مدينة اشبيلية وهنا تبدأ « الزيارة الاندلسية » او « الرحلة الاندلسية » بأتم معنى الكلمة .

فلنستمع اليه يحدثنا عن بداية هذه الرحلة وما اثارته فى نفسه من الخواطر ، فى اسلوب روائى دقيق : (3) .

« وصلنا الى العربة التى ستنقلنا الى (اشبيلية) وسلمت الى المكلف بها حقيبتى واطلعته على تذكرة الركوب التى كنت اخذتها على الباخرة وعلمت ان السفر سيكون على الساعة الواحدة بالتدقيق .

اذن فالى اول مطعم يعترضنى فى طريقى ثم الى اقرب مقهاة (4) وقبل الوقت الذى يجب ان تسافر فيه العربة بنصف ساعة كنت جالسا على كرسى فى مقهاة قريبة من البحيرة اشرب كاسا من « الليمون » طلبته عندما علمت ان القهوة غير حاضرة فى ذلك الزمان ...

(3) المقدمة ، ص 15 .

(4) يستعمل المؤلف هذه اللفظة بمعنى « مقهى » التى هى اجرى فى الاستعمال اليوم .

كنت اتناول ذلك الكاس واشعر كانني انتصرت على قوة قاهرة كانت تصدني عن وضع قدمي على هـذه الارض ، واحس باشيـاء تجعلنـي ارى نفسي محسـودا عليها ، وأتصور كيـف يتلقى اصدقـائي بتـونس خبـر وصولي الى الاندلس وكيف انهم سيغبطوننـي على هذه الزيارة التـي لم تكن في الحسبان » .

ثم يتطرق المؤلف الى استعراض الكتب التي قرأهـا عن الانـدلس ونقـد طريقة تاليفها القائمة على نقل بعضهـم عن بعض دون تـدقيق أو تفصيـل يستثير الاهتمام أو الفضول لدى القراء ، قائلا في هذا الشأن :

« ... وكأنهم لا يريدون الا ان ينقلوا على بعضهم ليقول كل واحد منهم ما قاله الآخـــر .

ولذلك فقد خطر ببالي انني سأكتب كل ما اراه وادون كل ما اسمعـه واسجل كل ما يخطر ببالي اثناء رحلتي لاقوم بنشر كتـاب يسد الثلمـة التي لا أزال اراها مفتوحة في التأليف العربي ...»

أما الحالة النفسية التي كان عليها في تلك الاثناء فهـي متراوحـة بين المـرح والسـرور من ناحية والتـأوه والحزن من ناحية أخرى ويؤكد ذلـك بقولـه :

« .. صحت عزيمتي وانا في المكان الاول الذي نزل فيه طـارق بن زيـاد وجيوشه على ان اجعل قراء العربية في تونس وفي غيرها يشاركونني في فرحي وسروري ويقاسمونني تأوهاتي واحزاني » مشيرا بذلك الى فرحـة الدخول الى ارض الاندلس والحزن على خروج العرب منها بعـد قرون من التعمير والحضارة ...

ويقسم سعيد أبو بكر كتابه الى فصـول يـروي فيهـا مراحـل تنقـلاته عبر بلاد الاندلس واولى هذه المراحـل : « من الجزيـرة الخضـراء الـى اشبيلية » حيث يذكر تفصيلا ما تقع عليه عيناه من المشاهد في كل بلدة يزورها او يمر بها ، فيذكر ، على سبيل المثـال ، بلدة (لوباريـة) وبلدة (القلعة) وبلدة (المدينة) وبلدة (خيريز) ... وهو في طريقه الـى مدينـة (اشبيلية) يذكرنا بابن بطوطة في اسلوبه الروائي الممتاز بدقة الوصف من ذلك مثلا قولـــه :

« خرجت من الجزيرة الخضراء فتجلى لى منظر جبل طارق العظيم وتبدت لى مناظر عجيبة تأخذ بمجامع القلوب . وكانت العربة تجرى وانا أنظر على جانبى الطريق اشجار الزيتون والبرتقال وكان الناس يعترضوننا راكبين على الاحمرة يحملون محصولات اراضيهم الى المدينة ليبيعوها . واول بلدة وصلناها هى (لوبارية) وهى بلدة كل سقوفها من (القرمود) الذى يظهر ان الدهر اكل عليه وشرب ، واهم ما يلفت الانظار فيها صومعة طويلة هى عبارة عن ثلاثة بيوت بعضها فوق بعض . وقد رأيت ونحن فى شارعها الكبير باعة الماء يسوق كل واحد منهم حمارا عليه اربع قلال موضوعة على ظهره فى اربعة مواضع مصنوعة من القضبان . وما كدنا نجتازها حتى اشرفنا على البساتين الجميلة التابعة لها ثم على غابة طويلة لا نرى فيها من حين الى حين الا بعض البيوت الخشبية أو بعض بيوت اخرى من الحجارة متفرقة هنا وهناك تمتاز بنوافذها المثلثة الشكل ... »

وبمدينة (اشبيلية) يبرز المؤلف المعالم الاثرية العربية الاسلامية التى استرعت انتباهه واستقطبت اهتمامه دون سواها وفى مقدمتها قصر بنى عباد ، فيصفه وصفا دقيقا مضيفا الى ذلك مجموعة من الصور الجميلة الواضحة كصورة الباب الاصلى لهذا القصر وصحنه و « البراطل » المحيطة به وبعض « طيقانه » العليا .

و « قاعة السفراء » و « الصحن المخصوص بالصور الزيتية » و « البستان الملوكى التابع لهذا القصر » وصومعة اشبيلية و « باب الصحن العربى لجامع اشبيلية » و « حوض الوضوء » الكائن بهذا الصحن ...

ثم يستطرد الى وصف بعض الكنائس والمكتبات وخاصة الكنيسة الجامعة فى اشبيلية ، متوقفا عند تاريخ بنائها ، وبيان قياسها ، فيقول متحدثا عن هذه الكنيسة الجامعة بالخصوص :

« ... وقع الشروع فى بنائها عام ١٤٠١ فى نفس المكان الذى كان فيه المسجد العربى الذى هدموه تماما ، طولها مائة وثلاثون مترا وعرضها ستة وسبعون وهو نفس قياس المسجد العربى المأسوف عليه ...»

وبعد الحديث عن « قبر كريستوف كولمب » و « منارة الذهب » ، ينتقل الى وصف بعض القصور الاخرى مثل « قصر بيلاتوس » والمتاحف والبروج والاسوار والبساتين والحمامات والانهج العربية بمدينة اشبيلية، وما تحفل به من المقاهي ، والحركة الدائبة وفي خاتمة حديثه عن هذه المدينة يقول المؤلف :

« تلك المدينة التى شاهدت تلك القصور الشاهدة ليومنا هذا بالفن العربى تقام على عهد الموحدين عام 1146 ، تلك المدينة التى لم تر عصرا ذهبيا كالعصر الذى مر عليها بين عام 1201 وعام 1248 يوم كانت عاصمة مملكة عربية شاسعة الاطراف . تلك المدينة التى رأت مصرع الجيش العربى امام جيوش النصارى وشاهدت يوم 19 نوفمبر 1248 الملك المنتصر (فوديناند الثالث) يدخل اليها بين هتاف المنتصرين ... »

ويغادرها المؤلف قائلا :

« ... فلنلق عليها النظرة الاخيرة ولنغادرها ـ بدمعة وابتسامة ـ الى مدينة قرطبة . فالى قرطبة . »

وينزل سعيد ابو بكر ـ فى المرحلة الثانية من رحلته بمدينة قرطبة ، فيواصل الوصف لمعالمها الاثرية بنفس الدقة والتفصيل ، مازجا المعلومات التاريخية بالمعلومات الجغرافية والعمرانية ، مبينا مواقعها ومواطن جمالها ، واهم ما يصوره لنا جامع قرطبة باعمدته واقواسه ومقاصره و « سواريه القريبة من المحراب المتميز بقوة هندسته وزخارفه ونقوشه، ثم الكنيسة الكائنة بهذا المسجد ، ثم صومعة الجامع الاموى ، فالقنطرة العربية و « القلعة الحرة » ـ التى هى رمز العظمة ـ ويقول المؤلف فى شأنها :

« كلما زاد الانسان فى النظر اليها خيل اليه انه يسمع صدى جدودنا العظام يردد ذلك الفخر الماضى وتلك الايام السعيدة التى مرت عليهم فى تلك الربوع » .

ولا يهمل سعيد أبو بكر « أماكن أخرى جديرة بالزيارة مثل « قصر فيجو أو القصر القديم » ، و « مقبرة الشهداء » ، و « الماكينة المائية » ، و « مستشفى الامراض المزمنة » ، و « باب المظفر » الذى يقول فى شأنه : .

« هو الباب الذى كان يفتح على حارة اليهود وقت الاستيلاء العربى وبجانبه شىء قليل من بقايا السور ، الذى كان يحيط بالمدينة ، ولعله الباب الوحيد الذى بقى على الحالة التى كانت عليها ابواب قرطبة فى ايام العرب ... » ، ثم يصف لنا بعض الكنائس ، والحمامات العربية .

ويمضى المؤلف على نفس الوتيرة التى سار عليها فى كتابه من حيث دقة الوصف والتصوير لكل المشاهد والآثار والمآثر العربية الاسلامية ومعالم الحضارة التى لا تزال قائمة بتلك الربوع ، وكذلك المزج بين المعلومات التاريخية والمعلومات الجغرافية والعمرانية كما اسلفنا .

وهو الى ذلك منساق الى فضونه العلمى وحب الاطلاع على كل الجزئيات مهما تباينت قيمتها واهميتها . فهو يدخل البيوت ويتحدث الى اهلها ويستجيب للدعوات وهو يروى لنا ذلك بأريحيته التى عرف بها فيقول :

« وقد دخلت الى بعض الديار ولم أكن أشعر بأدنى مضايقة اجلبها الى السكان بسبب دخولى بل كنت اراهم يبتهجون لقدومى لانهم يكونون قد عرفوا بمجرد رؤيتى اننى عربى - والفضل فى ذلك يرجع لطربوشى - فيبشون فى وجهى ويحيطون بى ويدخلوننى بيوتهم وكم كانوا يتعجبون عندما يقدمون لى بعض انواع الكحول فامتنع من شرابها معتذرا اليهم . »

والى جانب هذا الفضول الذى اتصف به سعيد باعتباره « رحالة » همة الاطلاع والاكتشاف والمعرفة نراه لا يهمل فرصة الا ويحافظ على ناموسه معبرا عن اعتزازه بأصله وجنسه ولغته ودينه ، ويبرز هذا الشعور فى نفسه من خلال تعلقه ببعض الاوصاف والذكريات والانطباعات التى بقيت راسخة فى ذهنه ، من ذلك مثلا قوله :

« ... هذا الاحترام الذى لاقيته بسبب احتفاظى على لباس رأسى العربى، اعتمدت عليه ودخلت عدة ديار كنت اقابل فيها بكل بشاشة واكرام فعرفت حياة العائلات ورأيت بنفسى ذلك الحياء الذى لا تزال نساؤهم محتفظات به وذلك الخجل الذى كان يظهر على وجوههن مدة بقائى بينهن ... اما الجمال والدم العربى فانهما يظهران جليا على الوجوه بصفة تدل على ان قرطبة هى المدينة التى احتفظت اكثر من غيرها على الطينة العربية » .

وعند هذا الحد ينتهى الجزء الاول من الكتاب ويليه الجزء الثانى الذى لم يبلغنا بعد ، لكونه لم يطبع وربما عثرنا يوما على المخطوط وعمدنا الى نشره والتعريف به ان شاء الله ، وقد خصصه صاحبه لوصف مدينة الزهراء وغرناطة والجزيرة الخضراء وجبل طارق .

اما اسلوب المؤلف فيمتاز ـ كما يتجلى ذلك من خلال ما اوردنا من بعض الفقرات ـ بسلاسة التعبير وبساطة التراكيب ، ودقة الوصف والتصوير ، وقد يعثر القارىء أحيانا على استعمال بعض الالفاظ الدخيلة أو العامية مثل : « البراطل » (ج برطال) او « الطيقان » (ج . طاق) او حتى بعض الهنات أحيانا ، كقوله مثلا (ص 94) :

بسبب **احتفاظى على** لباس رأسى العربى ... » وفى نفس الفقرة : « ... قرطبة هى المدينة التى **احتفظت** اكثر من غيرها **على** الطينة العربية »

والاحرى فى الاستعمال ان يقال : « احتفظت بـ . » او «حافظت على ..» لكن هذه الهنات خفيفة طفيفة لا تكاد تتجاوز عدد الانامل ولا حركات العوامل

ولقد عرف سعيد ابو بكر كيف يستهوى القارىء ويفيده ويسترعى اهتمامه بفضل ما توخاه من اسلوب التشويق ودقة الاستعراض والتصوير والوصف لما شاهده واستقطب عنايته مازجا كل ذلك برشاقة الاراء والخواطر ورقة الشعور وعمق الايحاء ، مركزا تأليفه على المعلومات التاريخية والجغرافية والعمرانية ـ كما اسلفنا ـ مما يضفى على كتابه قيمة علمية وادبية فى نفس الوقت تجعله خليقا بكل تقدير واعتبار ، وجديرا بان يدرج فى قائمة المؤلفات التى خلفها لنا ابرز الرحالين العرب من نوع ابن جبير وابن بطوطة ، والتجانى ولعل هذا الكتاب احسن نموذج لانتاج سعيد أبى بكر ولتراثه الادبى ، اذ يعطينا صورة كاملة عن شخصية صاحبه وما يمتاز به من شعور مرهف وذكاء وقاد وخفة روح وسرعة خاطر جعلت منه شاعرا وكاتبا ومما يزيد فى قيمته وشأنه انه كان عصاميا فلم تمنعه الشدائد والصعاب التى مر بها فى مختلف اطوار حياته .

وما امتازت به من شتى الاحداث ، من ان يشق طريقه بشجاعة وايمان فيملأ حياته ـ القصيرة نسبيا ـ بالانتاج المثمر والنشاط الايجابى الخصب، ويقدم لابناء وطنه وقراء العربية عموما ثمرات يانعة من جهوده وجهاده .

الحبيب الشاوش

منولــوج ذاتي..

شعر : جلال خيربك
(دمشــق)

تـقــديــم :

....

....

① فـاتحـة مسهبـة :

يَلْعَـقُ الـرّمـحُ على الصّحـراءِ ..
تاريخي المُقَفّى

ويـدي رهْـن اشتهـائي ..
كنتُ في ميـلادكَ المهجـور ، جَوّابــاً
وسوقيـا

وعبــدا ..

بَيْـدَ أنّي
مالك عصف اللّـذّاذات وتيجـان الـذكـوره .
بـدعــةٌ أنتِ ...
فما كل المحـارات سـوى شـوط قصير ...
بين نهـديـك أضعْـتُ الكنْـهَ والتّـاريـخَ والـذّاتَ
وإني كلمـا أشعَلْـتُ نـارًا :
جـدّدتْ جلــدي .. وتـابعْـتُ الطريـقْ .
مـارقٌ عَبْرَ المتـاهـــاتِ أنـا ،

زَارِعٌ أنَّـى ارتَحَلتُ ..
بذرتي في الخصبِ والقحطِ ، وخلفي :
تاركٌ جيلَ اختراق المستحيل ...

* * *

② هـويـة :

كلّ أسمائك من صُلبِي ولحْظَات انتشائي
عندما أبحرُ في شِرْيَانِكِ المحْمُوم
تَنْهَدّ أقاليمُ التَّسَرّي .
وتُوَارِي لهجَةُ الأسمَاءِ والأشكالِ والضوءِ ،
وميلادُ الخَلِيقَهْ
عندَما أنساحُ في شَرْيَانك المحموم كالخَدْرِ اللذيذ
أغلقُ الأفقَ . ففي صُلبِيَ ميناءُ الزمان ...
إنني من غير هذا العالم المنكود ...
يا بنتَ صفائي
خطويَ النارُ ، وميلادُ التخطي ...
كرّةُ الإيقاع لا تُوحي لأطرافِي اللهيبهْ
بانطفاء النار في عيني ، فإني
تاركٌ هذي العلاماتِ – على دربي – النّبيّهْ .

* * *

③ لقب وخلاصة :

تتبدى منْ خلف المرآة ، امرأة ...
عطشى
كالنيرانْ

تُشْعِلُ فيَّ جُنُونَ الجَمْرِ وتَرْحَلُ عَصْفًا ..
كالطوفانْ
لا تَقْرَأ سفارَ الأجناس .. ،
وحتى ..
خارطة البلدانْ
أتهَجّى فيها سِفْرَ الخلقِ وسِفْرَ الموْتِ ..
وسفرَ الـ : كانْ ..
تتخطّى شَبَقَ الرّاحاتِ ..
تتخطى كلّ الأبياتِ
وتُثيرُ على دَرْبَ الأحزانِ ...
عَويلَ الماضِي والآتِي ..
وتُعيدُ عليَّ صَباحَ مَساءَ ـ
حكاية من جزرِ المرجانِ ـ
فأُشْهِرَ شَهَوَاتِي الحمراء ..
وأمضي ..
في عمقِ الشطآنِ !

جلال خير بك

(دمشق)

ننشر في العدد القادم

الجزء الثاني من دراسة الدكتور **يوسف بكار** (الأردن)

التي عنوانها :

أثر شوقي وحافظ في ابراهيم طوقان

أثر شوقي وحافظ في ابراهيم طوقان

بقلم : د . يوسف بكار
(الأردن)

ـ 1 ـ

ليس سهلا قط أن يتأبط المرء موضوعا محوره ثلاثة اعلام مرة واحدة فى بحث عسير خطير ، لان قضية « التأثر والتأثير » . بمفهومها النقدى ، سواء فى الآداب المحلية ام المقارنة ، من اعقد القضايا واصعبها ، ومن اقربها الى المزالق والعثار ، لما قد يعترض عليها احيانا اما بـ « الاطار الثقافى » بشتى ظروفه : البيئة الاجتماعية والطبيعية ، واللغة ، والعصر بمفهوميه الزمانى والادبى ، واما « بالموارده » (1) غير ان عكوفى على شعر ابراهيم طوقان واهتمامى بمواد « اطاره الشعرى » وادواته وملاحقتها (2) ، هما اللذان اغريانى ، بعد قراءات فى شعر شوقى وشعر حافظ ، بمتابعة الجهد والكشف عن مواد وادوات عصرية فيه من شعر هذين الشاعرين العظيمين ويحمل هذا الكشف بين جنبيه كشفا آخر ، هو صلة ابراهيم ، ابداعيا ، بالأدب العربى المعاصر ، فضلا عن صلاته العميقة بالقديم منه ، وتوافره

---

(1) راجع لمزيد من الاطلاع : د . مصطفى هدارة ، مشكلة السرقات فى النقد العربى 261 ـ 267 ، مكتبة الانجلو المصرية ـ الطبعة الأولى 1958 .

(2) استطعت ، الى الآن ، أن أنجز مجالين من مجالات الاطار الشعرى عند ابراهيم طوقان ، الأول « أثر القرآن فى شعر ابراهيم طوقان » (مجلة البيان ـ الكويت . العدد 138 ـ أيلول 1977) ، والآخر « الشعبية فى شعر ابراهيم طوقان » . وهما جزء من كتاب تحت الطبع عنوانه « قضايا فى النقد والشعر » .

(3) فدوى طوقان : أخى ابراهيم 10 و 18 ـ 19 (صدر ديوان ابراهيم طوقان ـ دار القدس ، بيروت 1975) ، ورحلة صعبة ـ رحلة جبلية (5) (مذكرات فدوى طوقان) ـ مجلة الجديد ، العدد (2) شباط 1978، ص 27 و 31 ، والعدد (1) ـ كانون أول 1978 ، ص 15 .

على مطالعته وتخيره وحفظه وتمثله والافادة منه (3) مثلما كانت الحال عند الشاعرين اللذين نبحث عن أثرهما فيه وتأثره بهما . وهذه الصلة بفرعيها ، وما واكبهـا من تقليد وتأثر أمـر طبيعي حتمي خاصـة فـي بدايات الفنـان الابداعية . فالشاعـر قبل أن ينمو « لا بد من مروره بمرحلـة التقليد ، يتأثر بالشعراء الآخرين ، ويحاول تقمص تجاربهم حتى يهتدى الى نفسه وأصالته ، (4) وهو ، بعد ، لا يكتب نفسه ، فيما يقول النـاقد الانجليـزى ادواردز (5) ، وان عقله يجب أن يكـون مثل المغنـاطيس يجذب اليـه الأفكـار والصـور والعبارات مما يقرأ ، فيما يقول ت . س . اليـوت (6) وهـذه أمور لا تلغـى أصالته وابتكاره ، لأن الأصالة ليسـت ابتكارا من فراغ ، بـل الابتكار هـو « وجود مادة تتفاعل مع شخصية قوية فتتمثل خلقا جديدا (7) .

ـ 2 ـ

تعود صلة ابراهيم طوقان (1905 ـ 1941) بـالأدب المعاصـر وبمدرسـة الاحياء خاصة ، الى أيام دراسته الابتدائية فى « المدرسة الرشادية الغربية » (1914 ـ 1918) التى كانت « تنهج فى تعليم اللغة العربية نهجا حديثا لم يكن مألوفا فى مدارس نابلس فى العهد التركـى . وذلك بفضل بعض المدرسين النابلسيين (8) الذيـن تخرجوا فـى الأزهـر ، وتأثـروا فى مصر بالحركـة الشعرية والأدبية . هؤلاء المدرسون أشاعوا فى المدرسة روح الشعر والأدب الحديثـة ، وأسمعوا الطلاب للمرة الأولـى ، فى حياتهم الدراسيـة قصائـد شوقى وحافظ ومطران وغيرهم ... (9) وازدادت هذه الصلة بتردد ابراهيم ، وهو فى المرحلـة الثانويـة بمدرسة المطران بالقدس مع أخيه أحمد علـى المرحوم « نخلة زريق » الذى كان مدرس العربية فى « الكلية الانجليزيـة » بالقدس ثم تعمقت حين التحق بالجامعة الامريكية ببيروت عام 1923 حيث أظله

(4) فدوى طوقان : رحلة جبلية ـ رحلة صعبة (6) الجديد ، العدد (3) ـ 1978 ص 20 .

(5) مصطفى هدارة : مشكلة السرقات فى النقد العربى 258 .

(6) Allen, W : Wriiters on Writing Est Published London. 1948 - P : 46.

(7) مصطفى هدارة : المرجع السابق 268 .

(8) من هـؤلاء : الشيخ ابراهيم أبو الهدى الخمـاش ، والشيخ فهمـى هاشم (راجع عنهما : البدوى الملثم : ابراهيم طوقان فى وطنياتـه ووجدانياته 19 ـ 20 . المكتبة الأهلية ـ بيروت ؟) .

(9) فدوى طوقان : أخى ابراهيم 8 ـ 9 .

« أفق أدبي واسع لا عهد له بمثله في فلسطين . هنالك الادباء والشعراء ، وهنالك الدنيا براقة خلوب (10) ، « وحيث احتضنته في الجامعة وخارجها » بيئة شعرية أدبية لم تكن لتحتضنه لو لم يكن في بيروت » ففي الجامعة ، كان أحد أعضاء « دار الندوة » التي ضمت من أقرانه الطلاب آنذاك : عمر فروخ (صريع الغواني) ، وحافظ جميل (أبو نواس) ، ووجيه بارودي (ديك الجن) ، وهو (العباس بن الاحنف) ، وفي خارج الجامعة ، فتحت له مجالس الأدب العالي والشعر الرفيع ، من مثل مجلس الشيخ أمين تقي الدين ، وجبر ضومط ، وبشاره الخوري ، صدرها وأولته كثيرا من عنايتها واهتمامها . وتضافرت هذه العوامل جميعا على أن تمكنه من الفوز بلقب « شاعر الجامعة » (11) وتجعل له « مكانة أدبية ممتازة قبل أن يتخرج في الجامعة الأمريكية » (12) وأن تمد له السبيل الى الوصول الى سدة التعليم في الجامعة نفسها ، (13) .

واتاحت له العوامل نفسها ، فضلا عن استعداده الفطري وما حباه الله من موهبة وعن شغفه بالمطالعة والاختيار والحفظ ، ثقافة جامعية عصرية تامة يظهر أثرها في شعره (14) .

— 3 —

لم يكن توفر ابراهيم طوقان على مطالعة شعر شوقي وحافظ والبارودي ، سوى جزء من اعجابه الشديد بمصر وتطلعاته اليها بعد ان زارها، أول مرة ، مستشفيا عام 1922 :

قالوا : شفاؤك في مصر ، وقد يئسوا — مني وأعمى سقامي من يداويني
خلفتها بلدة يعقوب خلفها — شوقا ليوسف قبلي ، فهويحكيني
مالي وللسقم ؟ أخشاه وأسأل عن — طبيبه ، و (عماد الدين) يكفيني
لو أنشب الموت بي أظفاره لكفى — بأم كلثوم أن تشدو فتحييني

(10) فدوى طوقان : المصدر السابق 10 .
(11) فدوى طوقان : المصدر السابق 13 ـ 14 .
(12) عمر فروخ : شاعران معاصران 33 . المكتبة العلمية ـ بيروت ، الطبعة الاولى 1954 .
(13) فدوى طوقان : أخي ابراهيم 16 .
(14) عمر فروخ : المصدر السابق 7 و 72 و 76 .

هذا ، ومصر بساتين منمقة   شبابها بعض ازهار البساتين
خاضوا ميادين من جد ومن لعب   فأحرزوا السبق فى كل الميادين

ولقد عبر عن حبه مصر وتلهفه اليها بقصيدته (تحية مصر ـ 9 10) (16) (1931) التى منها الابيات السابقة ، والتى حيا بها مصر فى فرقة لاعبى الجامعة المصرية لكرة القدم . وهى وان لبست لبوس العتب ، فهو عتاب المعجب الوامق ، و « العتب على قد العشم » فيها نقول فى امثالنا الشعبية الشامية :

اليك مصر ايمائى وملتهفى   ونور نهضتك الغراء يهدينى
ولى أواصر قربى فيك ما برحت   لما مضى ، ذات توثيق وتمكين
أحب مصر ، ولكن مصر راغبة   عنى ، فتعرض من حين الى حين
وان بكت ، لا بكت هما ، فقد علمت   وأيقنت أن ذاك الهم يبكينى
وما عتبت على هجر تدل به   ان الدلال يمنينى ويغرينى
لكن جزعت على ود اخاف اذا   فقدته ، لم أجد خلا يواسينى

وما كان أشد فرح شاعرنا حين تناهى الى سمعه عزم أمير الشعراء عام 1928 على زيارة فلسطين ، اذ هرع الى تحيته بقصيدة « حطين ـ 63 » (1928) التى عبر فيها ، بما أضفاه عليه من نعوت البيان وألقابه ، عما كان يكنه له من تقدير واعجاب واعزاز ، ثم استحثه على ان يكون لفلسطين فى شعره نصيب .

أهلا برب المهرجان   أهلا بنابغة البيان
ملك القلوب المستقل   بعرشها ، والصولجان
ومتوج حالت أشعـ   ـة تاجه دون العيان
أهلا بشوقى ، شاعر الفصـ   ـحى ومعجزة البيان

---

(15) عمر فروخ : المصدر السابق 7 .
(16) يشير الرقم الذى يلى عنوان القصيدة مباشرة فى هذا البحث من الآن فصاعدا الى صفحة ديوان الشاعر صاحب القصيدة ، ويشير التاريخ الذى بين قوسين ، ان وجد ، الى سنة نظمها .

يـا بـاكى الفيحـاء حيـ   ـن ابت تقيم علـى الهوان
أيــام كـــانـت وردة   بـدم البواسـل كـالدهـان
ارسلت عن « بردى » سـلا   مك فى لظى الحرب العوان
ذرفــت دمـعـــا لا تكفـ   ـكف هيجتــه الغوطتــان
عـرج على « حطين » واخـ   ـشع يشج قلبك ما شجانى
وانظـر هنالك هـل تـرى   آثار « يـوسف » فى المكان
أيقـظ صـلاح الديـن رب   التاج والسيـف اليمـانـى
جـل المصـاب «أبـا عـلى»   فـابـك هـاتـيـك المغـانى
ذهب الـذيـن عـهـدتـهـم   لا يصبـرون عـلى الهـوان
فـى مصـر يطمـع اشعـب   وهنـا تـنـادى أشعبـان

بيد أن أمل ابراهيم لم يتحقق ، اذ لم يزر شوقى فلسطين ، ولم ينظم فيهـا شعرا (17) . وعاود الشاعر العزف على قيثـارة العتاب الوطنى ، فارسـل من خلال أوتارها نغمات عازف عاشق صد عنه محبه وجفاه (18) :

جئتكـم عاتبـا بلابـل مصـــر   بلبـل الـروض عتبـه الحـان
رفـرف الشعر فوقكم بجناحيــ   ـه ، وفى ساحكم غذاه البيان
وتسامى صرح العروبة فى مصــ   ـر ، وهل غيركم له اركـان ؟
كـم بلاد تهـزكـم ليس فيهـا   لكـم جيـرة ولا اخــــوان ؟
خطبنا لا يهز شـوقى ، ولكـن   جاء رومـا فهزه الرومـان (19)

---

(17) نقـل عن مخطوطة لديوان ابراهيم من مقدمته لقصيدة « حطيـن » ما يؤكد ما ورد فى مناسبة القصيدة فى الديوان المطبـوع من أن زيـارة شوقي الى فلسطين لم تتم . (د. كامل السوافيرى : الاتجاهات الفنية فى الشعر الفلسطينى المعاصر 168.الانجلو المصرية ــ الطبعة الاولى 1973 غير انه ورد فى كتاب عمر فروخ (شاعران معاصران ، ص 33 و 128) ما يفيد بأن أحمد شوقى ذهب الى فلسطين ! .

(18) ديوان ابراهيم 188 ويرجح أن القصيدة وعنوانها « عتـاب الى شعـراء مصر » قيلت عام 1929 .

(19) يقصد قصيدة شوقى « رومـــة » ومطلعـــا :
قف بروما ، وشاهد الأمر واشهد   أن للملك مالكا سبحانه
(الشوقيات 1 : 251 ، طبعة بيروت المصورة) .

خطبنـا لا يهـز حافظ ابــرا هيم ، لكن تهزه اليابـان (20)
مـا لمطران يا فلسطين شـــان بك ، لكنْه بنيرون شان (21)

واذا ما جزنا العلائق العامة ، وهى كثيرة ، التى كانت تشد ابـراهيم الى مصـر وشعرائها ، فربمـا كان ثمة روابط خاصـة تعضدها ، وتمتن مـن انجذابـه الى أرض الكنانة وشعرائها ، فقد أشار هو نفسه الى « أواصـر قربى » خاصة له فى مصر :

ولى أواصـر قربى ، فيك ما برحت لما مضـى ، ذات توثيق وتمكيـن

وفسرت هذه الآصرة بأن أحد أجـداده كان واليـا على مصر ، وأن بعض أحفاده ظلوا ، وربما ما زالوا على اتصـال بـآل طوقان (22) . ويقـال : إن **الانجليز نفوا والده ، مع آخرين الى مصر فى ايلول 1918 (23) .**

وكان الاشتغال بالصحافـة فى مصر بالذات ، بعد أن نشرت له **جريـدة (الشورى)** ، (24) هناك **نشيدا وطنيا فى تحية المجاهد الأمير عبد الكريم الريفـى** (25) أمنية دأب جادا على تحقيقها قبل أن **يتخرج فى الجامعـة عام 1929 بمداولات** جـرت بينه وبين احدى دور الصحافـة بالقاهرة . **وكانـت الأمنيـة** تتحقق ، من خلال المفاوضات الاستكمالية الحضورية التى **تمـت فى السنة نفسهـا** اذ توجـه برفقة والده الى القاهرة للعلاج ، **لولا تدخـل** عاطفة الأمومة التى تعانقت مع عاطفة الأبوة غير المعلنة . (26)

---

(20) يشير الى قصيدته « زلزال مسينا » التى لها نصيب فى هذا البحث .
(21) يشير الى قصيدة « نيرون » (ديـوان الخليل 2 : 101 . دار الجليـل بيروت 1975) .
(22) البدوى الملثم : ابراهيم طوقان فى وطنياته ووجدانياته 50 (هامش2)
(23) فدوى طوقـان : رحلة صعبـة ـ رحلة جبلية (المدخل) . الجديد 1977 ص 9 (لم يذكـر العدد على المقـال المصور الذى حصلت عليـه مـن الزميل الدكتور فواز طوقان مشكورا) .
(24) كان يصدرها محمد على الطاهر
(25) فدوى طوقان : أخى ابراهيم 12 . والنشيد فى ديوانه 195 .
(26) فدوى طوقان : المصدر السابق 14 ـ 15 .

حين أهدى ابراهيم قصيدة « حطين » أمير الشعراء ، فقال :

خذها اليك ، وأنت عنـ ـها يا أمير الشعراء غان
حسناء فيها للصبا نزق على خفر الحسان
نفحاتها من « كرمة » تعزى الى الحسن بن هاني
هيهات تبلغ شأوك الشـ ـعراء يوما أو تدانى

أرادها أن تكون نفحة من نفحاته و « معارضة » لقصيدته فى رثاء مصطفى كامل (الشوقيات 3 : 157) :

المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما فى مأتم والدانى

وان ابتعد عن موضوعها ، وعدل فى موسيقاها الخارجية بانتهاج الكامل المجزوء ليتغنى من خلاله ويرقص بكل ما وسعت جوانحه منمشاعر واحترام وتقدير فى حضرة أمير الشعراء .

القصيدة تدل بدءا على أن تأثر صاحبها بشوقي وحافظ وبغيرهما من القدامى والمعاصرين ، ينضوى تحت ما يسمى « التذكر المتعمد » أو « الاستدعاء » لأن استدعاء المعانى والصور من شاعر معين لا يتأتى ، فى الغالب ، ما لم يكن المتأثر مهتما به وحافظا الكثير من شعره (27) . وهذا شاخص فى علاقة ابراهيم بشوقى الذى كان ، فيما تقول فدوى « سيد المكان فى قلب ابراهيم فى الشعراء المعاصرين » (28) ، وقيل : ان ليس ثمة شاعر معاصر صور اعجابه بشاعر معاصر مثل ما صور ابراهيم طوقان اعجابه بشوقى فى « حطين » (29) .

وربما زاد من اهتمام شاعرنا بشوقى وشعره وتعلقه به وملاحقته له مقولة شكيب أرسلان فيه وتشبيهه بشوقى بعد أن قرأ فى « الشورى » (العدد 19 ـ 83 نسيان 1931) قصيدتــه :

تحية لك يا مصر الفراعين ذوى المآثر من حي ومدفون

---

(27) راجع : د . يوسف مراد ، مبادىء فى علم النفس العام 235 و 248 ـ 251 ، الطبعة السابعة ـ دار المعارف بمصر 1978 .

(28) أخـى ابراهيم 19 .

(29) كامل السوافيرى : الاتجاهات الفنية فى الشعر الفلسطينى المعاصر 169 .

فأعجب بها وعلق عليها بمقال عنوانه « الشعر العربى استأنف ديباجته الأولى » (الشورى ـ العدد 13 ـ أيار 1931) ، وقف فيه عند بعض أبياتها فحلل وفسر . ولما انتهى الى هذين البيتين :

هبطت مصرا ، وظنى أنها رقدت فى ظل اجنحة من ليلها جون
كأنها وكأن الليل منصدعا بنورها سر صدر غير مكنون

قال « هذا هو الشعر العربى على ديباجته الأولى فى حسن السبك وبداعة التخيل وجزالة اللفظ . ولو قرأ هذا صديقى البارودى ، رحمه الله ، لتمنى أن يكون له ، ولو اطلع عليه شوقى ، لقال : أترى شوقيا آخر فى هذا العصر ؟ » (30) .

ولما نظم شوقى « زحلة ـ الشوقيات 2 : 181 » أبدى ابراهيم ، وكان طالبا ، فى رسالة الى صديقه عمر فروخ رأيه فيها ونقد بعض أبياتها . ومما قال « قصيدة شوقى فيها غزل رقيق جميل ، سيما نظرته الى أيام الصبا ، وهنا الابداع ، غير أن هنالك بيتا وددت لو لم يقع فى القصيدة ، وهو قوله :

خرزات مسك أم فصوص الكهربا (31)

وما أدرى يا أخى ، كيف يغيب عن ذوق شوقى بالكلمات وعلمه بمواضعها أن يتنكب الخرز والفصوص . وأنا لا أريد أن أقول : هذه الكلمة قبيحة . كلا ، ولكن اصبح لها عند الناس شخصية بارزة » (32) وشخصية الكلمة التى لاحظها ابراهيم هو الذى اصطلح عليه فى علم اللغة الحديث بـ «الكلام المحرم» أو «الكلام غير اللائق» ، وهو أمر نسبى تختلف مقاييسه باختلاف الاعصر والطبقات الاجتماعية فى العصر الواحد (33) . كما أنه يندرج أيضا فيما يسمى «انحطاط الدلالة» لأن الدلالة كثيرا ما تصاب بشىء من « الانهيار أو الضعف،

---

(30) البدوى الملثم : ابراهيم طوقان فى وطنياته ووجدانياته 50 ـ 55 .
(31) عجز البيت : أودعن كافورا من الاسلاك .
(32) عمر فروخ : شاعران معاصران 75 .
(33) د . محمود السعران : اللغة والمجتمع 129 ـ 133 . دار المعارف الاسكندرية الطبعة الثانية 1963 .

فنراها تفقد شيئا من أثرها فى الاذهان ، أو تفقد مكانتها بين الألفاظ التى تنال من المجتمع الاحترام والتقدير » (34) .

الكلمة التى نقدها ابراهيم فصيحة ، وقد استعملها شوقى بمعناها المعجمى ، ولكن أضحى لها مدلول اجتماعى خاص فى بعض اللهجات الحديثة ، وخاصة فى اللهجة الشامية ، وهو المدلول الذى قد كان يدور فى خلد ابراهيم ! غير أن اللفظة فى الديوان الذى بين أيدينا الآن استبدلت بلفظة « عقود » (35) أفجاء استبدالها أمرا طبيعيا عارضا بداعى التثقيب والتهذيب ، أم أنه نمى الى شوقى نقد ابراهيم بحال من الأحوال ؟ ربما ، وان كان من عادة شوقى ان يثقف ويعدل ويسقط ويحذف فى شعره (36) .

ومن منا حي نقده الايجابى لهذه القصيدة التفاته الى مقدرة شوقى وبراعته فى تجديد المعانى ، بتعليقه على هذا البيت :

وتاودت أعطاف بانك فى يدى واحمر من خفريهما خداك

بقوله : «ان تأود أعطاف البان شيء ذكر منذ هلهل الشعر،وبقى ينسج على منواله حتى تكاد لا (كذا) تمر بديوان الا وترى فيه عطف البان • ولكن جمال الشيء يبدو ويخفى بزيادة عليه او أخذ منه، وقد يحسن الشيء بزيادة شيء عليه أو أخذ شيء منه . وقل مثل ذلك فى الحسن اذا قبح . وقد تبتذل الفكرة ثم يقال عنها طريقة مبتكرة بمثل ذلك . هذا ما فعله شوقى حين زاد كلمتى (فى يدى) على فكرة (عطف البان المتأود) المبتذلة . الحق ان شوقى توفق فى هذه القصيدة ، ولا بأس بها أبدا » وبلغ من شغف ابراهيم « بزحلة » انه كان يضمن بعض أشطرها رسائله الى عمر فروخ فى المناسبة المواتية ،

(34) د . ابراهيم أنيس : دلالة الألفاظ 156 . الانجلو المصرية ـ الطبعة الرابعة 1980 .

(35) وشمل التغيير أيضا مطلع القصيدة فى صدره . فبعد أن كان حين نقدها ابراهيم : « شيعت أحلامى بطرف باك » ، صار الى « شيعت احلامى بقلب باك » .

(36) د . محمد صبرى : الشوقيات المجهولة (8 و 47 و 69 دار المسيرة ـ بيروت . الطبعة الثانية 1979 ، ود . شوقى ضيف شوقى شاعر العصر الحديث 61 ـ 72 دار المعارف بمصر ـ الطبعة السابعة 1977 .

فلا تخشى من ذكريات العزوبة شرا !! وليعلم كل متحرض ان (لذكريات صدى السنين الحاكي (37) ٠٠ (38) ٠ وحيث أنه لم يخف اعجابه بالقسم الغزلي من «زحلة» فانني لا أرتاب في أن أزعم بأن قصيدته « عند شباكي - 41» (1926) لم تكن سوى صدى لها بلغة العباس بن الأحنف ونهجه . فالقصيدتان ، موسيقاهما الخارجية واحدة : البحر الكامل ، وروى «الكاف» وان جنح ابراهيم ، كعادته في الغالب ، الى المجزوء . ولما كانت قصيدة ابراهيم من بواكير نتاجه ، فان مقاطعها التي نظر فيها الى مقاطع من الشوقية ، لا ترقى في صورها التشخيصية ، وفي تراسل معطيات حواسها (في البيت الأخير من كل مقطع) الى ما عند أمير الشعراء . ففي حين يقول شوقي :

لم أدر ما طيب العناق على الهوى   حتى ترفق ساعدى فطواك
وتأودت أعطاف بانك في يدى   واحمر من خفريهما خداك
ودخلت في ليلين : فرعك والدجى   ولثمت كالصبح المنور فاك
ووجدت في كنه الجوانح نشوة   من طيب فيك ، ومن سلاف لماك
وتعطلت لغة الكلام وخاطبت   عيني في لغة الهوى عيناك

يقول ابراهيم طوقان ، وكأنه يلخص المشهد الشوقي تلخيصا مقتضبا فاترا :

شكرت الله أن الدا   ر تجمعني وإياك
وتلقين السؤال على   في أمر تعداك
وحين أجيب تمنحني   ابتسام الشكر عيناك

- يتبع -

د : يوسف بكار

---

(37) من البيت :

مثلت في الذكرى هواك ، وفي الكرى   والذكريات صدى السنين الحاكي

(38) عمر فروخ : شاعران معاصران 61 .

هل تذكر يا سيدي؟

قصة : عائده عبدالحميد

ما زلت أذكر الايام التى كنت أجلس فيها قبالته .. أنصت اليـه كبقيـة الحاضرين .. كانت علامات الخوف تعترى وجهى طوال النهار فقد كنت أراه فى اليوم عشرات المرات .. وكان صارما ، شديدا .. يهابه جميع الاطفال وكان سريع التحرك .. بامكانه أن يفاجئك فى أى وقت وان يصـل اليـك فى أى مكان تقصده ..

كان وجهه الاسمر المنشغل دوما يطالعنى صبيحة كل يوم فأرتجف رغمـا عنى وأسأل الله فى صدق ان يجعل اليوم يمر بسلام .. وكنت أجهد النفس فى أن أجيد حفظ قطع المحفوظات وفى ان لا اكثر من الاغلاط فى الاملاء .. فلقد كانت صيحاته تزعزع أركان القاعة وكان عقابه شديـدا لا يـرحم .. كنت تلميذته المفضلة وكان يوكل إلي مهمة توزيع الكراسات وجمعهـا والاعتنـاء بنظافة وترتيب مكتبه ، وفى أوقات استثنائية نادرة جدا ، كان يوكـل إلي حراسة زملائى .. فلم يكن من بين الذين يكثرون من مغادرة الفصل لسبب أو لآخر .. كنت اذن وفى نظر أترابى محظوظة لديه .. وكان الجميع يتمنـون لو انهم كانوا مكاني..ولكن وفى حالات كثيرة كنت ألقى منه نفس المعاملة التى يلقاها الآخرون .. وربما عاملنى بطريقة أشد وازرى وأكثر إزعاجا لا تـزال لها آثار حية فى نفسى حتى اليوم ..

كان غريبا ـ وانا فى سنى تلك ـ أن أحس بحاجة ملحة الى أن أراه . والى أن أسمع صراخه .. والى أن ألمح .. الى جانب ذلك .. نظـرات الـرضى فى عينيه الي ..

لست أنكر أن أشياء عديدة قد سقطت من الذاكرة وضاعت .. ومع ذلك فما زلت أحتفظ لنفسى بأشياء لصقت باعماقى وعاشرت وجدانى ولم تبرح مطلقا ذاكرتى وإن اعتراها فتور وشبه نسيان ..

اليوم جمعتنى به الصدفة فى احدى الجلسات الرسمية .. سلمت عليه فرد

التحية .. قابل تحيتي بابتسامته المعهودة .. قصيرة ومقتضبة .. تحس معها انه جدير بك ان تصمت .. كان يعلم انى كنت احدى تلميذاته وكنت أعلم أنه كان مدرسا لى .. وكان فى القفل صرير .. كان الصمت يملأ الفراغ الذى يسعنا وكان الشوق مخزونا فى قلبينا .. كان فتى يافعا أسمر له جمال الهنود وكنت طفلة صغيرة لا تفهم من الحياة شيئا ..

لم تكن الكلمات عادية بل كانت لغة الطفل الى الطفل.. ولم يكن الشوق مألوفا بل كان شوق الانامل الصغار الى ثدى الأم .. كان الحلم صغيرا ولكنه ظل يكبر .. كبر فى صمت ونضج فى صمت ملتفا بلحاف من البراءة وصدق العـاطفة ..

كان خطأ ان بعث الطفل من جديد فالزمن غير الزمن وان ظلت السماء هى السماء والشمس هى الشمس والمدرسة هى المدرسة .. لم يتغير بها شىء .. أشجار التوت ما زالت كعهدى بها غارقة فى اللون الاخضر .. راسخة الجذور شامخة تمس القلب من قريب .. عشرون سنة مرت والاشياء بالمـدرسة مـا زالت كما هى ..

لم يتغير لونها ووجدت فى طعمها ما كنت أجده فى الايـام السـالفة .. أسندت ظهرى الى النصب التذكارى الذى يتوسط ساحة المدرسة فشعـرت بالخشوع .. كنت ألجأ اليه أيام المدرسة أجلس اليه كلما سنحت لى الفرصة.. فأتصور هذا الرجل الذى منح أرضه وماله هبة فى سبيل العلم فأكبره وأود لو أنى رأيته .. لا بد ان يكون عظيما وسألت مرة معلمى :

هل كان الرجل عالما ؟ كنا فى حصة تطبيق لدرس نحو .. تناولنـا فيـه التعريف باسم وخبر كان واخواتها ..

قبل المعلم الجملة على انها جملة صحيحة ولكنه سـألنى عن الرجـل هذا الرجل .. قال : هل معنا رجل فى الفصل ؟ قلت : انه هناك .. واشرت بيدى الى ساحة المدرسة .. الى حيث يوجد النصب التذكارى .. قال : لماذا تسألنى إن كان عالما أم لا ؟ قلت : أليس هو الذى أهدانا هذه المدرسة ؟ قال : بلى ، قلت : اذن لا بد ان يكون عالما والا لما قدر قيمة العلم ومنح أموالا طائلة فى سبيلـه !

أعجبه سؤالى وابتسم وأجاب : هى فرصة وفرتها لى احداكن لكى أعرفكن بهذا الرجل وأشكرها على ذلك .. « هو رجل تقي .. ورع .. وثري .. عـاش

مستقيما في سيرته وسلوكه .. وكان يحب رجال العلم ويحترمهم ومع ذلـك فلقد كان أميا .. وذلك ما حز في نفسه طيلة أيام حياته وكان له نسل وابناء كثيرون غير ان ذلك لم يمنعه من ان يمد يـد المساعدة الى الغير وخاصة الى الطلاب الذين يرتادون ديار الغربة طلبا للعلم .. وبعث عدة مشاريع تربوية ومنها تأسيسه لهذه المدرسة ..

اليوم وقد وقفنا وجها لوجه رأيت الفرح ينهمر من عينيـه ورأيت الحلـم ينطـق .

ـ أتذكر يا سيدى ؟

ـ نعم ، المدرسة واشجار التـوت والنصب التذكـارى واسئلتـك التى لا تنتهى .. والجائزة ..

ذكرت الجائزة وما سببه لى حلمى بالجائزة .. حين كنا بالمدرسة كان يتركنى أحلم بالجائزة شأن الكثير من الاطفال بالفصل .. صرخ فى وجهى ذات مـرة قال : « لم تعدي اصلاح اخطائك كما كان مقررا .. ألا ترين ؟ ما بكاليوم ؟

قلت وقد قتلنى الحياء :

«معذرة سيدى.. كنت متعبة..» وكان ان حرمنى فى ذلك اليوم منالجائزة.. قبلت الاهانة وحزنت ولكننى لم استسلم حاولت ان استعيدها فى يوم آخر.. وظلت عصبيتى واضحة طيلة سنوات دراستى الابتدائية وكانت جوائزى لا تعد .. فلقد كان الخوف من ان أفقدها مرة ثانية ، لا يكاد يفارقنى.. لقد كانت الاهانة كبيرة وكان خجلى منه أكبر .. وكنت وفى مرات عديدة يعجبنى أن تتعدد الجوائز بالفصل .. كنت وكأنى أريد أن أتحدى مدرسى وكان فى قلبى تمرد .. صامت .. أذكر يوما مال فيه علي ، ففاحت منه رائحة سجـائره .. كانت قد أدفأتنى وكان في أوج ساعات غضبه وكنت بصدد إصلاح اغلاط إحدى رفيقاتى ولما تفطن الى العمل الذى أنا بصدد انجازه والذى هو مخالف لقانون الفصل لم يتورع فى أن يصفعنى .. لم ترهبنى الصفعة وان كانت قد آلمتنى وخلفت آثارا واضحة بخدى ولكن الذى أرهبنى اننى شعرت بعجزى وبضعفى وانا الى جانبه وازددت يقينا من قوته وقدراته ولم أفكر فى أن أكرهه .. فلقد أحببت ذاك الدفء المتسرب منه الي ..

* * *

كان دنيا غريبة قد احتوتنا اليوم .. لم نالفها من قبل .. أحسسنا كأننـا

أجنبيان عنها .. بدت ساحرة وكان ان زينت لنا الاحداث .. زينت لنا الفرحة باللقاء .. وكان ديكورا موسميا وكان قد نادانا عن بعد ..

بدأت النار تسكن فى ذاكرتينا وعاد عطر الاحداث الغابرة ليملأ أنفينا وكان الضوء يملأ المكان .. يغطى علينا الدرب فلا نرى شيئا غير باقات اليـاسمين تتناثر بيننا .. كانت فى عينيه فرحة وفى عيني فرحة وكانت على شفتي كل منا أنشودة .. أنشودة طفل جريح كبر عليه الوهج المترامى فى الذاكرة ..

كان النغم رائعا .. عبقا .. متدفقا .. وكان الموعد خطـأ .. كان خطـأ ان نمشى فى اتجاه الفرح الحزين وكان خطأ ان نتكلم .. فقدت كلماتنا براءتها.. كان شيئا قد زاد عليها .. فقدت هدوءها واللـون الساكـن الذى كان يطغى عليها .. وتغيرت لغتنا .. أصبحت كلمات من نار وبدا الحلم أكبر مما كنـا نحسب وبدت الفرحة باللقاء ملتهبة صارخة كقرص الشمس وقت الاصيل .. يومها عرفت ان أشياء كثيرة قد تغيرت ..

* * *

ونحن نغادر القاعة ضغط على يدى بقوة قال :

« ما زلت أتمثلك وأنت صغيرة .. هل تذكرين عندما كنت تحتجين وكأنك تدينينني .. هل تذكرين يوما رأيتك فيه تكتبين نص الاملاء خلسة لاحـدى رفيقاتك .. صفعتك بقوة وانتظرت ان اراك وانت تبكين .. ولكنك لم تذرفى دمعا .. نظراتك عبرت عن أشياء غريبة حقا .. بدت وحشية الى درجة جعلتنى أعجب .. كيف تصدر مثل تلك النظرات عن تلميذة فى مثل سنك ..؟

لم تعبئى بشىء فى تلك الايام .. كنت ذكية وكنت أقدر فيك هذا الذكاء ولكن نقاشنا كان دائما مستعرا ..

كنت بالرغم من ضآلة حجمك تتصورين نفسك محور الاحداث .. لقد كنت تشعين بالحيوية وكانت لك شخصيتك رغم صغر سنك وكان يعجبنى منـك تحديك لى .. وثقتك بنفسك رغم الاتعاب الكثيـرة التى سببتها لى .. لقـد أتعبتنى وكان لتعب تلك الايام طعم خاص .. اننى أشعر وكأنك تعيدين لى أيام زمان .. ما أجمل أن أستعيد ذكريات تلك الايام !!

كان يتكلم وكنت اتفحص وجهه وكأننى أراه لاول مرة .. تجرأت وقلت :

« عظيم أن أراك .. أنت الآخر أعدت لى طفولتى .. أجمل مرحلة مرت بى فى حياتى .. أو تدري ..؟ لقد كنت أشعر وقتها بنفسى مشدودة إليك بقوة

ونفس الشعور داهمنى حالما وقعت عيناى عليك داخل القاعة ..

جذبنى من يدى فى خفة .. كان يبدو مرحا سعيدا رغم الشعر الابيض الذى كسا رأسه فلقد بدا مرحه شبيها بمرح الاطفال ..

قال : تعالى نشرب شيئا ..

وأنا أرشف من فنجان القهوة قال :

« تعجبيننى .. دائما متألقة .. جريئة وذكية .. » .

لم أكف لحظة عن مراقبة حركاته .. كان لا يزال جذابا .. ولكن الزمن غير فيه الكثير .. بالرغم مني تمتلىء عيناى بالدموع .. مددت له يـدى بفنجـان القهوة .. عيناه تتجمدان على الخاتم الذهبى ، الذى التف حـول اصبعـى قال وكانه تذكر شيئا :

« تـزوجت ؟.. »

ــ ولى ولدان .

عاد الصمت ليلفنا من جديد .. اختلط فى داخلى حبى القـديم له وعطفى الحالى عليه ، قلت لأبقي بيننا حوارا ..

« حدثنى عن نفسك كيف أنت ؟.. »

ركز نظراته فى عينى .. فى هذه اللحظة فقط رأيت أن فى عينيه شيئا .. ماذا فيهما ..؟ اية نظرة تلك العالقة بمقليته ..؟

ارتجف رغما عنى .. أتوه فى أفكارى وتختلط علي مشاعرى .

لم يعد حب الطفلة هو الذى يملأ نفسى .. ابدا .. ولم تعد علاقة المـدرس بالتلميذة هى التى تسيطر على الموقف ..

ويبدو انه قد أحس بما يدور فى نفسى وانه كان يعانى من مثل ما أعانى وأدركت انه علي أن أحسم الامر سريعا وكأنه أحس بما فكرت فيـه شـرع يتحـدث :

حدثنى عن « نادره » ابنته الكبرى وعن تشبثه الشديد بها ٠٠ قال :

«فيها شبه منك ٠٠ عنيدة مثلك ومتعبة ٠٠ وحدثنى عن «سامى» وعن الحيوية التى يمتاز بها.. وعن اعجاب أساتذته به.. وعن «ياسر» وخجله المبالغ فيه.. وعن «سمر» طفلته الصغرى والبهجة التى تدخلها على قلبه كلما دخل البيت..

وعن جودة الطعام فى بيته .. فلقد كانت زوجته طباخة ماهرة كما قال لى .. ولم ينس أن يحدثنى عن زوجته كان احترامه لها كثيرا وربما كان حبـه لها أكبر وكان يقول :

« كل ذلك لا يعنى انى رجل سعيد شىء ما يعطل خطاى .. يبعث القـرف والملل الى أيامى .. شعور كامن فى أعماقى لاصـق بمشاعرى يجعلنى أحس بالغثيـان .. » .

قلت وقد حز فى نفسى أن أراه على حاله تلك :

« هى الرتابة يا أستاذى .. حاول أن تنتصر عليها بأن تخلق فى حياتك أنشطة متنوعة ترفع عنك روتين الايام وتجدد خلاياك » ..

قال لى بألم : « أشعر فى أحيان كثيرة برغبة ملحة فى أن أبكى .. كأننى فى حاجة أكيدة الى فيض من الحنان .. الى قلب كبير يحتوينى بين جنبيه .. الى كلمة صادقة تشحذ عزيمتى وتجدد نشاطى .. لم نلتق الا منذ دقائق ومع ذلك فلقد أحسست بوزنى يخف وكأن بى رغبة فى أن أرقص .. وأغنى .. انى لا أملك أى تفسير لما أصابنى .. كأننى على أرض غير الارض .. » .

أسعدنى ما سمعته منه ، ولكن ذلك لم يمنع شعورا بالمرارة من أن يتسرب الى .. لماذا .. لست أدرى .. قال :

« لى موعد مع دكتور الاسنان .. نهضت قلت : « أراك فى فرصة ثانية » . ضغط على يدى قبل أن يتركنى وينصرف ..

عرفت ـ بعد حوارات متتالية ـ أن رفيقى محتاج الى قدر كبير من الاهتمام والرعاية والحب ..

ـ للقصة صلة ـ

عـايده عبد الحميـد

قصـــائِد ...

شعر: محمد المهدي بن نصيب

1) انتظــــار :

لقـدْ كنتَ وَاعَدْتَنَـا بالمجيِ
فكنّا نُفتّش في لَـوْنِ بُـدْلاتِنـا عَـنْ طيورِ الفـرَحْ
ونبنـي سُـرَّادِقَ للفقـرَاء مـنَ العَـاشقِيـنَ بقـوسِ قُـزَحْ
نُحَـزّمُ بـالحُلْـم أشـوَاقَنَــا ... والأغــانِـي
ونُلْغِـمُ بالضـوْءِ أنفَـاسنا ... والأمـانِي
وتـزْدَحِـمُ البَسَمَـاتُ بِبَحْـرِ الشّفَـــاهْ
... لقـد كنتَ واعـدتنَــا بالمَجِـي
فاستَرَحنَا على شَفَةِ الشمس ... في الـدّم تـرْكض خَيْـلُ الصبَــاحْ
نُلَملِمُ في سلـةِ الإنتظـارِ الجـرَاحْ

★ ★ ★

2) مطـــرْ :

تلثمُ الحباتُ وجْـهَ الأرض حُبّـا واشتهـاءْ
تَنْبُتُ الأحـلامُ : قمحـا .. ورغيفا .. ونخيـلا، في قلـوب الفقـراءْ
فيصُوغُونَ على أنغَـام رجعِ المطـرِ الهَـاطلِ ألحانًـا ... وهمسًـا

من صهيل الفرحِ الواعدِ محرّاثا ... وفأسًا
ويظلّون يُناجون السّماءْ !!

3) عاشق :

مرّ بي في موسِم الشمس ، وفي فصْلِ الضّياءْ
يزرعُ الأشواقَ خبْزًا ، في الأفُقْ
تُشرقُ الأزهارُ فوْق الأرض حبّاتِ عرَقْ
يمنحُ العشاقُ قبلاتٍ ... وقلبًا ! !

4) حب :

هُوَ الحبّ فاتحةُ النصرِ
والحبّ فاكهةُ العصْرِ
والحبّ قافيةُ الشعرِ
فانتجعوا خيمة الحزْنِ منْ أعيُنِ العاشقِين ..
أيا أصْدقَاءْ
ألاَ ... وامنحوا الفقرَاءَ رغيفًا وثوْبًا
وزهْرًا وحُبّا

محمد المهدي بن نصيب

النادرة في الحجاز في العصر الأموي
محاولة تصنيف وتحليل

بقلم : البشير المجدوب

اللعب بالمعاني (15) : (*)

ويشتمل على عدة طرق من التعبير والاساليب الفنية نذكر منها : الكناية ، التورية ، الاجابة بغير المطلوب ، والتعريض ..

ولعل هذا الباب أرقى أبواب النادرة جميعا ، وقد يمثل قمة فن النادرة لما يستلزمه ، فضلا عن جودة الطبع واصالته ، وسلامة الذوق الادبي ورهافته - من براعة في حسن الاداء والصياغة ، وقدرة على التصرف في الكلام الى ابعد غايات التفنن والاتقان .

وكأن هذا الباب مقصور - أو يكاد ان يكون مقصورا - على الخاصة دون العوام والسوقة ، و « الخصوص » الذى نعنيه انما هو من قبيل الامتياز الثقافي والتفوق الفكرى وهما ، بالطبع ، ليسا وقفا على طبقة اجتماعية دون أخرى . فاننا نجد مثل هذا النمط من النادرة غالبا (وليس حتما) يدور على السنة النخبة من المثقفين أو من هم في حكم النخبة لما أوتوا من نادر الذكاء ولطافة الذوق وقوة البلاغة .

(*) تابع لما نشر في « الفكر » ع 5 - س 28 - فيفرى 1983 .

(15) يقابله نمط أبسط وأيسر - نسبيا - وهو اللعب بالالفاظ وقد فاتنا أن نضعه في محله من التصنيف . ومن أمثلته : « لقى ابن أبى عتيق عمته السيدة عائشة ، وهى على بغلة ، فقال لها : الى أين يا أماه ؟ قالت : لأصلح بين حيين تقاتلا ، فقال : **عزمت عليك الا رجعت فما غسلنا ايدينا من يوم الجمل حتى نرجع الى يوم البغلة** » . الفكاهة في الادب ص 67 .

أ ـ الكنايــة :

« هي التعبير بجملة أو جمل يراد بها ما وراءها من المعنى المرتبط بمعناها الاصلي » (16) .

ويشترط في الكناية ، وفي سائر صور « اللعب بالمعاني » ، ما يشترط في كل فن رفيع من توسط واعتدال بين الوضوح السافر المبتذل وبين الغموض الشديد الممتنع . وهذا الشرط أوكد وأوجب في النــادرة منــه في الشعــر والنثر لأنها بنت اللحظة الخاطفة واللمحة السريعة ؛ كما يشترط أيضا قوة الايحاء وطرافة التعبير ، ومن ثم ، حظ غير قليل من الابتكار والابداع ، اذ النادرة في حقيقتها ، وكما يدل اسمها ، امتاع متجدد واطراف متصل أو لا تكون ، ولهي أشد تطلبا لصفة التجديد والابتداع من جميع الفنون الاخرى . فمن أهم شروط النادرة الجيدة أن تكون بكرا خالصة الطرافة ، قد استوفت حقها من الغرابة والبداعة .

وهي ، منظورا اليها بهذا المقياس النظري المقارب ، منازل ودرجات . منها البسيط القريب المأخذ يتبادر الى الذهن معناه ، ولا يخلو ، على ذلك . من ظرف وفكاهــة .

« أتي أشعب بفالوذجة عند بعض الولاة ، فاكل منها ، فقيل لــه : كيــف تراها يا أشعب ؟ قال : **امرأته طالق ان لم تكن عملت من قبل أن يوحى الله عــز وجل الى النحل !** » (17) .

وتتمثل قيمة النكتة في قوة المبالغة ، وما فيها من تفخيم للمعنى وتهويل واغراب الى حد العبث والمحال (l'Absurde)، في طرافة السياق (الاشارة الى آية من القرآن) وجرأة الصياغة وما تنطوي عليه من تجديــف وتمرس بالحقيقة الدينيــة .

وقريب من ذلك وهو يروى أيضا عن أشعب : « ذكر أشعب بالمدينــة رجلا قبيح الاسم فقيل له : يا أبا العلاء أتعرف فلانا؟ قال : **ليس هذا من الاسماء التي عرضت على آدم !** » (18) .

---

(16) الحوفي ، الفكاهة في الادب ص 74 .

(17) الاغاني ، 19/81 ـ 82 . وهناك رواية أخرى نفس المصدر ص 96 .

(18) نفس المصــدر 19/95 .

وثمة لون من الكناية أخص ، وأدق مسلكا وألطف ، لما يستوجبه من يقظة الذهن وسرعة الخاطر وقوة البديهة والقدرة على حسن التخلص ، بفضل سعة الاطلاع ومتانة الثقافـة .

جاء في كتاب الظراف والمتماجنين : « وكان بين يدى معاوية ثريدة كثيرة السمن ورجل يؤاكله ، فخرقه اليه ، فقال : **أخرقتها لتغرق أهلها ؟** فقـال : **سقناه الى بلد ميت** » (19) .

وهناك نمط آخر أعسر تناولا وأرقى منزلة لما في العبارة من ايجاز شديد ثرى بالدلالة حتى لكأن العبارة نحتت نحتا ، ولهى أشبه بجوامـع الكلم دقـة وتماسكا واكتنازا ، هذا فضلا عما قد يكون في النادرة من براعة في التصوير الهزلى وقوة الايحـاء .

ومثل ذلك تعليق لابن أبي عتيق على شعر لعمر بن أبي ربيعة مريب رأى فيه أثر الفسق والمجون ، فانكر عليه ذلك في دعابة ساخرة : « **يـا عـاهر ! هذا البيت يحتاج الى حاضنة ..** » (20) .

ومثل ذلك أيضا : « قال رجل للعرجي : جئتك أخطب اليك مودتك ، قال : **خذها زنى فانها أحلى والذ !** » (21) كناية عن تحرر العاطفة ، في نظره ، من كل

---

(19) ابن الجوزى ، كتاب الظراف والمتماجنين ، ص 24 .

(20) وتفصيل ذلك في الاغاني : « .. أنشدني ابن أبي عتيق قول عمر (بن أبي ربيعـة) :

وما نلت منها محرما غير أننـا كلانا مـن الثوب المورد لابس

قال : فقال ابن أبي عتيق : أبنا سخر ابن أبي ربيعة ؟ فأى محرم بقى ؟ ثم أتى عمر فقال له : يا عمر . ألم تخبرنى أنك ما أتيت حراما قط ؟ قال بلى . قال : فأخبرنى عن قولك : (كلانا من الثوب المورد لابس) ما معناه؟ قال : والله لاخبرنك : خرجت أريـد **المسجد** ، وخرجت زينـب تريـده فالتقينا ، فاتعدنا لبعض الشعاب ، فلما توسطنـا الشعب أخذتنـا السماء ، فكرهت أن يرى بثيابها بلـل المطر فيقال لهـا : الا استترت بسقائف المسجد ان كنت فيه ؟ فأمرت غلماني فستروني بكساء خز كان على ، فذلك حين أقول : (كلانا من أثواب المطارف لابس) . فقال له ابن أبي عتيق : **يا عاهر ، هذا البيت يحتاج الى حاضنة** » م 1/105 .

(21) الاغـانى 1/379 .

شرط وقيد ، ومن جميع الاعتبارات الاجتماعية والآداب المتعـارفة ، وعـدم ائتمارها بغير نازع الفطرة والمزاج .

ومما يروى فى باب النادرة المجونية الفكهة على ما فيها من افحاش وبذاءة :

« ... اختصم شيعى ومرجىء ، فجعلا بينهما أول من يطلع ، فطلـع الدلال فقالا له : أبا يزيد أيهما خير الشيعى أم المرجىء ؟ فقال : **لا أدرى الا أن أعلاى شيعى وأسفلى مرجىء** » (22) يريد ان رأيه مع الشيعة وهواه مع المرجئة ، لمـا عرف به المرجئة من تسامح فى موقفهم من المذنب .

ويروى عن الدلال أيضا ما يبلغ قمة المجون والتصدى لحرمة الدين والعبث بقداسته وهو ، مع ما فيه من كفر وبذاءة ، من الظرف الاصيل لما ينطوى عليه من براعة الايهام والتمثيل وخفى الخداع والتمويه ، وتندرج هذه النادرة فى باب الهزل الجـاد .

جاء فى الاغانى : « .. صـلى الدلال المخنث الى جانبى فى **المسجد** ، فضرط ضرطة هائلة سمعها من فى المسجد ، فرفعنا رؤوسنا وهو ساجد وهو يقول فى سجوده رافعا بذلك صوته : **سبح لك أعلاى وأسفلى** ، فلم يبـق فى **المسجـد** أحد الا فتن وقطع صلاته بالضحك » (23) يعنى بذلـك ، وقـد تقمص شخص العابد الخاشع باطلا ، استجابة جميع جوارحه وكيانه كله للعبادة ، واخلاصه التام فيهـا .

ب ـ التوريـــة :

هى « .. تعبير الكلمة عن فكرتين منفصلتين، احداهما قريبة الخطور بالبال، لكنها غير مرادة ، والاخرى بعيدة الخطور بالبال ، لكنها هى المرادة » (24) .

وبينها وبين الكنايـة تفاوت نسبى يتمثـل فى درجة الغموض والاخفـاء ، فالتورية ، كما يدل اسمها ، تمتاز عن الكناية ، وكلتاهما من جنس التلميح ، بما فيها من ارادة التعمية والحرص على التضليل والمغالطة ، فاننا نجد ـ عامة ـ بين الدال والمدلول مسافة أوسع ونسبة أبعد مما فى الكناية .

---

(22) نفس المصـدر ، 4/281 .
(23) نفس المصدر 4/78 2 ـ 279 .
(24) الحوفى ، الفكاهة فى الادب ، ص 81 .

وهى لذلك قد تتطلب من حضور الذهن وتوثب الخيال وقوة الحدس ما يمكن من التقريب بين المتباعدات والقفز بأقصى السرعة الى المعنى المراد .. قد تتطلب ، من هذه الميزات أحيانا ، أكثر مما تقتضيه الفنون الاخرى .

فصاحب التورية أشبه بالممثل ذى الوجهين لا ترى منهما الا القناع ، وذى التصرفين تجهد فى تخطى الظاهر منهما الى الباطن الخفى .

ومن لطيف ما يذكر فى هذا الباب : « أكل أعرابى مع أبى الاسود الدؤلى ، فرأى أبو الاسود لقم الرجل كبيرة منكرة ، وهاله ما يصنع ، فقال له : ما اسمك؟ قال : لقمان ، قال أبو الاسود : صدق أهلك فى تسميتك **أنت لقمان** (بفتح القاف) » (25) .

ومما جاء على لسان سكينة بنت الحسين : « ومروا بها فى طريقها على منزل فقالت : ما اسم هذا المنزل ؟ قالوا : جوف الحمار ، فقالت : **ما كنت لادخل جوف الحمار أبدا !** » (26) .

ج ـ الاجابة بغير المطلوب (أسلوب الحكيم) (27) :

---

(25) نفس المصدر ، ص 82 .

(26) الاغانى ، 16/100 ومن أمثلتها ما ذكره الحوفي : « وقف اعرابى على قوم يسألهم ، فقال للاول : ما اسمك ؟ قال : **مانع** ، وقال للثانى : ما اسمك؟ قال : **محرز** . وقال للثالث ما اسمك ؟ قال : **حافظ** . قال : قبحكم الله. ما أظن الاقفال الا من أسمائكم » .. الفكاهة فى الادب ، ص 82 .
ومن أمثلتها أيضا ما ورد فى قصة «طمع أعرابى» على لسان أبان بن عثمان مخاطبا أشعب ، داعيا اياه الى التهكم بالأعرابى والتحيل عليه : «..ويلك يا أشعب ! **ان خالى هذا من أهلك وأقاربك** ، يعنى الطمع ، فأوسع له مما عندك .. » .

(27) جاء فى كتاب الفكاهة فى الادب « من اللعب بالمعانى أن يسال الشخص عن شىء ليجيب اجابة يقتضيها السؤال،فاذا به يجيباجابة أخرى لا يقتضيها السؤال ، ولا يريدها السائل ، ومن هذا التناقض بين السؤال والجواب، أو بين الجواب الذى يتوقعه السائل والجواب الذى نطق به المجيب قد ينشأ الضحك . وبعض هذا النوع يسميه البديعيون (أسلوب الحكيم) ، ص 90 .

وهذا ضرب من اللعب بالمعانى فكه لطيف لما فيه من براعة فى التمثيل والقيام بدور المتجاهل المتغافل ، يظهر سوء الفهم فيجيب مخاطبه فى غير نسق سؤاله ، متطرقا الى موضوع آخر لا يمت بصلة الى مغزى كلامه ، واذا الحديث بينهما أشبه ما يكون « بحوار الصم » ، وكأنهما يسلكان خطين متوازيين لا يكادان يلتقيان ، لان أحدهما يأبى الا أن يفر فرارا من الآخر وهو يجهد فى اللحاق به ، أو هو ، على العكس ، يحور منحى صاحبه سعيا فى تقريبه اليه ، لا ينى يغير وجهته الاصلية ، توحيدا للغاية وحرصا على اللقاء والانسجام .

ومثال ذلك : « .. ما فعله القبعثرى بالحجاج ، اذ قال له الحجاج متوعدا : **لأحملنك على الادهم** (يريد القيد الحديد الاسود) . فقال القبعثرى : **مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب** (يعنى الفرس الاسود والفرس الابيض) . فقال الحجاج ، **أردت الحديد** . فقال القبعثرى : **لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليدا** (ومراده تخطئة الحجاج بأن الاليق به الوعد لا الوعيد) » (28) .

وأخص ما فى هذا الحوار من فكاهة يتمثل فيما يشبه الكر والفر ، أو ما يتجلى فى فن المبارزة من براعة فائقة فى اتقاء ضربات الخصم la parade et l'esquive والتوصل بفضل الدفاع .. مجرد الدفاع الذكى والقدرة على التحرز والاحتياط والصد والامتناع الى زعزعة موقفه واضعاف قواه . الحجاج يقصد شيئا واذا القبعثرى يحمل كلامه على غير بل عكس معناه ، محولا مغزى الكلام من الضد الى الضد .. من الوعيد الى الوعد .. من النقمة الى الصفح والاحسان .

ومما يروى أيضا عن الحجاج :

« قال الحجاج لرجل من الخوارج : أجمعت القرآن ؟ – أمفرقا كان فأجمعه ؟ – أتقرأه ظاهرا ؟ – بل أقرأه وأنا أنظر اليه ؟ – أتحفظه ؟ – أخشيت فراره فأحفظه ؟ » (29) .

---

(28) الهاشمى ، جواهر البلاغة . ص 313 ط 6 . القاهرة 1935 .

(29) البيان والتبيين ، 147/2 . وهذا مثال آخر من « الأسلوب الحكيم » : « ان الحطيئة كان يرعى غنما له ، وفى يده عصا ، فمر به رجل فقال له : يا راعى الغنم ما عندك ؟ عجراء من سلم . قال : انى ضيف . فقال الحطيئة: للضيفان أعددتها » عجراء : كثيرة العقد . السلم : شجر .

د ـ التعريض :

التعريض ألطف أصناف « اللعب بالمعاني » وأدقها لانه (خلافا للكناية والتورية .. (30) أقرب الاصناف اليه .. وما تختصان به من ازدواجية الدلالة وتلازم طرفيها) يقوم على معنى واحد يهتدى به وحده ، وبفضل السياق لا غير، الى ما وراءه من مقصد أو مقاصد ، مما يعسر عملية الافهام والتبليغ ، ويستدعى غالبا نظرة أشمل وانفذ ، لارتباط هذا المعطى الواحد ، فى كثير من الاحيان ـ بباعث أعم مما فى الكناية والتورية ، وأوثق صلة بوضع الجماعة، أو بالشخصية شخصية الفرد والجماعة .. فى سيرتها ومواقفها وردود فعلها وآرائها منه بالاحداث الخاصة والمناسبات الطارئة .

وليس معنى ذلك أن التعريض ينحو منحى العموم دائما فى دلالته ، وانما كثيرا ما يتجاوز منطلقه الخاص ـ فكرة كان أو حادثة جزئية ـ فيدرجهما فى اطار أعم وأوسع ، مقربا بذلك بين معنيين (أو أكثر) جد متباعدين ، فتمتد من ثم مسافة ما بين الدال والمدلول وتطول .

لذلك كان التعريض أوسع مجالا من سائر أساليب «اللعب بالمعاني» الاخرى، وأبعد مدى وأثرى دلالة وأعمق ، فكأنه ، بالنظر الى كافة الانماط الاخرى ، بمنزلة الذروة لطافة أداء وبلاغة تعبير وقوة ايحاء .

وليس المقياس الفني للتعريض مقدار خفاء الدلالة وغموضها وحده ، وانما يتمثل أساسا فى لطف الاشارة (31) ، وحظها من الطرافة والابتكار .

وقد تتجلى هذه الطرافة أحيانا على مستوى اللفظ .. مجرد اللفظ والتعبير .. فى انتقاء العبارة الاوجز والادل على المعنى المراد بخاصية الايحاء فيها ، كأن يكون التعريض فى النادرة بسيط التركيب، ميسور الفهم، قريبا من التصريح

---

(30) « .. أما الفرق بينه (أى التعريض) وبين الكناية فهو أن الكناية قائمة على تلازم وترابط بين المعنيين ، لكن التعريض لا تلازم فيه ولا ترابط ، وانما يفهم السامع المراد الخفى من تلقاء نفسه .
وأما الفرق بينه وبين التورية فهو أن للكلمة الواحدة فى التورية معنى قريبا ترجحه قرينة فى الكلام ، ومعنى آخر بعيدا هو المراد ، ولا قرينة عليه . ولكن التعريض جملة ليس لها الا معنى واحد يدركه السامع ، فيفهم ما وراء الكلام من بواعث » الفكاهة فى الادب ، ص 93 .

(31) أى فى قوة دلالتها وتركيزها .. لفظ قليل ومعنى كثير .. فالتعريض ، من هذا الوجه ، يتنزل فى الصميم من بلاغة الايجاز .

وهو ، على ذلك ، حاد صارم شديد الوقع واللذع ، فى منزلة عالية من البلاغة .. غاية القوة والمضاء فى اقتصاد لا مزيد عليه .. منتهى التأثير بأبسط أداة .

ومثل ذلك ما جاء على لسان أبى الاسود الدؤلى : « قال رجل لابى الاسود الدؤلى : أشهد معاوية بدرا ؟ فقال : **نعم ، من ذاك الجانب** » (32) .

وعلى العكس من ذلك فقد يكون التعريض خفيا لا يتيسر ادراك مغزاه لمن ليس له المام ببعض خواص المتندر عليه وحقيقة موقف المتندر من المعرض به ، وليس فى النادرة مع ذلك طرافة حق ولاحظ من ابتكار ، وان لم تخل من ظرف وفكاهة .

جاء فى الاغانى : « قال : وبعثت سكينة الى صاحب الشرطة أنه دخل علينا شامى فابعث الينا بالشرط . فركب معه ، فلما أتى الى الباب أمرت ففتح له ، وأمرت جارية من جواريها فأخرجت اليه **برغوثا** . قالت : **هذا الشامى الذى شكوناه** . فانصرفوا يضحكون » (33) .

نجد فى هذه النادرة ، وهى من معابثات سكينة التى تشبه ، فى ظاهرها . مزاح الصبيان وبعضا من ألاعيبهم ومعاكساتهم ، موقفا سياسيا من مواقف المعارضة والتحدى للسلطة ، عبرت فيه ابنة الحسين عن ازدرائها لاهل الشام ، فسددت من خلال ذلك طعنة خفية الى الاسرة المالكة ، وقد خصتها بالذم والثلب تحت ستار العموم والشمول .

ولا يمكن فهم النادرة الا باستحضار القرينة وهى ، أولا ، ما بين أهل البيت وبين بنى أمية وأهل الشام عامة من عداوة ، وهو أمر بسيط متعارف ، ثم ، وهذا مفتاح النادرة ، ما يعير به الشام من كثرة البراغيث فيه بالنظر الى الحجاز . وهكذا قد استخدمت سكينة منقصة مما يذم به البلد فوظفتها للمس من السلطة ، والتحقير من شأنها ، فى أسلوب من الدعابة والتشهير ظاهره دعابة « بريئة » وعبث صبيان ، وباطنه جد صارم وسم زعاف .

ومن أبلغ صور التعريض وأطرفها ، وأوفرها ابتكارا وأحقها بميزة الابداع تلك التى تقوم على جمع المعانى والاحداث المتباينة المتناقضة .. يؤلف الظريف بينها تأليفا أو يقرب بينها .. ربطا لبقا ساخرا ومقارنة لطيفة مفاجئة .

جاء فى الاغانى : « .. قال عمر بن عبيد الله لعائشة بنت طلحة وقد أصاب منها طيب نفس : ما مر بى مثل يوم أبى فديك . فقالت له : اعدد أيامك واذكر

(32) كتاب الظراف والمتماجنين ، ص 25 .
(33) الاغانى ، 16/95 .

أفضلها . فعد يوم سجستان ويوم قطرى بفارس ونحو ذلك . فقالت عائشة : **قد تركت يوما لم تكن فى أيامك أشجع منك فيه** . قال : وأى يوم ؟ قالت : **يوم أرخت عليها وعليك رملة الستر** ، تريد قبح وجهها » (34) .

هذه النادرة من أجود ما يستشهد به فى باب الهزل الجاد ، ظاهره مدح وباطنه ذم وازدراء . ومن أظرف ما يلاحظ هنا ازدواجية السخرية ، فان عائشة بمقارنتها لايام زوجها (أى وقائعه الحربية وما أبداه فيها من صبر وبلاء حسن) بيوم دخوله على رملة وكانت ، كما قيل ، قبيحة الوجه ، قد سخرت بهما معا ، اذ استخفت بهذه الايام وهونت من شأنها بمجرد المقارنة والموازنة بينها وبين

---

(34) نفس المصدر ، 176/II . ومثله فى منحاه وتركيبه ، ولعله أبلغ وأطرف لما فيه من جرأة التصور وغرابة التخيل والجمع بين أشد المعانى تناقضا قول ابن أبى عتيق يداعب عمر بن أبى ربيعة ، معرضا فى الآن نفسه بأولى الامر من بنى أمية فى سخرية جارحة فاضحة لما فيها من انتقاص لهم وطعن فى كفاءتهم واستحقاقهم للسلطة ، ولما فيها أيضا من افحاش فى التعبير . وتفصيل الخبر أن احدى صديقات عمر قد غضبت عليه وجافته غيرة ، رامية اياه بالخيانة : « قال .. وبعث اليها امرأة كانت تختلف بينه وبين معارفه ، وكانت جزلة من النساء (أى جيدة الرأى حسنة التصرف) ، قصدقتها عن قصته ، وحلفت لها أنه لم يكن عنده الا جاريته فرضيت ، واياها يعنى عمر بقوله :

فأتتها طبة عالمة ... تخلط الجد مرارا باللعب
تغلظ القول اذا لانت لها ... وتراخى عند سورات الغضب
لم تزل تصرفها عن رأيها ... وتأتاها برفق وأدب

.. قال .. ان عمر أنشد ابن أبى عتيق هذه القصيدة ، فقال له ابن أبى عتيق : **الناس يطلبون خليفة منذ قتل عثمان فى صفة قوادتك هذه يدبر أمورهم ، فما يجدونه !** » نفس المصدر ، 137/I ـ 138 .
ومن أجود التعريض وألطفه وأوفره حظا من اللباقة والكياسة رد معاوية على عمرو بن العاص ، وقد وصف له ، مداعبا اياه ، ما قد رأى فى منامه من سوء حال الخليفة يوم القيامة وشؤم عاقبته ، فقال معاوية : « هل رأيت هناك شيئا من دنانير مصر !؟ » وقد سبق أن استشهدنا به فى باب « الرد بالمثل » ، فقد تنطوى النادرة الواحدة على أكثر من أسلوب من الاساليب الفنية مما يعسر أحيانا عملية التصنيف .

حادثة بغيضة لا فخر فيها ولا امتياز .. حادثة سلبية لم يثمر الصبر فيها سوى الخيبة والحرمان ، هذا عدا الطعن في ذوقه الفني وقيمة اختياره .

إن سجل النادرة الحجازية ، كما قد رأينا من خلال بحثنا . ثرى عريض تعددت أصنافه ، واختلفت وتباينت أشد ما يكون الاختلاف والتباين ، وبلغ الكثير من نماذجها مستوى الجودة والابداع ، وذلك بفضل عوامل عدة متشابكة متضامنة ساعدت على نشأة هذه النادرة وازدهارها .

منها الثقافة العربية طريفها وتليدها ، وخاصة ما امتاز به العرب من موهبة بلاغية ممتازة . وقد كان هذا التراث الحي النامي وجه الاصالة في هذا الفن ودعامته وبمثابة النسغ فيه .

ومنها تأثير الموالي العريقين في الحضارة ، ولا سيما أهل الفن منهم ، فقد كانت بيئة المغنين ، وخاصة المخنثين منهم ، منطلق النادرة ، وأخصب تربة لها وأثراها .

وقد أكد هذا التأثير نزعة القوم الى الترف والتحرر الاخلاقي والفكري والتفتح لمباهج الحياة ، وهي شروط كان لابد منها لكي يتوفر الجو النفساني الاجتماعي الملائم لبروز النادرة بوجهها الجديد الذي عرفه أهل الحجاز في القرن الاول ، وصيغتها المبتكرة الطريفة التي أحبوها الى حد الشغف ، وحرصوا أيما حرص ، تشجيعا بالجهد والمال ، والعطف والعناية ، على انمائها واثرائها .

وكانت ثمرة هذه العوامل والجهود اضافة فن جديد الى مجموعة فنون القول الاخرى التي عرفها العرب وحذقوها ، ونعني بها الشعر والخطابة والامثال .. فن قائم بنفسه ، وان كان يستمد ويتغذى من غيره ، قد برزت معالمه وتحددت ، وأصبح ينافس الفنون الاخرى ، ويستدعي اعجاب معظم فئات الشعب ، حتى أهل الصلاح والتقوى والزهد منهم ، فضلا عن المثقفين من أهل النعمة والترف .

ولعل من أبلغ الشواهد على رقي هذا الفن ونضجه ظاهرة الاحتراف ، على ما قد يكون فيها من سلبية فلقد ظهرت ، الى جانب المثقفين المطبوعين على قول النادرة من الهواة وفضلهم عظيم لا ينكر ، جماعة تفرغت أو أريد لها أن تتفرغ للتندر ، وسخرت له جميع ما لها من امكانات .

وقد كان ، لا ريب ، لهذه الجماعة من أهل الاختصاص ، فضل كبير في انطلاقة النادرة الحجازية، وما تم لها من « قفزة نوعية » ، وفي اثرائها واكسابها خصوصيتها التي عرفت بها واشتهرت بين الاقطار الاسلامية الاخرى حتى أصبح يضرب المثل بظرف الحجاز (والنادرة من أخص مقومات الظرف وأهمها) ، ويحتذي الناس ، جهدهم ، على مثاله ، يرون في ذلك تمام بهجة العيش ، ونموذجا أعلى لفن الحياة .

البشير المجدوب

مِنْ رسائل جدتي ...

ابداع : نعيمه الصيد

سيــدي ...
أى هم ألبستنى ... حين أشعلت في الذنوب ..؟
يداهمنى الحنين ...
تجتاحنى لحظة الصفح ...
وتشتهى عيناي التى كبرت فيك حدقتيها ...
أن تبادلك الدفء ...
وأعذر حذرك ...
أعذر خوفك وأنا فى أوج اشتهائى ...
أقف أمام ابتسامتك الأليفة ...
فتتانق النخلة ...
تستريح بين الضلوع فى طفولة وبراءة ...
تينع الشمس فى دمى ...
وأعشقك أكثر ...
أعشقــك ...
أقف كاتمة ما يخامرنى ...
وأستصفيــك ...
أستدعى السكينة والهدوء ...
وأقــول :
لى مشاكسة الطفولة ...
لى عشقي المجنون ...
واندفع لأضمك ...
و . . . . . .
وتزهر فى كفي الأقمار ...
. . . .
فتسخر من رغبتى ...
من وجهى القمحى ... بسحابات الخلافات العربية ...

وتقول لى ... ببرودة الدماء الافرنجية ... :
في فراشي بانتظار ...
ملاك رومية .
ثم تمضى مسرعا ...
تمضى تخلفنى محمومة ...
بالرياح الطوفانية ...
تخشخش فى صمت صدرى أفعى ...
تخنق الأفعى ...
وأرتجف عشبة ...
أستقر على الأرض ...
وتنطفىء الرغبة فى العيون الزجاجية ...
يلفنى الضباب الرمادى ...
يعبىء رأسى ... رعبا ... موتا ...
وتخفق أضلعى تحت سماء نحاسية ...
لك ما تشاء يا سيدي ...
لكن لا تنكر دمي ...
كلماتي التي جف منها فمي ...
وشفاهي جسرا كانت ...
لزورق عامر بالطيب الندي ...
لا تنكر أنك رغبتنى ...
خلف بابك خيل لذاتى أمتطى ...
وعلى عشبك أسفح عريي ...
فيتخطى جسدى ... أقاليم لم تكتشفها خطوتى ...
لا تنكر ...
لا تنكر انك رغبتنى ...
أن أصدق ما تدعى ...
أصدق أنك عاذرى فى أوج .. أوج انفلاتى وشهوتى ...
شكرا ...
شكرا سيدى فعادتك علمتنى ...
وكنت وما زلت الشهوة القراح رغبتى .

نعيمة الصيد

صَرْخَة شَوْق

شعر : حياة بن الشيخ

لا تلمني إنْ همى بالدمعِ هُدبي ... أوْ تغنتْ آهةٌ في ليلِ دربِي
ماتَ في الأحزَانِ يومي ، وغدي ... طمستْ صورتهُ خيبةُ حُبّي
ما الذي أقصاكَ عنّي ؟ فتنة ؟ ... أمْ وشاةٌ نَحَرُوا بالغدْرِ قلبي ؟
كلّ ما أدريه أنّي ميتَةٌ ... اشربِي أيتُها الأشجَانُ نخْبِي
كلمَا لاحَ لِعَيْني أمَلٌ ... حائِرُ الطلعةِ بالأسرَارِ يَسْبِي
لمْ يَكنْ غيرَ سَرَاب بعثرَتْهُ ... ـ المنايَا ـ في تجنّ ـ كلّ صوْب
أبِقَ الطيرُ الذي أرْقُبُهُ ... وغفا فَجْرِي في ديجُور سحبي
مرّ دهْرِي في احتِراقٍ وأسى ... إنما ـ لوْ مرّةً ـ ما قلتُ : حَسبِي
وشربتُ البؤْس خمرًا ونَهَلْتُ ... شذى الحرمان من صهباء تعبِي
فأنَا الأشوَاقُ ، والحبّ أنَا ! ... يا حبيبي .. آهِ ما أتعس قلبِي !
ابتعِدْ يا حزْنُ عنّي أوْ فَخُذْ ... عُمُري ، ثمّ لوهْم الأمس عدْ بي
أعطنِي حبا ، ودعنِي والمنَى ... للهوى ظماى..ترى منْ ؟ منْ يُلبي؟

حياة بن الشيخ

الطلبة الجزائريون بتونس
(1900 – 1962)
بقلم : محمد صالح الجابري

– 3 – (*)

وعلى عهد الشاذلي بن المكي استقبلت جمعية الطلبة رئيس جمعيــة العلماء عبد الحميد بن باديس ثلاث مرات فيما بين سنتي 1936 – 1937 ، ودعتــه في احدى هذه الزيارات لالقاء محاضرة على شرفها ، وكانت استجابة بــن باديس تلقائية لهذه الدعوة ، فكان له لقاء مع الجمهور التونسي والجزائري على منبر قصر الجمعيات الفرنسية بتونس ، حلــل خلاله اوضــاع الجزائــر العلميــة والسياسية والاجتماعية (30) .

واثناء هذه الزيارات الى تونس كان بن باديس كثيرا ما يلتقي باعضاء الجمعية ويحظهم بنفحات منه ، وفي كل هذه اللقاءات كان يلقن رئيس الجمعية بمحضر أعضاده « المثل العليا ، ويريه من نفسه نماذج مثلى » (31) .

ولعل أهم ما قامت به الجمعية في عهد رئاسة الشاذلي المكي هو اصدارها لاول نشرية تجسم اعمالها ، وتعــرف بنشاطها لــدى القارىء في أرجــاء المغــرب العربي . وقد اختارت لها تسمية (الثمرة الاولى) (32) تعبيرا عما كان يساورها من الشعور بالفخر وهي تقدم أولى ثمراتها ، وبادرة اعمالها ، وتخطو خطوتهــا

(*) تابع لما نشر بــ « الفكر » في العدد 5 – السنة 28 – فيفري 1983 .

(30) وهي القاعة الواقعة في شارع (باريس) بتونس العاصمة ، وقد اصبح يطلق عليها بعد الاستقلال دار الثقافة ابن رشيق .

(31) (الثمرة الثانية) ص 11 .

(32) صدرت سنة 1937 عن مطبعة الشباب شارع باب منارة رقم 21 تونس

العملية البكر فى مضمار المساهمة الايجابية فى التعريف بنواة الفكر الجزائرى الشاب ، كما تشير التسمية الى ما كان يتحلى به اعضاء الجمعية من التفاؤل وارادة العطاء ، والتصميم على تقديم ثمرات لاحقة .

اشتملت الثمرة الاولى على ملف حافل بالدراسات الدينية التى القيت على منبر الجمعية عند الاحتفال بذكرى الهجرة النبوية الموافقة لسنة 1356 هـ ، وقد تضمن الملف مشاركة ثلة من رجال الاصلاح والوطنية ، تونسيين وجزائريين ، ساهموا فى تخليد هذه المناسبة الكبرى . ولاشك ان اقناع الجمعية هؤلاء بالمثول على منبرها وتلبية دعوتها يدل دلالة واضحة على ما أصبحت تحتله فى عمرها الوجيز هذا ـ من مكانة مرموقة ، وما تلاقيه من التأييد والتزكية .

ويبدو ان الجمعية فكرت مسبقا فى اغتنام فرصة مشاركة هؤلاء فى احتفالها المذكور للاستفادة من دراساتهم وكلماتهم وخواطرهم فى ابراز « الثمرة الاولى » على النحو الذى كانت تطمح اليه . ولهذا الغرض ايضا راسلت مجموعة من كبار اعلام الاصلاح والادب فى الجزائر لموافاتها بكلمات تصلح للنشر ، بعد ان تلقى نيابة عنهم فى هذا الحفل وبذلك استطاعت ان تجمع فى هذا الملف اقلام ومواقف وآراء التونسيين الى مواقف وآراء اشقائهم الجزائريين فى ذكرى من ذكريات المحن الاسلامية التى لعب فيها التضامن والصمود دورا هاما فى تحقيق النصر ، ذكرى مناسبة الهجرة النبوية الكريمة التى جمعت النفوس على الهدى ، وآلفت بين قلوب مطمئنة ، عامرة بالثبات ، والاستماتة فى سبيل نصرة المبادىء الراسخة .

وقد كان غرض الجمعية ايضا ان تضمن هذه النشرية ما كان تجمع لديها من المقالات الادبية والفكرية التى كانت تلقى فى الاماسى التى تعقدها تشجيعا لمواهب الطلبة ، وحثا لهم على الكتابة ، الا ان ملف الهجرة تضخم ، واستوعب فيما يبدو كل الميزانية المرصودة لهذه النشرية . مما جعل الهيئة ترجىء نشر الملف الادبى الى فرصة اخرى ، وتعطى الاولوية للكلمات والدراسات التى اعدت بمناسبة الاحتفال بالهجرة .

والحقيقة ان اهتمام الهيئة الادارية بشخصية الرسول عامة ، وبموضوع الهجرة بصفة خاصة فى اول احتفال للجمعية (33) لم يكن اهتماما اعتباطيا بقدر ما كان يهدف الى ابراز المغزى العميق للهجرة النبوية ، واستلهام شخصية الرسول وجهاده لتلقين الناشئة من طلبة الجزائر ضروبا من الدروس الخالدة والكفاح الصامد المستبسل كى لا يذهب بهم الظن الى ان هجرتهم من الجزائر الى تونس هى هجرة الفرار من العسف ، والخوف من الارهاب ، والاحتماء بالظل من الرمضاء ، واسترواح الراحة والخلود الى السكينة ، فيصرفوا النظر عما ينتظرهم فى الوطن الذى هاجروا من أجله .

انها ذات المعانى الرائعة التى ادركها فضيلة الشيخ عبد الحميد بن باديس فى كلمته التى ارسل بها من الجزائر ، استجابة للدعوة التى تلقاها من طلبة الجمعيـة .

لكاننا استشف بحدسه الخاص ونباهته العالية نوازع الحنين ، والشعور بالغربة الذى يستثيرهم فأبى فى كلمته الا ان يلامس المقاصد التى قصدوا اليها من اقامة هذا الحفل ، ويساعدهم بالتالى على تلمس « المثل السامى للهجرة النبوية » ، فيخرج بهم عن الاطار التقليدى الذى اعتاد العلماء والمؤرخون ان يؤطروا فيه كلماتهم كلما دعوا لاحياء هذه الذكرى ، ويوجه عنايتهم فى سلاسة اسلوب ووضوح فكرة الى اقرب المقاصد ، وادنى الغايات ، واهم الاغراض التى يمكن ان يستخلصها العالم الجزائرى المصلح من احتفال الطلبة الجزائريين بمثل هذه المناسبة .

المهاجرون يحتفلون بالهجرة ومن أحق بالاحتفال بها منكم ؟

نعم انتم يا ابنائى الجزائريين مهاجرون ، هاجرتم وطنكم لا لتستريحوا منه وتتركوه ، فتكونوا هاجرتم بانفسكم لانفسكم : بل لتتبعوا انفسكم ثم تعودوا اليه فتنقذوه .

---

(33) اقام الطلبة فيما يبدو احتفالات عديدة فى نطاقهم الخاص بمناسبات استقبال الطلبة الجدد او توديع الطلبة المتخرجين . ومن هذه الاحتفالات الاحتفال الذى اقيم فى مطلع السنة الدراسية 1933 / 1934 اى عند تكوين الجمعية . وقد القى فى هذه المناسبة احد الطلبة الشعراء وهو محمد الحفناوى بن الاخضر السوفى قصيدا شعريا نشرته جريدة (الصراط) الجزائرية فى عددها الصادر يوم 1 جانفى 1934 بعنوان احتفال الطلبة الزيتونيين الجزائريين بتونس .

وهكذا كانت هجرة محمد صلى الله عليه وسلم وهجرة اصحابه رضى الله عنهم ، فارقوا مكة وهى كما قال النبىء صلى الله عليه وسلم فى الكلمة التى ودعها بها عند الجزورة : « أحب البلاد اليهم » . وجاء الى المدينة والحنين الى مكة وطنهم الاول لم يفارقهم حتى دعا النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو اكثر » .

ثم داموا على الجد والعمل والجهاد المتواصل حتى فتح الله عليهم مكه .

هذا هو المثل السامى الذى يجب ان يطمح ويعمل اليه كل مهاجر منا معشر المسلمين لانه هو الصورة الصادقة للهجرة النبوية (34) .

بهذه الاشارات ذات الدلالة العميقة وضع ابن باديس هذا الاحتفال فى اطاره المعاصر ، بعيدا عن كل ما كان تبادر الى اذهان جميع المحتفلين الذين شاركوا بكلمات ودراسات تتصل بالتاريخ أكثر من اتصالها بالواقع والحياة والنضال . فهو يوجه انظار الطلبة الى وجوب العودة الى « مكة الجديدة » ، وتخليصها من ادران الاستعمار ، تماما كما جاهد الرسول واصحابه للعودة الى « مكة الشريفة » تحت رايات النصر بدلا من الايغال فى الحنين ، وتوطين النفس على الاحلام .

فالطريق الى « مكة الجديدة » او بعبارة اوضح الى تحرير وانقاذ الجزائر لا تكون سالكة الا اذا تحلى السائرون فيها بـ « الجد والعمل والجهاد » ، تلك الخصال والمثل الجليلة التى تحلى بها المجاهدون الاولون من الصحابة ، فكانت طريقهم الى النصر ، والى فتح مكة .

ولكن هل يعتبر مهاجرا من هاجر من الجزائر الى تونس ، أو منها الى مراكش او طرابلس الغرب تلك الاقطار المتآخية ، ان لم تكن قطرا موحد المعالم الجغرافية والعرقية والحضارية .

هل يعتبر مهاجرا من هاجر من وطنه الى وطنه ؟

يرى ابن باديس فى هذا الخصوص ان هجرة الطالب الجزائرى تندرج فى المعنى الضيق لمصطلح الهجرة ، اذ لا يمكن ان يسمى مهاجرا من هاجر « وطنه الاول الى وطنه الثانى » . ولكن هذا النوع من الاحاسيس بالهجرة يبرره عاملان اولهما الحنين الى الوطن الاول وهو امر عاطفى مشروع ، ان لم يكن مرغوبا

---

(34) (الثمرة الاولى) ص 23 .

فى اثارته . وثانيهما الواجب الخاص الذى يحتم على المرء القيام بمهامه فى المحيط الاجتماعى الذاتى الضيق حيث لا يجوز لغيره النيابة عنه ، فهو الحق الخاص للوطن الاول على المهاجر مهما تناءت به الاوطان ، فان قصر فى أدائه أهمل ذاته ، وفرط فى مصالح أمته ، وادخل الارباك على حركة التوازن والتفاعل الاجتماعى .

وان الالحاح على هذه الخصوصية ، والتاكيد على الواجب الذاتى للمهاجر لا يتنافيان ووحدة الشمال الافريقى الطبيعية ، التى تجسمها فى كل يوم الاحداث التى تتمازج فيها دماء الشهداء .

وكمثل على قيام هذه الوحدة فى صورتها الطبيعية يشير بن باديس الى حوادث المتلوى (35) ، التى جدت فى تلك السنة ، ودفع فيها العمال (36) بمختلف جنسياتهم التونسية والجزائرية والمغربية والليبية أرواحهم نتيجة شعورهم بالتضامن ، والوحدة ، ودفاعا عن شرف الارض ومقاومة للظلم

---

(35) وقعت هذه الحوادث فى منجم الفسفاط بالمتلوى فى شهر مارس 1937 ، وذلك اثر احتلال العمال وهم من التونسيين والجزائريين والمغاربة والليبيين لاماكن العمل ومنعهم الاوربيين من الالتحاق بوظائفهم اثر اضراب قاموا به للمطالبة بتعديل الاجور .
فما كان من الفرنسيين الا ان جنحوا الى القوة ، فامر الجيش باطلاق النار على المضربين فاستشهد منهم ثمانية من التونسيين، وثلاثة من الجزائريين وثلاثة من الطرابلسيين ومغربيان .

(36) من المعلوم ان مناجم الجنوب الغربى من الجمهورية التونسية وهى مناجم المتلوى ، والرديف ، وام العرائس والمضيلة المتاخمة للحدود الجزائرية التونسية ظلت حتى استقلال الجزائر تمثل نموذجا مصغرا لتعايش ابناء الاقطار المغربية حيث يعمل بهذه المناجم ويقطنها عدد كبير من الجزائريين والليبيين والمغاربة المهاجرين الى تونس فى فترات مختلفة . وقد عمدت السياسة الاستعمارية الى أستغلال هؤلاء فى المشاريع الاستثمارية الكبرى خوفا من تفوق عدد العاملين التونسيين ، وظنا منها ان هذا التوازن بين الفئات العاملة المنتمية الى اقطار مختلفة سوف يجنبها الوقوع فى ازمات الاضرابات ، وسوف يثير صراعا طائفيا واقليميا بين ابناء الجنس الواحد . غير ان هذه السياسة منيت بالخيبة ، ولم تكن حادثة المتلوى الا واحدة من حوادث تآخى الدم .

الاستعماري . ويستنتج ذلك كون ـ الوحدة ضرورة ملحة في المرحلة الاولى ـ على الاقل ـ من حياة الشعوب ذات الخصائص الواحدة الى ان تتجاوز الانسانية اوضاعها المتردية وتتشبع بالمبادىء الاسلامية فتسمو بنفسهـا ، وتتخلص من وحشيتها ، وتصبح كلها وطنا واحدا .

وحتى تحقيق تلك الامنية البعيدة يرى بن باديس أن لا مناص من بذر روح الوحدة في النشأ الطالبي الجديد ، وتذكيره بالامال المشتركة التي تمثلها وحدة الشمال الافريقي ، مخاطبا اياه في هذا الصدد بقوله : « تعلمون يا أبنائي ان الشمال الافريقي : طرابلس ، وتونس والجزائر ومراكش وطن واحد بآماله كما يمثله حفلكم هذا . فحياكم الله لو بآلامه كما مثله شهداء المتلوى قتـلى الظلـم والغطرسة والوحشية ـ رحمهم الله . بل لو تربت الانسانية المعذبة على المبادىء الاسلامية لكانت الكرة الارضية كلها وطنا واحدا .

ولكن هذا لا يمنع من حنين المرء الى وطنه الاول لتقدم حقه عليه قبـل سائر الحقوق ، ذلك الحق الذي لا ينتظر المرء قيامه بغيره اذا قصر فيه . ومن أهمل ذاته كيف يستطيع ان ينفع ذوات غيره ؟

فلماذا أدعوكم وأنتم في تونس الشقيقة مهاجرين ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ـ وهم ما فارقوا العرب ، ولاوطـن العرب مهاجرين . ثبتكم الله ، وأعانكم الله ، وفقكم الله ، ورجع الله بكـم الى الجزائـر سالمين غانمين من الحق والخير ، عاملين مجاهدين » (37) .

لقد كانت كلمة الشيخ بن باديس ـ على ايجازها معبرة كـل التعبير عمـا يخالج ضمائر الطلبة ، وعواطفهم ، ومشاغلهم . كما كانت ذات مغزى سياسي وانساني ، ارتفع بها من تقريرية البحث العادي ، وما يتوجب قوله في مناسبة دينية معروفة ـ الى ما يجب أن يستخلص من الاحداث التاريخية والشواهد ، والمثل الاسلامية ، فما أشبه الليلة بالبارحة ، اولئك المهاجرون الذيـن غادروا وطنهم الثاني ، فارين بدينهم في انتظار هدؤ العاصفة ، وهؤلاء الذين شردوا من ديارهم ، وأكرهوا على الهجرة منها ليقوموا بالواجـب المناط بعهدتهم ، وهو صنع مستقبل وطنهم .

وبالاضافة الى هذه الكلمة البليغة المؤثرة التي تجسم خلاصة الغاية من اصدار الثمرة الاولى ، نجد عددا هاما من كبار رجال جمعية العلماء ، وفضلاء الاساتذة

(37) (الثمرة الاولى) ص 24 .

المقيمين فى الجزائر يستجيبون لدعوة الطلبة ، ويساهمون فى حفلهم هذا ، اما بالكتابة الى هيئتهم الادارية مثلما فعل بن باديس او بالاعتذار لديها عند الضرورة .

من هؤلاء الذين دعوا للمساهمة بالحضور أو الكتابة ، فأرسلوا موضوعاتهم من هناك الشيخ ابو يعلى الزواوى ، الذى كتب موضوعا بعنوان « حول الهجرة » وعلى رحومة الذى ارسل مقالا عنوانه « اثر الهجرة فى الاسلام » . وقد كرس الاول منهما موضوعه لا ستعراض النواحى الاسلامية التاريخية المعروفة من الهجرة . أما ثانيهما وهو الشيخ على رحومة فقد حاول ان يستخلص العبرة من الهجرة ، ويوجه انظار الطلبة الى حالة الاسلام والمسلمين ، وما عليه القومية من الهوان والمسخ ، ويحثهم على التضحية فى سبيل الدين الذى بات غريبا مبتذلا من قبل أهله ، ومن قبل الغرباء على السواء .

ومن شأن الاحتفال بالهجرة ان يكون حافزا للخروج من حالة الصمت والسلبية الى طور الفاعلية ، وخدمة ديننا واوطاننا وقوميتنا : « هذا هو التاريخ يخاطبنا: أن لا حياة الا بالموت ، وأن لا عز الا بالتضحية أفيليق بنا أن نأكل ملأ البطون ، ونرقد ملأ الجفون ، ودين الله وتراث محمد مهان مذلول ، يدوسه أهله وغير أهله بما شاءت لهم أهواؤهم من ضروب المنكرات ، وتهتك شرائعه ، وتمسخ وتذل لغته وتحقر ، ويعرف قانونه ، ويستعمل فى غيرما وضع له ، وتناط بأهله أحقر الالقاب ، ويوسمون بأرذل السمات ، ويوضعون موضع السخرية والهنات » .

حالة الهوان والضعة هذه هى التى دفعته الى أن يتوجه الى الشباب فى آخر مقاله صارخا فيهم مستنهضا فى حماس وقوة : « فالبدار البدار ، والتضحية التضحية ــ أيها الشباب فأنتم جنود الاسلام وحماته ، ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد » (38) .

كما اعتذر عن المشاركة فى هذه الذكرى كل من الشيخ محمد مبارك الميلى ، والشاعر مفدى زكرياء ، اذ لم يتمكنا من تلبية الدعوة الموجهة اليهما فكان أن أرسلا برسالتى اعتذار جاء فى احداهما ، وهى رسالة الشيخ الميلى اغتباطه بهذا النشاط الذى رآى فيه تحقيق حلم من الاحلام التى كانت تراوده منذ كان طالبا، وها هو يراه اليوم واقعا ملموسا بفضل آخذت تقوم به الجمعية من نشاط

(38) (الثمرة الاولى) ص 47 .

حاشد يجمع بين صفوة الجزائريين والتونسيين من شباب البلدين ، ومن كبار علمائهمـا .

ان هذا الشعور هو الذى جعل الميلي يخاطب الطلبة فى رسالة اعتذاره بقوله « وليعلم ابناؤنا واخواننا من أعضاء جمعية الطلبة أن بودنا أن نشجعهم على المضى نحو غايتهم السامية ، وان نمدهم بكل ما فى وسعنا امدادهم به ، فان هاته الجمعية تحقيق لاحلام كنا أردنا ابرازها ايام طلبنا العلم فى جامع الزيتونة وعاقنا قلة الحاملين لهذه الفكرة ، والمؤمنين بنجاحها ، فنحن نرى فى هذه أمنيتنا التى كنا نقترحها على الزمان .

واذا طلبتم منى كلمة تلقونهـا فى احتفالنا ، فلم تطلبوا الا أقل حق لكم علينا » (39) أما رسالة مفدى زكرياء فقد ضمنها مشاركته الروحية فى احتفال الطلبة بهذا الحدث ، كما تضمنت دعاء لهم بالخير ودعوة لهم للاسراع بتلبية نداء الوطن الذى يستنجد بهم قائلا بهذا الخصوص «أبقاكم الله لهذا الوطن الذى يستنجد بكم ، ويستغيث ويترقبكم بفارغ صبر لتنتشلوه من هوة الفناء والانحلال ، بما تقومون به من التضحية ، وما تقدمونه فى سبيل السعادة من جلائل الاعمال . فهنيئا لكم يا أبناء اليوم ويا رجال الغد » (40) .

ولقد كانت هذه المناسبة كذلك احدى الفرص الهامة التى أتاحت لابناء الجزائر من الطلبة الكتابة (41) فى موضوع الهجرة ، وشحذ اقلامهم ، والوقوف على منبر الخطابة أمام اساتذتهم وأمام الجمهور ، ونشر مقالاتهم جنبا الى جنب مع مقالات أساتذتهم وزملائهم بالزيتونة ،و الظهور بمظهر الانسجام والتآلف ، اذ كانت تلك اول مناسبة تتاح فيها للجمعية تنظيم مثلهذا المهرجان على المستوى المغربى ، مما حمل رئيسها الشرفى الشيخ المختار بن محمود على الوقوف فى هذا الحفل ليؤثر هذا الجهد المتواضع ، ويعدد على الملأ شيم الطلبة الجزائريين ، وخصالهم التى تبعث على الانشراح والغبطة ، وتحمل على التباهى والتفاؤل بمستقبل سعيد ينتظر الجزائر المكافحة : « وان مما يضاعف هذا

---

(39) (الثمرة الاولى) ص 88 .

(40) (الثمرة الاولى) ص 88 .

(41) من هؤلاء الطالبة بعض اعضاء الهيئة الادارية وهم : محمد العربى الصائغى ، واحمد بن البشير اليحياوى والاخضر السائحى ، وأحمد حمانى الميلى ، وعثمان الصائغى ، ومصطفى الجيجلى . وبعض الطلبة الآخرين مثل محمد الشبوكى والوردى التبسى .

الامل وينميه ما أشاهده من التلامذة الجزائريين ـ بارك الله فيهم ـ من اجتماع ثلاثة امور ، وهي ملاك الفضائل كلها وهي : اولا تقوى الله ، وثانيا المحافظة على القومية ، وثالثا العمل » (42) .

ويطنب الشيخ بن محمود في تحليل هذه الخصال الثلاثة ، باعثا في أنفس الطلبة روحا جديدة من العزم والبذل بفضل ما راى فيهم من السلوك المثالى قائلا : « فأما تقوى الله فذلك هو شعار غالب من رأيناهم من طلبة الجزائر ، فترى فيهم المحافظة على الصلاة ، والبعد عن مواقف الزلات والشبهات ، والتحلي بحلية الاداب ، وأخلاق الانجاب .

واما المحافظة على القومية فكل واحد منهم متمسك بعاداته ، معتز بمجد قومه ، عامل على احياء ما اندثر من آثاره .

وأما حب العمل فان تلامذتنا الجزائريين بجامع الزيتونة مقبلون على التعليم غاية الاقبال ، يحضرون الدروس وفيهم نشاط ظاهر ، ورغبة في التحصيل ، وميل الى الفهم والتحقيق ، وتعلق بأهداب المعالي والكمالات ، مع الاداب والتربية واحترام المشائخ ـ احترام الابناء للآباء ـ ومع حلية اخرى هي زينة العالم الزيتوني ، وعنوان فضله وهي حفظ القرآن . وناهيك بحفظ القرآن بالنسبة للعالم ، فهو نبراسه المضيء وحجته الدامغة ، ولسانه الذي يدافع به عن الدين ، ويرد به شبهات المشركين والملحدين » .

بهذه الصفات والاخلاق السامية يحقق الطلبة الجزائريين في رأى الشيخ بن محمود نتائج باهرة في مضمار التعليم والحرص والكد . وهم بهذا السلوك كما يقول : « جديرون بالتنشيط والتشجيع ، ومستحقون لكل مبرة واكرام ».

وكان الشيخ بن محمود لشدة اعجابه بهذا النشا المبارك يتمنى : « ان لو كان حاضرا معنا هنا بعض اصدقائنا من علماء الجزائر حتى يشاهدوا آثار أبنائهم الزيتونيين ، ويروا أن الغرس الذى غرسوه قد نضج ثمره ، وآتى اكله شهيا طيبا » .

فمن مظاهر البر والعرفان التى عددها الشيخ بن محمود هو التئام الطلبة في وحدة تجمع شتاتهم ، وتحملهم على تقديم العون والمساعدة الى بعضهم ، وحماية المهاجرين الجدد منهم الذين كانوا يؤمون الجامع سنويا باعداد وافرة دونما زاد او منحة ، مختصون الحدود بوسائلهم الخاصة بسبب الفقر والملاحقة .

---

(2) الثمرة الاول ص 25 .

كما أن من مظاهر البر والعرفان ذلك الحب العميق الذى يكنه هؤلاء لوطنهم، وذلك العمل الدائب من اجل التعريف بالجزائر وقضيتها التى اصبحت بواسطة الجمعية قضية معروفة ، يساهم الطلبة بالكتابة عنها فى مختلف الصحف ، واقامة المهرجانات وجعلها مناسبة لابراز اسم الجزائر واعلانه ، وكذلك لتخليده على صفحات الاسفار المطبوعة كما فعلوا عند اهداء « الثمرة الاولى » الى الجزائر .. « التى لم تر من الابناء الذين يحسبون لحرمة الامومة حسابها ويفقهون للكرامة معناها ـ الا النادر القليل » ..

الى الام الحنون والوطن المفدى بالنفس والنفيس : الجزائر العزيزة الناهضة نهدى كعنوان على الطاعة والولاء ، والتضحية والجهاد فى سبيل مرضاتها وهنائها ـ هاته القطرات المنعشة علها تثلج صدرها المحترق ، وتخفف نوعا ما من كمد كبدها الحسرى الملتهبة فتبتسم للمستقبل الزاهر ،وتنشرح نفسها للامل السعيد » .

وهكذا استطاعت هذه الهيئة الادارية النشيطة فى عهد (43) رئيسها الشاذلى المكى وكاتبها العام أحمد بن ابى زيد الاغواطى أن تقوم بدور بارز فى مجال دفع الجمعية الى العمل الفكرى والسياسى ، وربط الصلة بجمعية العلماء الجزائريين ، والاعلان عن نفسها فى الصحف ، وابراز كيانها الى حيز الوجود، واظهار قوتها كحركة طالبية تعبر عن ارادة الجيل الجديد من ابناء الجزائر .

(للبحث صلة)

محمد صالح الجابرى

---

(43) انتخبت هذه الهيئة الادارية فى اجتماع عقد مساء يوم الجمعة 6 نوفمبر 1936 بقاعة قدماء الصادقية بتونس وكانت تضم اربعة عشر عضوا حسب القانون الاساسى للجمعية ، هم السادة : الشاذلى المكى (رئيس)، السعيد بن مخلوف الحجازى (كاهية الرئيس) ، احمد بن ابى زيد قصيبة الاغواطى (كاتب عام) ، محمد العربى ابن اسماعيل الصائغى (نائب الكاتب العام) محمد بن المبروك السنانى (امين مال) ، مصطفى بن سعد الجيجلى (نائب امين مال) الهادى بن ابى القاسم السطيفى (مراقب عام) .

اما المستشارون فهم ، احمد بن محمد حمانى الملى،احمد البشير اليحياوى احمد بن صالح بن دياب القنطرى ، على بن محمد الشرقى ، محمد الاخضر السائحى ، عثمان عثمانى الصائغى ، عبد الحميد التجانى .

أكواز على حائط المبكى

شعر: د. الهادي حموده الغزي

الى ياسر عرفات فى يوم التضامن العالمى
مع فلسطين 28 نوفمبر 1982

أديبُ قوميٍ بطاقاتٌ يطاردها ... و (لقطةٌ) وأحاديثٌ (وتلفازُ)
وسفرةٌ ، ولقاءات (معنعنة) ... بين المآدبِ ، والتخطيط إنجازُ
يثغون بالشعر..والقُصّاص ما صدقوا ... نامي عروبةُ ! هُمْ نفط وهم غازُ
وَهمٌ لنهضتنا الكبرى اذا اجتمعوا ... دكوا الصحونَ ودون(الدكّ) مرقازُ
على الموائد للأقلام عربدةٌ ... وللسفافيد والأكوابِ إجهازُ
«وللصّلونات» يا سْرائيل ، ملحمةٌ ... الرّقص يثأرُ ، والكرسيُّ هزّازُ
وثورة الفكر والإبداعِ زلزلةٌ ... أين اليهُود ؟فهل أبْصَرْتهم جازُوا !؟
فلا رعي الله يا خضراً سوى أدبٍ ... (ثوري) (وشعر) إذا سرحت ينحاز!
تحرر القدس و(الأشعارُ طائرَةٌ) ... أينَ التخلفُ ؟ لا ، كتابنا فازوا !
ونخبة زعموا ، في السام صولتهم ... وفي الشدائد ألياف ، وأعجازُ
يا ساحة (لاتحادات) قد انتصبتْ ... ظلّ النّعيرُ على التصفيق وَخّازُ
إنْ كانَ للفكرِ والاقلام مأثرَةٌ ... فإنّ في شرْقنا الكتّابُ خرّازُ
منْ حائط المبكى قالوها فما ذهبتْ ... ونحنُ ماذا ؟ أأشنانُ وأكوازُ ؟
أين الحكيم وضرْب الكفّ يرقصه ... أينَ الشجاعُ وراعِي السّربِ غمّازُ
قالوا: حزانَى على لبنان ، قلت لهم : ... شهيد حزنكمُ النسوان و(الجاز) ! !

وَرَقصَة فوقَ أشلاء مُمَـزّقَـة ... تحيّيًا العروبة والاسلامُ فقـازُ !
لهفي على شرف ، لهفي على وطن ... يا عرب خلفا ! فإنّ العلج نجازُ !
ويا فلسطين إن شعب ولا وطـــنٌ ... عهـرُ السيـاسـَة ، يا سْرَائيل ، فواز
ويا عروبة لولا الغربُ ما سطعتْ ! ! ... ويَـا عـُرُوبـَة لو الشـرْقُ مـا مـَازُوا
ويـا غبـاء شعـوب ، همهـا نهـمٌ ... وحمـق حكم على الأكباد حـزازُ
إن كـان في الأمم الإعجازُ يجهدُها ... فأمةُ العربِ . غَيّرَ النوم ما حازُوا !
ولستُ آسيِ على التاريخ إنْ شحطتْ ... بنا الدّرُوبُ فإنّا معشر رَازُوا !
ثأرًا ، وعـَارًا ، وَأعلاما مُلطخَـةً ... صبرًا فلسطينُ ، نحنُ العربُ ألغازُ !

د. الهادي حموده الغزي

إصـلاح خـطـأ

نعتذر عن بعض الاخطاء المطبعية فى ص : 65 ـ 68 ـ 69 :

الخطأ	الصواب	الصفحة	الخطأ	الصواب	الصفحة
لـابـر	البـــر	69	النشـأ	النـشء	65
الحسسـرى	الحـرى	69	قـارقـوا	فـارقـوا	65
استطـاعـن	استطـاعت	69	هـدؤ	هـدوء	65
الحصال الثلاثة	الثـلاث	68	متخصصـون	متخطـون	68

فضيحة ... ولا أثر لــه !

قصة : الحبيب بن فضيله

ـ 1 ـ

عبد الحميد طفل ذكي . جميل ونظيف وذو اخلاق عالية . يحبه النـاس في القرية ، ويحبه المعلمون في المدرسة ...

هو وحيد أمه (دوجة) وأبيه (قادر) . يملأ عليهما الكوخ بهجة حين يعود من المدرسة . يمطرهما بحلو حديثه ويقرأ عليهمـا بعض الانـاشيد التـي حفظها . آنذاك يشعران بالراحة ويتنبآن له بمستقبل طيب ...

ـ 2 ـ

لما قرر العم (قادر) ان يرحل الى العاصمة تألم أهالي القريـة لذهـاب عبد الحميد فقد كانوا يتخذونه قدوة لأولادهم في الاجتهاد وحسن الاخــلاق تدخل جابر وعمار والحاج عبد الله والشيخ مصباح يثنون العم قادر عنـد عزمـه ...

ـ قريبا ستنطلق حضائر تابعـة للشؤون الغابية ، فـدع عنـك فكـرة الرحيل الى العاصمة . العمل سيكون مضمونـا بحول الله لـك ولغيـرك لا تفسد على ابنك جوه المدرسي وعلى زوجتك اطار حياتهـا ونمط عيشهـا .. العاصمة عالم آخر ... ستتعب هناك ولن تنعم بالراحة .. مثـل هذه القعدة في حانوت صالح بن ضوء لن تفرح بهـا هنـاك ..مـع من ستلعب الـورق والبازئة والخربقة ...

ولكن العم قادر اصر على ذلك فقد كتب اليه أخوه (لخضر) يدعوه الـى المجيء .. العاصمة هنا جنة فيحاء .. اشغال البناء كثيرة .. في كل منعطـف (شانطي) .. يوم لا اكثر وتعثر على عمـل ... ويكـون نصيبـك دينـاران ونصف في اليـوم ...

- 3 -

ـ دينارين ونصف فى ثلاثين يـوم يجيو ستيـن لا سبعيـن .. خمسـة وسبعيـن دينـار ... عـال .. عال .. عال .. نشرى .. ونشرى .. سيلعب عبد الحميد مع ابن عمه (كـارم) . سيذهبـان معا الى المدرسـة . وتبقى (دوجة) الى جوار (محبوبة) حتى لا تشعر بالقلق . فلا بد أن تكـون لمحبوبة صديقاتفهى تسكن الجبل الاحمر مع لخضر منـذ خمس سنوات . وسأعمل أنا على أن اعوض لعبد الحميد وامه ذلك الحرمان الذى عرفاه فى القرية .. سأعود فى كل ليلة ومعى حكـة شاميـة لدوجـة وكعبة ياغـورت لعبد الحميد وباكو سواقر كريصطال طويل الـي أنـا .. فديـت من النفـة والحلوزى ..

آه .. الخبز مر .. والوقت مـر ..

عبد الحميد .. عبد الحميد كان دائما يشتهى الياغـورت .. أمـا دوجـة فحين تسكن الـي ليلا تعبر لـى فى همس عـن رغبتهـا فـى ازدراد علبـة شامية .. هى لم تذقها منذ زفافها .. وعبد الرقيب تاجر القرية رفض مرارا أن يبيعنى واحدة بالطلوق ...

- 4 -

ـ آه .. سى لخضر . ما يلزمنيش لا خوك ولا مرتو . ضيافة النبى ثلاثة أيام ... خليه يبنى على روحو التراب فى الجبـل من عند ربـى والقصدير زاده ...

فى كوخ قذر من القصدير تحول (ڨادر) وابنه وزوجته بالسكنى ... لقد اشتم رائحة نفور عند محبوبة فلم يشأ أن ينغص حياة أخيه .

- 5 -

مرض عبد الحميد ولزم الفراش اسبوعين كاد يموت المسكيـن ، والعم ڨادر يركض بين حضائر البناء يبحث عـن عمـل . أخيـرا توسط لـه أخو محبوبة . سى عبد الصمد . هو رجل محترم وأنيق يعملموظفا فى البلدية .

تعرف فى المدة الاخيرة الى مقاول فى شركة البناءات العصـرية . توطـدت بينهما الصداقة عن طريق ماجنة من بغي باب البحر وشارع شارل ديغـول وكانت ليما جولات ماجنة فى سيارة المقاول ...

– 6 –

كانت فرحة العم قادر عارمة ، لم يكن ليصدق شفـاء ابنه عبـد الحميـد وحصوله هو على عمل يوفر له الخبز . أحس ان له جناحين يحلقان به بين الارض والسماء . مر هذا الخبـز الذى نأكله مرارة الحنظل . أطـرق العـم قادر وقد انحدرت من عينيه دمعتان وهمس بصوت اجش .. آه .. لو كـان عندى من المال ما يكفى الحاجة لحملت ابنى ، فلذة كبدى عبد الحميد الـى الطبيب فالاطباء هنا كشجر الزيتون فى القرية ...

– 7 –

تحسر الناس كثيرا لغياب عبد الحميد . مـرت سنـوات خمس لم يـزر خلالها القرية . عماته واخواله يقولون : إن الرسائل لم تعد تصلهم منذ زمن طويل .. صالح بن ضوء رجل من الثقات فلا يجوز اتهامه باتلاف الرسائل . صحيح ، هو مدمن على معاقرة الخمرة .. ومعاكسة الارامل منذ فقد زوجته ولكن يبقى دائما محل ثقة الجميع . الشيخ مصبـاح نفسه كان يفضى اليـه ببعض الاخبار السرية فلا نشتم لها فى القرية رائحـة .

لا بد ان قادر تنفنف ولم يفكر فى القرية وفى اهلها . وعبد الحميـد ، آه لا بد ان يكون قد دخل التعليم الثانوى . لا بد ايضا انه كبر . امه كانت قد تحادثت مع علجية زوجة لمين النجار بشأن ابنته سالمة . ولكن مـن يـدرى فبنات العاصمة كيدهن عظيـم .

– 8 –

.. تمتعت الحالة دوجة بالشامية ليالي وليالى . وكان العـم قـادر فى كـل مرة يعود فيها بحلوى الشامية يبيت ليلة سـاخنة . وتمتـع عبد الحميـد بالباغورت فمجه ورجا من والده ان يكف عن اشترائه .

وتمتع العم قادر بجسد زوجته وبسجائر الكريسطال لكن هذه المتعة لم تطل كثيرا ...

- ڤرف والا تموت ... الاسعار طارت ما عدناش خالطين .. أضرب العمال واجبروا العم ڤادر على ذلك . توسل لهم تضرع ولكن لم ينفعه شيء سوى الخضوع للامر فخضع . كان يعلم ان ذلك سيكلفه خسارة مالية . سيدخل اضطرابا فى ميزانيته . الفرنك بحسابو خصوصا بعد ان دخل عبد الحميد الى المرحلة الثانية فى المعهد . لقد تكاثرت طلباته . يكاد يشترى فى كل يوم كراسا وقلما .. لكن لا يهم سينجح عبد الحميد . سيصبح موظفا مثل سى عبد الصمد وسيريحنى من هذا الشقاء ...

- 10 -

غير الحميد لهجته البدوية بلهجة المدينة . وضع على وجهه قناعا حتى يليق بالمقام فحتى الاصدقاء غيرهم عبد الحميد . ايه يا حسرة يا زمانا كان الجيلانى وبشير والناصر ومجيد وفتح الله وبوراوى اصدقاءه كانوا طيبين رغم تقاعسهم فى الدراسة ورغم خصوماتم الصبيانية آنذاك .

اصدقاء عبد الحميد الجدد يدخنون ويسكرون ... هم يمزجون الكوكاكولا بالكحول . سبب معرفة عبد الحميد بهم كارم ابن عمه .

كان كارم مصابا بنوع من الشذوذ الجنسى فوجد فيهم ضالته . كانوا يلتقون فى مغارة بالجبل . فى أول مرة التقى بهم عبد الحميد أجبروه على ممارسة الجنس مع ابن عمه ثم هددوه بفضح امره ان افشى سرهم . انهم لا يهابون شيئا .. فيصل وانيس وكريم وعادل ونجيب ، كلهم سواء .. حتى نتائجهم المدرسية مخجلة منذ ايام فقط عنفوا استاذ الحسابيات لان اعدادهم كانت رديئة جدا ثم قصدوا المغارة وهناك لعبت الخمرة بالرؤوس فطعنوا موسى ولد الحوات بسكين ... لقد كانت اول مرة يلتحق فيها بهم .

- 11 -

كتمت الخانة دوجة حزنها خشية شماتة جاراتها ولكن وجهها اصفر واصطبغ بالشحوب ، لقد فصل العم ڤادر عن العمل . واطرد عبد الحميد . اما ابو موسى فقد رفع امر ابنه الى العدالة . لو حصل الامر فى القرية لجاءتها النساء جميعهن يعبرن لها عن التعاطف والمساندة . اما هنا فلا شيء غير الحسد والبغضاء يسرى بين الناس .

ترى ماذا يكون موقف علجية لو تحسست الخبر . منذ مجيئها يوم امس وابنتها وهى تحاول ان تجمع اكثر الاخبار لتصبها فى القرية حين تعود .

— 12 —

كبرت سالمة وتكور نهداها وشع جمالها اصبحت تحظ الزفاف . كانت تنظر الى عبد الحميد نظرات اللهفة والشهوة حين تجتمع العائلة ليلا فى الكوخ حول « النار » فالبرد هنا قارس .

لو بات عبد الحميد ليلة هنا لسريت اليه فجرا انا مشتاقة الى الدفء .. الى عبير وجهه . لكنه يبيت فى كل ليلة مع (كارم) . له الحق فكوخ عمه واسع . به غرفتان واحدة تبيت فيها محبوبة ولخضر والثانية يبيت فيها كارم وعبد الحميد .. ترى ماذا يفعل عبد الحميد حين يجد ابن عمه نائما والدفء يدب فى كل جزء من اجزاء جسمه !؟ لقد حدثتنى فاطمة الشتيوية ان من الرجال من يقبل ان يتحول الى امراة حين يدخل الفراش ... آه ... ... واحس عبد الحميد انها تفترسه بعينيها فأدرك انها جائعة . نظر اليها نظرات محمومة ثم ودع الجميع والتحق بكوخ عمه .

— 13 —

.. ألحت زوجة سى عبد الصمد على علجية وابنتها ان تسهرا عندها وتبيتا الليلة هناك فهى تسكن فى حى الزياتين فى دار واسعة نظيفة كثيرة الغرف ولها جهاز تلفزة بالالوان . فقامتا بعد طلب الاذن من دوجة .

هى مناسبة يختلى فيها ثادر ودوجة فمنذ أن جاءت علجية وابنتها لم يشعرا بالدفء .

— 14 —

مد عبد الحميد يده فى الظلمة الى الجسد المتهالك نوما يتلمسه . وقد هزته رجفة سرت فى كل عظامه . لم يتفطن اليه احد حين دخل فى اعقاب ذلك الليل . ولما ظل الماء يقطر تحركت امه واستفاقت مذعورة فزوجها لا يقدر ان يكرر العملية مرتين ..

من .. من .!؟ اشعلت المصباح .. كانت المفاجأة كبيرة والصدمة قوية حذاء عبد الحميد .. انه هو ..

ومنذ ذلك اليوم وعبد الحميد لم يقف له احد على اثر ...

الحبيب بن فضيله

إِعْترافاتٌ لامْرأةٍ تُشْبِه الوَطن

شعر: عبدالسلام الدرفاش

أنا مَا ادعيتُ بأنّي أخُش حشا النبض ، أسْقِي الضفائِرْ ،
وَلا أنّنِي أحْمِلُ الرّوحَ وَهْناً ..
أجُس ذُرَى النخْلِ ،
أسْبِي دَمَ الأرْض ،
أوْ أسْتَحِلّ الضّمائِرْ ..
ولكِنّ ما أفْزَعَ القَلْبَ أنّ التِي
عَانَقَتْنِي اللّيَالِي الطوِيلَهْ ..
تَفُض السّتائِرَ حِيناً ..
وحيناً تمُدّ الظفِيرَهْ ..
حقُولا لَهَا يرحَلُ الطيرُ والجائِعُونْ ،
يَمُدّونَ أعنَاقَهُمْ ..

★ ★ ★

لَعَلّ السما أمطرتْ أوْ يَهونْ
على الجَازِيَهْ ...
.. أنْ تُخَصّبَ أحْدَاقَهُمْ والضفَائِرْ

لنا العشق إنْ جَارَتِ الأرْض والسابِلَـهْ
وللمُتْرفِينَ اخضرارُ الخناجِرْ .

★ ★ ★

أفيض عليكمْ بِعِشْقِي ..
وإن مسَّكم ورمُ البطنِ ،
إن الذي جَاعَ يُدْمِي الصّبابات والناصيهْ
... وأذكرُ أنّي زَمَانـاً لى البَحْرُ واليَابِسَهْ
وأذْكرُ أنّي إذا لَفَّنِي الليلُ كانتْ لى الأرض بيتاً
وكانتْ لى الأنجُمُ الخافِتَهْ
مَوَاقِدَ تُدْفِىءُ جِلْدِي
وأذكرُ ... أذكرُ أنّي إذَا نَدّ وَجْدِي
عَبَرْتُ الشرَايينَ والخاصِرَهْ ..
مُصِيخاً إلى القَادمِينْ ..
يَفُضّونَ أرْحَامَهُمْ منشدينْ :

لنا العشق إن عافنا الأهلُ والسّابِلهْ ..
وللمترفينَ انعتاقُ الأظافِرْ .

★ ★ ★

خُذِينِي ..
فَأرْحَامُك الخَاوِيَهْ ..
كأعجَازِ نَخْلٍ لَهَا نَدّتِ الجارِحَهْ ،
وَعَافَتْ دَمَ الجِيفِ ..
وفَرّتْ بِأجْلادِهَا الهَارِبَهْ

★ ★ ★

أُهَيْكِلُ في سَاعَةِ الوضْعِ ما يَشْتَهِي الجَائعونْ ،
وأخْضَرّ .. إن العروق ارتَوتْ والعُيُونُ .. الحَوَامِلْ ..
تَشَهّتْ سلالا مِنَ التّينِ أوْ مِنْ سَنَابِلْ ،
وبَوّابَة مرّتِ الطيْرُ مِنْهَا ...
وحَطتْ على حِصْنِ بَابِلْ .
وحُرّاسُهُ العابِثُونْ ..
يُدِيرُونَ أقداحَهُمْ والمَنَاجِلْ ..
يَرُشونَ حيطانُهُ البَاهِتَهْ ..
دَمًا أفرَغَتْهُ الحَوَامِلْ ،
وَشَدّتْ على النّهدِ والخَاصِرَهْ .
لِمَنْ يُورِقُ الصدر والقَادِمُونْ ؟
تَشَهى غريب من الطير أعناقَهُمْ .. والخَناجِرْ ..
وَجَس بِمِنْقَارِهِ الجلدَةَ النّاشِفَهْ .

* * *

خُذِينِي ..
فَكلّ العرُوقِ ارتَوَتْ ..
وَكلّ الجِبَاهِ استحالَتْ بَيَادِرْ ..
تَجِيءُ لها الطيرُ والشّارِدَهْ .

80/12/30

عبد السلام الدرقاش

المخطوطات التونسية بالمغرب
من خلال المجلات المغربية وأعمال الباحثين

بقلم : محمد الصادق عبد اللطيف

اهتمام العلماء بامتلاك الكتب المخطوطة والنادرة غاية من اشرف الاهداف العلمية اذ هي تصون تلك النفائس وتحفظها من التهريب والاتجار بها ثم افادة الغير بها اذا علقت همة احدهم بالاستفادة منها والافادة بها ولعل مزاحمة المستعمرين ورجال الاستشراق اكدت الحرص الشديد من طرف علماء العربية ورجالاتها وحماتها حتى يكون لهم اكبر قسط من تلك المخطوطات وحفظها فى الخزائن الخاصة والعامة حفظا لها من التهريب وحفاظا على أصالتها ودورها ولذلك امتلأت تلك البيوت : بيوت الوجهاء خاصة ودور المكتبات العامة بطائفة مختارة من خيرة تراث العربية الانسانى وتعددت المصنفات الفقهية والادبية والفلسفية والروحانية النقدية والمعارضات والتعاليق والمخترعات الفكرية عموما ووجدنا حفاظ المكتبات العمومية يحرصون على الاستفادة وتزويد خزائنهم بنتف من تلك المصنفات للتباهى بها أولا ثم ولكى يكون للمكتبة اعتبار علمى مميز فى نظر الباحثين ورجال القلم .

ولقد حرصت المكتبة المغربية من هذه الوجهة ، على جمع طائفة مختارة من عيون الكتب المخطوطة ، وجمعت بصفة خاصة ذخائر مختارة من المخطوطات التونسية ـ روحا ونصا ـ زينت بها مكتباتها العامة لتكون تلك قبلة الباحثين ومنارا لرجال الاعمال الفكرية عموما وقد اسعدت شخصيا حيث لاحظت الاهتمام الجيد والاصيل يجمع لائحة تلك المخطوطات وترقيمها لتكون ككشف مرقم لعلها تهدى من يشاء الى محتوياتها والفضل فى ذلك يرجع للمؤرخ المغربى الاصيل الاخ : (محمد المنونى) الذى صرف الكثير من وقته وجهده للجرى وراءها والبحث عن مؤلفيها ووصف تلك المخطوطات وذكر من تحدث عنها وان كان ذلك الحرص الشديد يثير فى انفسنا بعض التساؤلات

اجدر ان توجه لوزارة الثقافة التونسية وادارة المكتبات وقسم المخطوطات بالجامعة التونسية ليتزودوا بها ويمتعوا الباحثين بنسخ ولو مصورة منها ففى ذلك ارجاع الدر الى معدنه وفيما يلى قائمة مرقمة حسب الترتيب المكتبى للعلوم بالمغرب حسبما قام به المؤرخ (المنونى) وهذه الذخيرة تتوزع فى البلاد المغربية على اربعة مراكز هامة لحفظ المخطوطات الهامة وهى :

1 ـ بمكتبة الزاوية الحمزوية بتافيلات :

1 ـ مشكل اعراب القرآن العظيم لابى محمد بكر بن أبى طالب (ابن محمد بن مختار) القيسى القرى القيروانى نزيل قرطبة 220،432 بالقرويين ٠

2 ـ كتاب التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل تأليف ابن العباس احمد بن عمار بن ابى العباس التميمى المهدوى نزيل الاندلس 199 الجزء منه بالخزانة العامة بالرباط 98 ق ٠

3 ـ تفسير القرآن الكريم لاحمد بن محمد البسيلى (جمع فيه املاء شيخه محمد بن عرفة التونسى فى دروسه 93) .

4 ـ كتاب الجمع الغريب فى ترتيب مغنى اللبيب لمحمد بن قاسم الانصارى التونسى الشهير بالرصاع 89 ٠

5 ـ ملخص الموطا لابى الحسن على بن محمد بن خلف المعافرى القابسى المالكى 192 ونسخة اخرى عددها 1390 ل ٠

6 ـ رسائل صوفية لابى فارس عبد العزيز بن خليفة القسطنطينى نشأة التونسى دارا ٠

7 ـ المهذب فى مسائل المذهب لمحمد بن عبد الله بن راشد البكرى القفصى

8 ـ مجموعة تشتمل على شرح ابيات الجمل لابى القاسم الزجاجى ، الشارح على بن محمد بن احمد بن حريق الاندلسى البلنسى (نسخة بالاسكوريال) ٠

9 ـ شرح رسالة ابن حريق لابى الحجاج يوسف بن محمد بن ابراهيم الانصارى الاندلسى البياسى 132 ٠

10 ـ تحفة المجد الصريح من شرح كتاب الفصيح لابى جعفر احمد بن يوسف الفهوى اللبلى 131 .

II ـ زهر الآداب وثمر الالباب لابى اسحاق ابراهيم بن على بن تميم الحصرى القيروانى 64 .

I2 ـ رسالة فى العمل بالاصطرلاب لابى الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الاندلسى الدانى 80 .

I3 ـ كتاب المنافع البينة وما يصلح للاربعة الازمنة لمحمد بن علي بن عبد الرحمان بن احمد بن عبد الله بن محمد المكنى بنميس ابن عبد الله بن بلقين بن باديس 9 .

2 ـ بالخزانة العامة بالرباط :

I ـ الهداية الى بلوغ النهاية فى معانى علوم القرآن لابى محمد مكين بن ابى طالب ك 337 .

2 ـ الجامع الصحيح لابن عبد اله احمد بن اسماعيل البخارى الجعفى 955 .

3ـ شرح الجامع الصحيح للبخارى تأليف ابن عبدالله محمد بن قاسم الانصارى التونسى المعروف بالرصاع ك I00 .

4 ـ (صلة السمط وسمة المرط فى شرح الندى فى الفخر المحمدى) لابن عبد الله محمد بن على المعروف باسم الشباط التوزرى ق I00 .

5 ـ تحفة اللبيب فى الرد على اهل الصليب لابن محمد عبد الله بن عبد الرحمان الميورقى نزيل تونس (3233) .

6 ـ نسخة اخرى تسمى (تحفة الاديب) فى الرد على اهل الصليب د (2445)

7 ـ عيون الاخبار : مؤلفه غير مذكور ق ـ 2II .

8 ـ لباب تحفة المجد الصريح فى شرح كتاب الفصيح لابن جعفر احمد بن يوسف الفهرى اللبلى ج I00 .

9 ـ بغية الآمال بمعرفة النطق بجميع مستقبلات الافعال لابن جعفر المتقدم ك 235 .

I0 ـ قطب السرور لابراهيم بن القاسم الكاتب المعروف بالرقيق القيروانى تحدثت عنه مجلة الثريا التونسية السنة الاولى عدد I2 ق I3I5 .

11 ـ نزهة الالباب فيما لا يوجد فى كتاب لابى العباس احمد بن يوسف القفصى التيفاشى (راجع كشف الظنون ج 2 ص 502 وكذا فى ايضاح المكنون ذيل كشف الظنون ج 1 ص 549 ك 1533) (4) .

12 ـ قطعة من كلام ابن المطرف بن عميرة نزيل تونس ودفينها ك 233ـ232

13 ـ ديوان لابى اسحاق ابراهيم الرياحى جزأين طبع بتونس 1320 ـ ك 1763 .

14 ـ كناش لابى عبد الله محمد بن الحاج عثمان بن محمد بن محمد السنوسى بن عثمان بن الحاج محمد بن احمد المعروف بابن مهنية التونسى الكافى ك 1935 .

15 ـ الحلل السندسية فى الاخبار التونسية لابن عبد الله السراج ك 2266 .

16 ـ الكتاب الباشى من الدولة الحسينية للوزير حمودة بن عبد العزيز ك 2265 .

17 ـ المشرع الملكى فى دولة اولاد على تركى لحمد الصغير بن يوسف الباجى د (1962) .

18 ـ الانوار السنية فى آباء خير البرية لابن محمد بن عبد الرفيع محمد الشريف العجفرى الاندلسى المرسى المالكى نزيل تونس ك 1238 .

19 ـ معالم الايمان وروضات الرضوان فى مناقب المشهورين من صلحاء القيروان لابن زيد عبد الرحمان ابن ابى عبد الله محمد الانصارى الاسيدى المعروف بالدباغ القيروانى ق 215 ـ ك 359 و ك 214 .

20 ـ سمط التلال فى بيان ما اشتمل عليه كتاب الشفاء من الرجال للشيخ قويسم بن على التونسى .

21 ـ رسالة من العمل بالاصطرلاب لابن الصلت امية بن عبد العزيز 80 .

22 ـ غنية الطالب فى تقويم الكواكب لابن على حسين قصعة بن محمد بن الحسين الحنفى التونسى ح 31 .

23 ـ كتاب طب الفقراء والمساكين لابن جعفر احمد بن ابراهيم ابن ابىخالد القيروانى ك 938 .

24 ـ كتاب شرح الفية ابن سينا ـ فى الطب لابى العباس احمد بن عبد السلام العقل الشريف الحسين التنسى ك 1568 .

25 ـ العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع وضعه بالاسبانيـة ابراهيم غانـم الشهير بالاسبانية بالرياش بن احمد بن غانم الاندلسى نزيل تونس ج 87 .

3 ـ **المكتبة الملكية بالرباط :**

1 ـ كتاب الوفاء ببيان فوائد الشفاء لابن محمد عبد اله بن احمد ابن أبى القاسم التيجانى التونسى صاحب الرحلة 4016 .

2 ـ ديوان لابى عبد الله محمد بن عبد الله ابن ابى بكر القضاعى الاندلسى البلنى نزيل تـونس ودفينهـا ابن الابـار (يراجـع ابن الطـواح فى سبـك المقال 4602) .

3 ـ محاورة العرب مجهول المؤلف 2417 .

4 ـ كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الابار 1411 .

5 ـ سبك المقال لفك العقال لابى محمد عبد الواحـد ابن محمد بن الطـواح التونسى .

6 ـ كتاب السياسة لابى بكر محمد بن الحسن المضرمى القروى المعروف بالرادى 260 .

7 ـ زهرة الافكار فى جواهر الاحجار لابى العباس احمد التيفاشى 1678 .

8 ـ تدبير الاطفال لابى جعفر احمد بن ابراهيم ابن أبى خـالد القيـروانى المعروف بابن الجزار 1044 .

4 ـ **بخزانة القرويين بفاس :**

هى مجموعة جاءت ضمن بعض الخزائن .

1 ـ عيون الاخبار (الخزانة العامة 211 وبالقرويين) .

2 ـ صلة السمط وسمه المرط فى شرح سمط النـدى فى الفخـر المحمدى بالخزانة العامة أيضا 110 .

3 ـ قطب السرور بالخزانة العامة ايضا 156 .

4 ـ معالم الايمان ورفات الرضوان بالخزانة العامة ايضا 215 .

5 ـ **خزانة ابن يوسف بمراكش :**

1 ـ ابكار الافكار (3) لمحمد بن سعيد بن احمد بن شرف القيرواني 702 .

2 ـ تاريخ افريقيا والمغرب لابراهيم الرقيق القيرواني 193 .

هذه طائفة مما يوجد حاليا في المغرب من مخطوطات تونسية البعض منها نشر كالحلل السندسية والتاريخ الباشي وتاريخ الرقيق ومعالم الايمان وزهر الآداب والبعض ينام هناك بعيدا عن الوطن الام ، ولعل الهمم تتحرك وتفيد الباحثين بكشف الغطاء عنها وخدمتها ، وعلى كل جولة سريعة في عالم المجلات المغربية ومن خلال اعمال الباحثين امكن لي الاشارة اليها وكل املي ان يكون هذا الكشف المرقم وثيقة حية لكل باحث، ولعل المهتمين بالمخطوطات يفيدوننا بما يعثرون عليه من نفائس اخرى غير التي ذكرتها فنكون بحق دليلا لمخطوطاتنا في المغرب العربي ثم في بقية المكتبات خارج الوطن ثم داخل البيوت التونسية

محمد الصادق عبد اللطيف

مُدُن الحلْوى ... والملْح ...

شعر : الحبيب الهمامي

① القصيـــدة

هَـــذِي الأُنْثَـــى
سَفَـرُ المَـوْتِ الحَـــيِّ
فِي ذاكِـرَةِ المَجْنُـونِ الرّابِــضِ
بَيْـنَ أزَاهِيـرِ الـوَعْـيِ
هَـــذِي الأُنْثَـــى
سَفَـــرُ الدّهْشَـــهْ
فِي رُوحِ المَجْـرُوحِ الهَشَّـــهْ
فَـإِذَا لَـمْ تَنْقُشْهَـــا
فَـوْقَ الأوْرَاقِ تَـكُونُ – بلا رَيْبٍ – نَعْشَـهْ

② أنـــا

أنَـــا الآنَ رَبّ القَصِيـــدَةِ
فِي زَمَنٍ شُعَــرَاؤُهُ تَتَبّعُهُمْ زَانِيَـــهْ
أنَـــا الآنَ رَبّ القَصِيـــدَةِ
يَتَبَعُنِـــي وَطَنِـــي
وجراحاتُ أمّتِي وأشعاريَ الدّاميهْ

★ ★ ★

أنَــا الآنَ وَحْـدِي أصَــلِّي
فـإنِّي رَأيْـتُ المُصَلِّيـنَ يَنْتَحِـرُون
عَلَىَّ فَخُـذ رَاقِصَـةً
وَبـأدْغَـالِهَـا يُدْفَنُــونْ
« فَمِنْ حَوْضِهَـا نَحْـنُ جِئْنَـا
وَإنَّــا إلى حَوْضِهَــا رَاجِعُـــونْ »

③ الجسـد الـرمحي

جَسَــدٌ قَمحِيِ
يَتَسَلَّـــقُ أسْـوَارَ البَوْحِ
آهٍ ... مَنْ يُنْقِــذُنِــي
مِنْ إعْصَــارِ الجَسَـدِ الرُمْحِـيِ

★ ★ ★

لَيْــلاً أخَذَتْنِي المَـرْأةُ
فِي سَفَرٍ نَحْـوَ الأحْلَــى
نَحْـوَ المُدن الحُبْلَــى
بـالحَلْـوَى وَالمِلْـحِ
لَيْـلاً أخَذَتْنِــي المَـرْأةُ
ثُمَّ شَظَايَـا ألقتْنِي ـ يَاسَادَةُ ـ في الصُبْحِ

★ ★ ★

④ العشـــق

زَغَـبُ الـرّوحْ
مِفْتَــاحُ القَلْـبِ المَفْتُـوحْ

نَارٌ تَتَجَمَّلُ فِي كَبِدِ العَاشِقْ
لُغْزٌ لاَ يَفْهَمُهُ المَخْلُوقُ
وَسَخْرَةُ الخَالِقْ
لِيُوَاصِلَنَا
أَهْلا بِكَ يَا مَوْتاً
فِي ذَاكِرَةِ الخِصْبِ المَفْتُوحِ عَلَى البَحْرْ
أَهْلاً بِكَ يَا مَوْتاً
يَتَقَمَّصُنِي وَ يُسَوِّينِي حَبّاً
مَا بَيْنَ الخُضْرَةِ والقَبْرْ
أَهْلاً بِكَ يَا مَوْتاً
يَتَزَوَّجُنِي
ويضاجِعُ أَيَّامِي
حَتَّى أَلِدَ الشِّعْرْ

الحبيب الهمامي

التكوين الفلاحي .. وبرنامج «أبطال الغد»

بقلم : البشير السالمي

لو كان من الممكن تنظيم مسابقة لانتخاب ملكة جمال الكلمات في تونس لسنة 1982 لكانت الفائزة بهذا اللقب وبدون منازع كلمة ـ الفلاحة ـ ولكان خطابها وهي تتوج ثلاثة بدون منازع : الامن والشغل والاستقلال . ولوجدنا من بين اعضاء لجنة التحكيم المزكية لهذا الاختيار اكثر من وزير واكثر من خبير .

« لقد اضحى من اوكد الواجبات التمسك باراضينا وعندما نسمع المسؤولين يتحدثون عن الاولوية التي يلزم ان تحظى بها الفلاحة فليس المقصود بتلك الاولوية اراضي الزراعات الكبرى من قمح وشعير او واحات التمور او حقول الزياتين فقط بل ان الفلاحة تعني كل شبر من الارض يقوم بدوره في تموين المواطنين ويحافظ على التوازن البيئي الايكولوجي » (1) .

« ان قضية الفلاحة هي اقرب الى قلب كل تونسي وعقله وكذلك الى معدته فالفلاحة هي القوت والقوت هو الأمن : الامن الغذائي والامن الاجتماعي والامن السياسي ، وموقف الحكومة من الفلاحة سليم لانها عرفت ان دورها عظيم في تأكيد الاستقلال الفعلي وفي التشغيل » (2) .

---

(1) جريدة العمل 1982/12/26 الاستاذ محمد مزالي الوزير الاول

(2) جريدة الصباح 1982/3/23 الاستاذ عبد الجليل دمق رئيس تحرير جريدة « الصباح » .

ولكن بالرغم من هذه العناية المزدوجة بالفلاحة من قبل الحكومة ووسائل الاعلام الوطنية فان الركيزة الفنية والتقنية لهذا القطاع واعنى بها المدارس الفلاحية بمراحلها الثلاث المهنية والثانوية والعالية لا تزال فى نظرى بحاجة الى مثل هذه العناية ، حتى يطلع الخاص والعام على هيكلة التكوين التقنى والفلاحى وأساليبه ونتائجه ومردوده فى مختلف مستويات التعليم الفلاحى ، ويحكم له او عليه ، عن طريق المشاركة فى تقييمه وابداء النظر فيه .

لقد كان مفهوم التكوين المهنى الفلاحى فى المؤسسات التربوية التابعة لادارة التعليم والبحث والارشاد بوزارة الفلاحة غير واضح بالنسبة للتلامذة الذين تراودهم فكرة الالتحاق بهذه المؤسسات وكذلك بالنسبة للكثير من الاولياء فقد كان اولئك وهؤلاء يتصورون ان ـ التكوين ـ فى هذه المؤسسات هو تعبير منمق ومضخم لشىء بسيط هين لا يتعدى مسك مسحاة حافية او محراث عتيق او شد ضرع بقرة مقيدة او ركوب جرار واقف او وضع قناع لاقتحام خلية بدون نحل ، بصفة مفتعلة فى ساحة المدرسة ، او غرغرة و ـ تحفيظ ـ معلومات مفرنسة ممسوخة عن هذا الكتاب الفرنسى او ذاك ، بصفة ببغائية لا تسمن ولا تغنى من جوع ، لانها بعيدة شكلا ومضمونا عن طبيعة البلاد الخاصة ، من تربة وماشية ونبات ومناخ وعقلية ولغة ، كما كان المستقبل المهنى لخريجى هذه المؤسسات اقل وضوحا واكثر عرضة للتكهنات غير المتفائلة من طرف التلامذة واوليائهم .

ونتج عن هذا التصور **للتكوين الفلاحى** وعن تلك التكهنات بخصوص حاملى شهائده ، شىء غير قليل من الاحتراز فى اختيار شعبة الفلاحة عموما ومرحلةالتكوين المهنى الفلاحى منها بالخصوص وربما تجاوز الأمر أحيانا مجرد الاحتراز ليصبح نفورا مكشوفا من ارتياد هذه المؤسسات الرسمية التى اطلق عليها منذ مطلع السبعينات مراكز التكوين الفلاحى ، وصار لا يقبل عليها الا ـ المنكوبون ـ الذين فشلوا فى اجتياز مناظرة الدخول الى السنة الاولى من التعليم الثانوى وعجزوا عن دفع المبالغ الهائلة للمدارس الحرة .

وتفطنت وزارة الفلاحة الى هذه الظاهرة وبادرت مصالحها المختصة بادارة التعليم والبحث والارشاد الى تدارك الامر ، فبعثت المناشير وعقدت

الاجتماعات ونظمت الندوات وكتبت الدراسات واجرت التحويرات على برامج التكوين بشقيه النظرى منه والتطبيقى فى هذه المرحلة او تلك . كما روجعت مجالات استيعاب المترشحين للدراسة فى المراكز والمعاهد الفلاحية كما روجعت مجالات استيعاب الخريخيين فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية وتم النظر فى ربط التكوين والتعليم بالمراكز والمعاهد الفلاحية ، بحاجيات سوق الشغل ومتطلباته قدر الامكان .

هذا وقد شاركت الاطارات الاجتماعية الاخرى بصفة مباشرة او غير مباشرة فى التقدم باقتراحات حول التكوين والتعليم الفلاحيين وخاصة وزارة التربية وتم بعث لجنة فنية مشتركة يتكون اعضاؤها من الاطراف المعنية بالتدريب على العمل اليدوى الفلاحى وقد سميت باللجنة الاستشارية وهى تهدف الى النظر بصفة دورية ومستمرة فى كل عمل كفيل بارجاع الاعتبار الى العمل اليدوى الفلاحى وتمكين اكبر نسبة ممكنة من تلامذة السنتين السابعة والثامنة من التعليم الابتدائى من الانتفاع بالتكوين الفلاحى فى المراكز المعدة له ومتابعة هؤلاء التلامذة طوال مدة التكوين ومساعدتهم على الاندماج فى اوساطهم والنهوض بها ، وخاصة فى ميدان خدمة الارض وتربية الماشية . وهنا جاء دور البرنامج التلفزى ـ ابطال الغد ـ ليسلط الاضواء الكاشفة فدشن اول حلقة حول التكوين والتدريب على العمل اليدوى الفلاحى باستديوهات الاذاعة والتلفزة فى ديسمبر 1980 وفتح حوارا بين المسؤولين عن التدريب المذكور من جهة والنظارة على لسان المنشط التربوى للبرنامج ومنتجه السيد الصادق نقرة من جهة ثانية .

وتعرضت الحلقة الاولى بصفة مقتضبة الى ماهية التكوين الفلاحى وكيفية تأطير التلامذة ولغة وطرق ايصال المعلومات والخبرات والآفاق المهنية للخريجين وتخللت الحوار لقطات معبرة تبرز هذه المؤسسات التربوية المنتصبة هنا وهناك فى مختلف الولايات .

ثم توالت حلقات برنامج ـ ابطال الغد ـ مركزة على موضوع التكوين فى ميدان الفلاحة والتدريب عليها ، ولم يتردد البرنامج ان يشد الرحال اكثر من مرة الى هذه المراكز التربوية الفلاحية ، عارضا على النظارة ضيعاتها

وما غرس فيها احيانا من أشجار مثمرة ، وما ركز فى اطراف البعض منها من خلايا للنحل ، وما نصب بها من بيوت مكيفة (بيوت استنبات) هذه للخضروات وتلك للفواكه والاخرى لنبات الزينة ، ومصورا ما أقيم فيها من حظائر او اصطبلات لفصائل الماشية الصغيرة منها والكبيرة ، كتربية الدواجن والبقر ، ومجسما ما امكن بعثه بها على عين المكان من ورشات محدودة لتدريب تلامذة الميكانيك الفلاحى على تصليح الآلات الفلاحية وصيانتها ، ومبرزا فى نفس الوقت انتشار شبيبة هذه المراكز الفلاحية هنا وهناك بجزماتهم الواقية وسواعدهم المفتولة ، فى انحاء الضيعة ، ومن ورائهم مهندس يرشد او معلم يدل ، بل اقتحم البرنامج قاعات الدراسة النظرية ، واطلع على سير الدروس ولاحظ المدرس وهو يحرث القاعة ذهابا وايابا ، مفسرا بلسانه طورا وكاتبا على السبورة طورا آخر ، ومتحاورا مع تلامذته كلما دعت الحاجة الى ذلك . واستمع المشرفون على البرنامج والنظارة الى هؤلاء التلامذة وهم يرددون هذه المصطلحات الفلاحية : الحمى القلاعية ، الكرز ، الشمندر ، النخروب ، التهجين ، الحباط ، العمشوش ، الاكليل ، الزعتر ، البرسيم ، الفصة ، عباد الشمس استخلاص العسل ، الاعشاب الطفيلية ، المبيدات ، موارد المياه ، الاسمدة العضوية ، وغيرها من الالفاظ الفلاحية المعربة التى صار الشبان يتداولونها فيما بينهم وبين اساتذتهم بصفة عادية بعد ان استأنسوا بها ، وتعودوا على استعمالها ، داخل القاعة وخارجها أثناء التطبيق ، كما اطلع البرنامج النظارة على ما يتوفر داخل هذه القاعات من وسائل الارشاد البيداغوجى كالخرائط والهياكل العظمية والمخابر ، وغيرها مما يصلح للايضاح وتركيز المعلومات .

وساهم البرنامج بالصوت والصورة الى جانب الخطابات والافتتاحيات المذكورة فى تسليط الاضواء على جانب معين من قطاع الفلاحة .

فما هى نتائج مساهمة هذا البرنامج فى الاعلام الفلاحى ، وهل قام بتغطية كافية لقضية التكوين المهنى الفلاحى ومسألة التدريب على العمل اليدوى لتلامذة السنتين السابعة والثامنة من التعليم الابتدائى ، ولو بصفة جزئية وفى نطاق المراكز التى تمكن من زياراتها لحد الآن ؟.

يجب ان يقال قبل الحكم على نتائج مساهمة برنامج ابطال الغد فى الاعلام الفلاحى :

ان عمله لم يكن يهدف الى تقييم تجربة التكوين المهنى الفلاحى الذى يقع تحت اشراف وزارة الفلاحة مباشرة ، ولا تقييم تجربة التدريب على العمل اليدوى الفلاحى الذى تشرف عليه وزارة التربية القومية ، وانما كان البرنامج يهدف ـ حسبما شعرت شخصيا بذلك ـ الى مجرد التحسيس بقيمة التكوين والتدريب فى ميدان الفلاحة ، والعناية بها تماشيامع تطلعات وطموحات المسؤولين فى هذا الميدان .

ومن هذا المنطلق يمكن ان أقول : إن البرنامج قد سعى سعيا مشكورا الى تحقيق الرغبات التالية :

ـ اعطاء الاعتبار للعمل اليدوى الفلاحى ، ورفع معنويات التلامذة القائمين به .

ـ اقناع اولياء التلامذة والعموم بأن التكوين الفلاحى المدرسى موجود بالفعل ، وان تصوراتهم الغالطة بخصوصه ينبغى ان تزول .

ـ التعريف بمسيرة التعاون (ولو كان محتشما) بين وزارتى التربية والفلاحة فى ميدان التدريب على العمل اليدوى الفلاحى بالنسبة لتلامذة السنتين السابعة والثامنة من التعليم الابتدائى ، الذين لم ينجحوا فى مناظرة الدخول الى السنة الاولى من التعليم الثانوى .

ـ حرص المسؤولين بادارة التلفزة الوطنية ومنتج برنامج ـ ابطال الغد ـ على تدعيم سياسة الحكومة الحالية الداعية الى التركيز على قطاع الفلاحة .

ولكن بالرغم من هذا السعى التربوى والتوعوى الذى يقوم به هذا البرنامج وبقطع النظر عن أهدافه وغاياته ، فان لى ـ بوصفى عضوا فى اللجنة الاستشارية الخاصة بالتدريب على العمل اليدوى الفلاحى ـ بعض المقترحات اود ان تؤخذ بعين الاعتبار ومنها :

1) اقتراحات فنية :

النظر فى امكانيات بث هذا البرنامج اسبوعيا حتى يتمكن ان يمس اكبر عدد ممكن من نشاط مراكز التكوين المهنى الفلاحى .

ـ ان يبث البرنامج فى مساء يومين مختلفين كالخميس والاحد لتمكين اكثر عدد ممكن من النظارة من الاطلاع والمتابعة .

ـ الاعلان سلفا بواسطة الاذاعة او التلفزة او الجرائد عن مضمون الحصة قبل موعد بثها .

ـ ان يحرص مخرج البرنامج على اكسابه مزيدا من الجاذبية والطرافة ، دون أن يكون ذلك على حساب الموضوع المطروق .

2) اقتراحات منهجيـــة :

ـ الخروج من مرحلة التحسيس ورفع المعنويات فى ميدان التكوين والتدريب على العمل الفلاحى الى عرض هذا التدريب والتكوين كما هو موجود بالفعل وطرح ما يتعرض اليه التلامذة والمكونون من صعوبات احيانا

ـ التركيز ، نعم التركيز مدة حصتين أو ثلاث أو أكثر على موضوع معين ، يتعلق بالتكوين الفلاحى ، مثل البرنامج الرسمي للتدريب او التكوين الفلاحى : مواده ، خاصياته ، كيف يتم اعداده ، هل هو موحد ام يختلف باختلاف اختصاص مركز التكوين ؟ هل هذا البرنامج مواكب بيداغوجيا للواقع الفلاحى التونسى ؟ وغير ذلك مما يتعلق بهذه النقطة .

ومثل مسألة المكونين من فنيين ومهندسين واطارات ، ومستوى تكوينهم وخبراتهم ، وامتيازاتهم المهنية ، ومستوى انتاجهم ، ونسبة اشعاعهم فى مركز التكوين الفلاحــى .

ومثل مسألة تربية الماشية ، وإثارة ما يتعلق بمختلف فصائلها صغيرة كانت كالنحل والدواجن والارانب ام كبيرة كالجمال والخيول والبقر والغنم والماعز ، ونوعية العلف المقدم لها ومصادره ومواده المركب منها ، والمراعى وقيمتها ، ومرض الماشية حسب فصيلتها واسبابه والوقاية منه . وفقدان او قلة تربية فصائل بعض الماشية الصغيرة او الكبيرة ، وما هو سبب ذلك : وهل هو غلاء الكلفة ام عدم ملاءمة المناخ ، ام لمجرد عدم الاهتمام ؟ وهكذا دواليك ، بالنسبة للمسائل الاخرى التى تدخل فى صلب التكوين الفلاحى نظريا وتطبيقيا . وبهذه الصفة تصبح حصة برنامج ـ ابطال الغد ـ حول التكوين الفلاحى وثيقة حية ودرسا عمليا ميدانيا ، يغنم منه

الفلاح الامي ، والتلميذ الناشىء ، ويكون وسيلة تثقيف لكل من تهمه الفلاحة ومشتقاتها من قريب أو بعيد . اما ان تقفز كاميرا البرنامج فى حصة واحدة لا تتجاوز 30 دقيقة من البيوت المكيفة الى تربية الماشية ، الى الورشة ، الى درس العلوم الطبيعية او العربية الى اجابة مدير المركز عن سؤال المنتج ، فهو فى نظرى نوع من التعطيش ـ والتشويق ، يشبه تصفح مجلة الفكر او مجلة الاذاعة والتلفزة او تصفح اى كتاب مفتوح من خلال الشاشة الصغيرة .

ـ تخصيص حلقة أو أكثر لتكريم الفنيين والمهندسين وسائر الاطارات الذى تشرف عليه وزارة الداخلية والتدريب والتكوين المهنى الفلاحى الموجود بدوره فى المناطق الريفية . .

ـ تخصيص حصة او اكثر لتكريم الفنيين والمهندسين وسائر الاطارات الفلاحية ، التى بعثت مشاريع فلاحية ناجحة ، او قامت بدراسات تربوية مفيدة ، والدعوة الى مكافأتهم بالجوائز سواء من طرف البلدية أو وزارة الفلاحة نفسها وتوسيمهم أمام الناس فى التلفزة كما تم بالامس القريب توسيم المدير العام للاذاعة والتلفزة التونسية عبد العزيز قاسم ، والشاعر جعفر ماجد ، والرسام زبير التركى ، والرياضى محمد القمودى والفنانة نعمة وغيرهم ممن قدموا خدمات جليلة لهذا الوطن .

ـ تخصيص بعض الحلقات حول التكوين والتدريب على العمل اليدوى الفلاحى فى بلدان المغرب العربى ، ومدى تبادل التجارب فى هذا الميدان .

ـ تخصيص بعض الحلقات حول نفس الموضوع فى كل من السعودية ومصر والسودان والعراق ، التى تهتم اليوم اهتماما ملحوظا بالتنمية الفلاحية ،سواء داخل حدودها او ببلدان المغرب العربى ، ولا تزال ترد علينا بمكتبة إدارة التعليم والبحث والارشاد كتب ومجلات وتقارير فلاحية هامة ، وخاصة من السعودية والعراق ، تؤكد مدى انشغال هذين البلدين الشقيقين بمسألة التكوين والتدريب فى هذا القطاع الحيوى (الفلاحة) .

وفى اعتقادى ان الاخذ بجملة هذه المقترحات الفنية والمنهجية بعين الاعتبار يضمن البرنامج للتكوين والتدريب على العمل اليدوى الفلاحى اربع مزايا على الاقل :

1) ـ مساعدة المصالح المعنية بالتكوين والتدريب الفلاحي ، والتنمية الريفية ، بكل من وزارات الفلاحة والتربية والداخلية ، على تنسيق عملها وتوحيد جهودها في ميدان تكوين الفتيان والفتيات ، وتشغيلهم ، بصفة اكثر نجاعة .

2) ـ مساعدة المؤسسات الوطنية الفلاحية العامة ولجنة الفلاحة والصناعة بمجلس النواب مساعدة اعلامية تمكن من تصور الكفاءات البشرية المتاحة حسب مختلف الاختصاصات من المراكز المذكورة وتصور مجالات الاستثمار الممكنة في المناطق الاكثر احتياجا الى ذلك ..

3) ـ تمكين الفلاحين الكبار في السن والاميين منهم بالخصوص من رسكلة انفسهم وتدارك اخطائهم في العمل الفلاحي وتغيير بعض مواقفهم السلبية من مفهوم الفلاحة وتمكين بقية النظارة من ثقافة فلاحية عامة تفيدهم وقت الحاجة .

4) فتح الآفاق امام خريجي شعبة الفلاحة عموما وامام خريجي مرحلة التكوين المهني الفلاحي بصفة خاصة .

البشير السالمي

ننشر في الأعداد القادمة

شعر : **هشام المحمدي** .... غربة

شعر : **عبد الله مالك القاسمي** .. الريح هنا ساكنة .. لا تهدأ !

قصة : **الناصر التومي** .... التائه الذي لم يصدقه أحد

دَعْــوة للرّحيــل

شعر: محمد الأمين الشريف

وَحيدين كنّا
وكانَ الهوَى ثملا ..
يُغْدِقُ لآنَ في ضَفّةِ البَحْرِ
سِحْرًا وَتِيهًا
وكانَ الرؤى الأزرقَ ..
المتموّجَ أنسًا
يحاكي تلاحُمَنَا المتدفقَ عِشْقا

* * *

مُشَرّدَةً كنْتِ ..
يكبُرُ فيك سَنَا الصدفة الهائلهْ ..
تَسيرِينَ صامِتَةً
يَتَطايَرُ خلْفَكِ شَعرُكِ شَالاً
تُدَاعِبُهُ النّسْمَةُ المائِسَهْ

* * *

وكنتُ وَرَاءكِ جسما نحِيفا
تجاذبُهُ قوة قاهرهْ ..
تَقِفِينَ بِنَا بُرْهَةً
لِتَلْتَقِطِي شِرْنَقَهْ
صدفًا
أو محارًا
وَحِينَ تَهزُّينَ رَأسَكِ للأُفُقِ
الرّحْبِ
كي تَلْمحِي
شراعا يراقصهُ الموجُ
أو نورسا لاجئا
عَضّهُ الوجْدُ
ضلّ طريقَ قَرينَتِهِ
فتنتابُ جسمكِ رعشةُ رعْبٍ
فأقبِلُ نحوَكِ مُتَشِحا بِسُرُوري
فتَجْرِينَ نَحْوِي
وقدْ هوّجَ الخوفُ قلبك بالزفراتِ

* * *

تجيئينَ كي تدخلي
مثلما «الكنغر» ـ الطفلُ حُضْني
يراودني رافعٌ بالحضورْ
أروحُ .. ألملمُ شعركِ
أحضُنُ خصركِ
أمْطِرُ بالبوْس وَجْهَكِ
أنشدُ بين يديك قصيدي

* * *

تُغَنّينَ ـ ملهمتي ـ لي ملاحمَ عِشقٍ
تُذيبينَني .. أذيبك فيَّ
ففي ليل عينيك يَعْمُرُني أمَلٌ
بالذّهَابِ
يدَاهمُني هَاجِس بالعُبُورِ
فأُبحرُ فيكِ بدُون سَفِينْ .

* * *

فهَيا احمليني
عن الماءِ والرمْلِ
هيا بنا للهوَى الشاعريِّ
هُنالك قدْ نَلتقِي
بالنُّهى الأنثويِّ هنالك
يمتزجُ الطرفُ بالطرفِ
والنهدُ بالصدْرِ
والحلمُ .. بالـ .. واقِعِ ..

* * *

فهيَا معا نستضيفُ البرُوجَ التيوحدتنا
وتلك التي ربطتْ بيننا والحنينْ
فقد حدّثتني عن الحبّ
عصفورةُ الفجرِ
هيا بنا قبلَ عَوْدَ المغيبْ .

محمد الأمين الشريف

فى الأعداد القادمة ننشر

قصة : **شفيقه الساحلى**	حبك ليس بعده حب !
قصة : **جواد صيداوى**	المقبرة ..
قصيد : **سامح درويش**	جاء الشتاء
دراسة : **الشاذلى الساكر**	موجة النقد الادبى الجديد بفرنسا
قصة : **محمود بلعيد**	الدراجة الصفراء
دراسة : **المنصف الزغل**	نموذج من النقد الادبى عند العرب
قصيد : **أحمد فضل شبلول** .	قصيدتان : للزيتون .. والبحر
قصيد : **محمد بن صابر**	عبير الوداد

عندما تتفكك الجبال

قصة : هناء السويبي

أغلق جهاز التلفزة والامتعاض باد على وجهه ٠٠ يتأفف أبدا من برامجها ٠٠ لا يعجبه شيء فيها ٠٠ ربما لانه شيخ ٠٠ ما اهتموا يوما بمشاكل الشيخوخة٠٠ فتح جهاز الراديو .. فانبعث فى الغرفة صوت عبد الوهاب فى « سهرت .. » شردت عيناه ٠٠ وبدا على وجهه الرحيل ٠٠ ومع جلوسه على الاريكة قربه صاحت أختى التى انتحت مكانا نائيا من الغرفة لتطالع بعض ما يعجبها من مقالات فى مجلة شرقية ٠

الا نستطيع أن نلقى فى هذا البيت شيئا من الراحة .؟ أف ! وارجعت نظاراتها الى مستوى عينيها الجميلتين ٠٠ وانغمست من جديد فى صفحات المجلة وكأن شيئا لم يعكر صفوها .. كأن شيئا لم يقلقها .. تضحك أعماقى .. هى أبدا هكذا ٠٠ تقول كلمتها ولا تواصل رد الفعل ٠٠ كأن مهمتها فى هذا البيت الملاحظة والتعليق .. معقول جدا أن تشعر بذلك .. هى أعلى مستوى منى فى هذه الاسرة الكبيرة .. من مسؤولياتها الارشاد والتوجيه .. أما الاصلاح!.. لم يعر أبى أهمية لملاحظاتها.. وكأنه تعود على السماع والترك .. انتهت الاغنية ٠٠ وبدأ برنامج لا يعجبه ٠٠ أدار زر المذياع الى محطة أخرى ٠٠ وأخرى ٠٠ وأخرى ٠٠ وفى حركة يائسة اغلق الجهاز ٠ ٠نظر الى ساعته ٠٠ الوقت يزحف ٠٠ والايام تجرى ٠٠ وفى اراحة ظهره على ظهر الكرسى والقاء رأسه المتعب عليه خلته رجع بذاكرته الى سنين ولت ٠٠ تذكر نفسه صبيا ٠٠ وشابا ٠٠ وكهلا ٠٠ كان أبى الطفل المدلل ٠٠ هو الوحيد الذكر فى عائلته ٠٠ وهبت له الحرية منذ الصغر ٠٠ ولم ترد له كلمة ٠٠ كان هو الذى يختار وأبوه ـ جدى ـ ينفذ ٠٠ حتى أمى اختارها هو ٠٠ ومثل هذا نادر فى عصره٠٠ ذاك العصر الذى سمعنا عنه الكثير .. وعن اخلاقه وعاداته الاكثر .. كان الاب فى ذلك العصر يختار لابنه شريكة حياته ٠٠ قد تستشار الام أيضا فى موضوع يمسها كأم للعريس وكحماة لزوجته .

ـ جيهان ٠٠ احضرى لى طعام العشاء ٠٠

انهض ٠٠ انحصرت مهمتى منذ سنين فى الاعتناء بشؤون البيت ٠٠ لم افلح فى الدراسة ٠٠ لم يكن لى حظ أيضا فى تعلم الخياطة ٠٠ لم أستطع أن أكون أى شىء مما أراده لى أبى ٠٠ أنفق على أبى الكثير من ماله ٠٠ لا أستطيع أن أنكر ذلك ٠٠ ولكنه لم يخسر مليما واحدا من أجل ما أحب ٠٠ الحلاقة مهنة لا يحبذها ٠٠ أمرنى أن أبعد فكرة الاشتغال فيها من مخى ٠٠ وأمى لم تعارض ٠٠

جلس يتناول طعام عشائه ٠٠ كم أحب أن نجتمع كلنا على طاولة الطعام٠٠ وكم سعى لذلك ٠٠ جالسته أنا وأختى «الدكتورة» وأمى أياما على الطاولة ٠٠ ولكنه يريد أن يجتمع حول المائدة معه أيضا وخاصة أبناؤه الذكور ٠٠ كان أبى الوحيد الذكر فى عائلته ٠٠ ولكنه أنجب ذكورا عدة ٠٠ فرح بما من الله به عليه ٠٠ الرجل الذى ينجب الذكور انسان سعيد الحظ ٠٠ والبنت التى يكون لها اخوة ذكور أسعد حظا .. كان دوما يذكرنا بذلك ..

ـ ألم يرجع حتى الآن أحد من اخوتك .؟

ـ رجعوا كلهم الواحد تلو الآخر وخرجوا ٠

همهم بكلام لم أفهمه ٠٠

ـ وأمك ؟٠٠

ـ نامت ٠٠

ـ آ ٠٠ كالعادة ٠٠

الجو متوتر بين أمى وأبى ٠٠ لكنه توتر بارد لم يتفرقع بعد ٠٠

ـ أعازمة على ألا تتناولى طعام العشاء .. الليلة .. يا .. يا « دكتوره » !؟

لم تهز عينيها عن المجلة ٠٠ لكأنها لم تسمعه وهو يخاطبها ٠٠ أراهن أنها سمعته ٠٠ بل سمعت كل حديثنا ٠٠ وأحست بكل حركات أبيها الملولة ٠٠ ولكنها تتجاهل كل ما يدور حولها ٠٠ حرب الصمت أعلنتها منذ وقف أبى وقفة قاسية صامدة ضد خروجها ليلا ٠٠ أو رجوعها متأخرة من ناد أو مكتبة أو ملتقى .. لطالما شكت لى « مخه البارد » .. « عقليته المتأخرة » .. لطالما اتهمته بالانانية ٠

تلك أنانية الذكر التى ترفض بشدة أن تتحرر المرأة وتعامل الرجل معاملة الند للند ·· ونتصرف مثله تماما دون خلفية ·· دون تمييز ·· أبوها رجل أحس أن زمام الامور أفلت من يديه فى تربية أبنائه الذكور كما يريد فرجع على بنتيه..أبى تربى حرا مدللا.. لا ترد له كلمة.. وعوض أن يعود أولاده على مثل ما اعتاد أراد بالعكس الاستمرار على ما تعوده هو من الحكم والنفوذ ·· لقد وجد أبى نفسه حرا ·· أما اخوتى فقد اغتصبوا حريتهم منه ·· افتكوها ·· عودوه عليها ·· أحس أنى أنا الوحيدة الخاسرة فى هذا البيت ·· يأمروننى فأطيع ·· بلا نقاش ·· بلا معارضة ·· البى طلبات الجميع ·· اخوتى ·· وأغسل لهم ثيابهم ·· أكويها ·· أحضر لهم مجتمعين أو متفرقين طعامهم .. أبى ..! أعتنى بكل صغيرة وكبيرة يأمر بها أو يلمح لها .. خاصة منذ أن تنازلت أمى عن مسؤولياتها تجاهه شيئا فشيئا .. أختى «الدكتوره» ! أوفر لها من أسباب الراحة لتدرس وتنجح ما استطيع .

فى كل هذا ربما امتزت عليهم كلهم بشىء هو أنى مستودع أسرار الجميع بعلمهم وبغير علمهم ·· على كل ·· عزائى الوحيد أن مقامى بهذا البيت الثقيل الذى أعانى فيه من الوحدة ما أعانى هو أن مدة اقامتى فيه لن تطول ·· بل ستنتهى فى شهور قليلة ·· فرحت والدتى لما خطبت ·· سيزاح حمل ثقيل من على كتفيها .. فرح أبى أيضا .. ولكنه تجهم للمصاريف التى ستتهاطل عليه بسببى ·· أنا عاطلة عن العمل ·· لا مورد رزق لى .. يجب عليه أن يجهزنى ·· وأحسن جهاز ·· العريس غنى ·· وعائلته غنية ·· ويتحتم على أبى أن يقدم ما يليق به ·· مثلما سيقدم هو ·· كانت صفقة لم أفرح بها ·· ولكنى اليوم فرحة ·· لانى قريبا سأخدم نفسى ·· ولانى اصبحت أحبه ·· أحب وجدى حب جنون ·· قد يكون مكسبا لى ·· وقد لا يكون .. فكرة أختى «الدكتوره» الفيلسوفة عن الرجل مغايرة تماما لاحلامى.. لست أدرى أهى نتيجة انهزام وفشل أم نتيجة استعلاء وغرور !؟ أكيد نتيجة غرور .. فقد خطبها العديدون .. والعديدون من عليه القوم .. ولكنها رفضت ·· أخاف أن يفوتها القطار ·· أخاف أن لا تلقى من يتمناها حين تتمنى هى — خاضعة للواقع — أن ترتبط برجل تأتى معه الحياة والحب والامومة ..

يدق جرس الهاتف .. ينطلق جسمى فى حيوية غريبة وقلبى يدق باسم وجدى .. سيطول حديثه الحلو لى .. ينتهى أبى من تناول طعام العشاء .. فيلتفت للدكتوره يأمرها أن تنظف الطاولة .. تستمر فى لعبة

الصمم .. ولكن أبى يخرج عن طوره .. يندفع نحوها .. وبعصبية يفتك منها المجلة .. تنظر اليه ببرود ..

ـ انهضى ..

ـ لا تكلمنى بهذه اللهجة ..

ـ ولم ؟.. ألأنك دكتوره !؟ دكتوره خارج البيت .. لا هنا .. سمعت .

ـ ولكنك لست دكتوره داخله .

يصفعها صفعة تطيح بنظاراتها على الاريكة .. تحبس عبراتها بقوة .. وتصيح فيه ..

ـ لست قادرا الا على الضرب .. سلاح الضعفاء ..

يحتد العراك بينهما .. يدخل عاصم .

ـ جو الخناق دائما .. جو التوتر .. انها حرب .. حرب ..

يلتفت اليه ..

ـ ما الذى أخرك حتى هذا الوقت !؟

ـ لا توجه لى الخطاب أبى .. دعنى احترمك بالصمت على الاقل .. فأنت تدرى جيدا أنى أنا وأنت لسنا على موجة واحدة .. أنت تغنى حزبا .. وأنا أغنى حركة ..

ـ ولم ؟.. ما السبب ؟.. مددتك بالمال .. أعنتك بكل ما احتجت اليه .. جعلتك رجلا بين أصحابك ..

ـ ليس المال ما اطلب .. ولا الاعانة .. حرر نفسك قبل كل شىء من افكارك الرجعية .. أفكار النفوذ والسيطرة الطاغية .. كن صريحا مع نفسك ولو للحظة ..

تنسحب الفيلسوفة أثناء هذا الحوار القصير .. وتغلق على نفسها باب غرفتها .. أتصورها الآن تبكى .. هى لا تبكى الا لنفسها .. وأمام نفسها.. سمعت مرارا نشيجها المكتوم .. رأيت أحيانا دموعها الصامتة .. غريبة ..

وفى هذه اللحظة أسمع من الحديقة ضحكات أليف وسمير .. هذان أبدا متفاهمان .. أراهن أنهما كانا فى ناديهما المفضل « مشاكلكم وحلولها » .. لعل البيت الآن سيستأنف صخبه .. يقفان أمام أبى .. سيسألهما نفس السؤال الذى القاه على عاصم ..

ـ أين كنتما .. ما لذى أخركما .؟ الكلية تغلق أبوابها قبل هذه الساعة.

ينطق أليف فى هدوء يخفى ثورة وديناميتا :

ـ ليس المهم أين كنا .. المهم أين أصبحت أنت ؟

حتما سيسأله أبى عما يعنى ٠٠ هكذا أبى ٠٠ كلما قيل شىء لا يعجبه يظهر انه لم يفهمه ٠٠ ولكنه هذه المرة سكت ٠٠ فاستأنف أخى قائلا :

ـ ثم : لسنا حريما يا أبى ٠٠ دعنا نتحرك ٠٠

ـ لست ضد التحرك ٠٠ لكنى أريده أن يكون فى الضوء ٠٠

ـ قبل الضوء لابد من فترة فى الظل ٠٠ فلا تأتى الشمس الا بعد الظلام ٠٠

تفلت منى قهقهة .. يحمر لها وجه أبى .. وتضع علامات استفهام على وجه أليف ٠٠

ـ ما الذى يضحكك يا فتاة ؟

أرتبك ٠٠ لكن سمير ينقذ الموقف اذ رآنى امسك بسماعة التلفون ٠

ـ لعل وجدى قال لها شيئا مضحكا .. بلغيه تحياتى يـا جيهـان ..

ترجع أذناى مجتمعتين للهاتف . فقد انعزلت اليسرى عن الحوار بالصالون .. دون أن تدبر عيناى عن مسرح الاحداث بها ٠٠ ينتهى الى مسـامعى صـوت وجدى وقد خمن ما يحدث :

ـ دائما نفس الجو ببيتكم ٠٠ وجهات النظر دوما فى اختلاف !؟

ـ للاسف ٠٠ نعم ٠٠

ـ متى يتفقون ؟

ـ لا أخالهم سيصلون الى اتفاق ٠٠

ـ والحل ؟

ـ ان تستمر ناعورة الكلام تدور حول المشكل الاساسى ٠٠

ـ وما المشكل ؟

ـ لا أدرى ٠٠ قد تكون مسألة حكم ومصير ٠٠

هنـاء السـويسى

صلامبو ١ / ١٠ / 1982

ذكريات

شعر: نور الدين فارس

زورق الحلم الذى أرسى على الرمل وحيدا
كم ركبناه وأبحرنا وسافرنا بعيدا !
وحوالينا الامانى تملأ الدنيا نشيدا
إنه الفجر الذى قد كان للأيام عيدا
ليته يرجع يوما بعد ان ولى وفات
ذكريات

أين راح الوجد والشوق وأيام هوانا ؟
أين أطياف هنا كنا نراها وترانا ؟
أين ذاك العالم الرحب الذى كان احتوانا ؟
أين ذاك الموعد الزاخر حبا .. وحنانا ؟
لهف نفسى أين من عيني تلك الأمسيات ؟
ذكريات

طالما بالأمس رددنا مواويل عذابا
وسرت أنغامنا فى الكون تنساب انسيابا
وفتحنا فى رحاب الأفق للآمال بابا
وانطلقنا نغمر الدنيا حياة وشبابا
ومن الشعر انتشينا بكؤوس مسكرات
ذكريات

أيها الدرب الذى عشنا به شوطا جميلا
لم نجد فى رحلة العمر لدنياك مثيلا
كم عبرناك بأحلام الصبى عهدا طويلا
ثم ضيعناك فى صمت وغيرنا السبيلا
وافترقنا وبأيدينا شموع الذكريات

الـدورة الأولى
للمجلس الأعلى للثقافة

تعميما للفائدة حرصنا على نشر التقرير العام الذى صدر عن الدورة الاولى للمجلس الاعلى للثقافة الذى انعقد يومى 28 ـ 29 جانفى 1983 وهذا نصه :

«التأمت الدورة الاولى للمجلس الاعلى للثقافة المحدث بالامر عدد 1629 بتاريخ 20 ديسمبر 1982 يومى 28 و 29 جانفى الجارى وتفضل سيادة الوزير الاول محمد مزالى بالاشراف على افتتاح اشغال المجلس ، بحضور السيد البشير بن سلامة وزير الشؤون الثقافية وبمحضر اعضاء المجلس وحشد كبير من رجال الثقافة وارباب الفكر . كما تفضل سيادته بالقاء كلمة توجيهية قيمة ابرز فيها أهمية التوجه الجديد فى معالجة شؤون الثقافة باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الحياة القومية تربطه بالدورة الاقتصادية روابط عضوية ويتطلب من الدعم والتخطيط والتقييم والتقنين ما يتطلبه أى قطاع حى من قطاعات النشاط القومى الهادفة الى التنمية الشاملة ويدعو المجتمع التونسى بجميع فئاته الى دعمه بالاسهام فيه والاستثمار فى مجالاته والعمل على اشعاع انتاجه داخل الجمهورية وخارجها لتتبوأ الثقافة المكانة التى تليق بها والشأو الذى يمكنها من اداء مسؤولياتها فى مجتمع يتطور بحق وتنشأ عن تطوره ذاته مشاغل معقدة ومتنوعة ومتغيرة تفرض تركيز العناية على البيئة الثالثة بتوفير المناخ الملائم للخلق الثقافى لحماية الاجيال الصاعدة من الضياع والانبتات واللامسؤولية وانحلال الاخلاق ولتأهيلها للتحكم فى مصيرها ومضاعفة قدراتها للدخول فى حوار بناء ومستمر مع المجموعة البشرية الواسعة .

فالثقافة عامل اساسى من عوامل التنمية الشاملة . وقد قال فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة فى خطابه بالكاف بتاريخ 15 سبتمبر 1968 فى هذا الصدد «الثقافة عامل انتاج وحضارة ... وهى حماية اجتماعية تكتسب مناعتها بالتعليم والجو الوطنى المخيم على الشعب» واكد من جهة اخرى . «ان التنمية الثقافية تقتضى اعتمادات ماليةهامة يجب استخراجها بالرغم من ان الاقتصاديين يولون

عادة الاسبقية لاختيارات اخرى . كما الح المجاهد الاكبر على «ان التنمية الثقافية وان لم يكن لها مردود ظاهر للعيان قابل للترقيم فان لها انعكاسا على جميع النشاطات الاقتصادية لان لها تأثيرا على الانسان» .

وانطلاقا من هذه المفاهيم العصرية لدور الثقافة في النهوض بالانسان وتطوير عمله في اطار التنمية الشاملة عقد المجلس الاعلى للثقافة جلساته بوزارة الشؤون الثقافية ووزع أعماله على خمس لجان هي كما يلي :

- لجنة تمويل العمل الثقافي .
- لجنة الفنون .
- لجنة التراث .
- لجنة العمل الثقافي .
- لجنة تكوين الاطارات .

وأوكل الى هذه اللجان النظر المعمق في ورقات عمل تتصل بالوضع الراهن للثقافة وما انجز خلال العشريتين المنصرمتين في مختلف ميادينها من تشريعات شملت كل القطاعات الثقافية التقليدية ومن هياكل احدثت لتنشيطها ومن اطارات كلفت بتسييرها وجلب الشباب الى تعاطي الهواية فيها ومن شتى اساليب التشجيع والدفع على الخلق والابداع .

وطلب من لجان المجلس استخلاص أهم ما ورد في الدراسات المطروحة على بساط البحث من مقترحات عملية قابلة للتطبيق على المدى القريب أو في فترات لاحقة باعتبار الامكانات المادية المتوفرة الآن أو المرتقبة في المستقبل وبضبط الاولويات عملا بمبدإ تقديم الاهم على المهم وبتوخي النظرة الشمولية الكفيلة وحدها بتقريب الثقافة من المواطن وبتحسيسه بضرورة الاسهام في الاستثمار في شتى ميادينها كأي قطاع منتج على المستويين المعنوي والمادي باعتبار أن ميزانية وزارة الشؤون الثقافية المتواضعة لم تعد - مهما تطورت وتضاعفت امكاناتها المالية - تسمح بمواجهة المتطلبات المتزايدة لجموع الشباب الطموح والمتزايد اقباله على المادة الثقافية بحكم تعميم التعليم وتصاعد الوعي واتساع الافاق المعرفية وتنامي الحاجات الى التغذية الفكرية والروحية .

1 - صندوق العمل الثقافي :

اعتبرت لجنة تمويل العمل الثقافي لجنة رئيسية في الدورة الحالية للمجلس باعتبارها لجنة تفكير لاستنباط أساليب غير مطروقة من قبل لتمويل التنمية

الثقافية للبلاد عن طريق انشاء صندوق عام لدعم الانتاج الثقافي وترويجه على الوجه المرضى قصد النهوض بالثقافة التونسية العربية الاسلامية وبعث ديناميكية جديدة فى هذا العمل الذى اصبح يعتبر فى العصر التكنولوجى الذى تمر به البشرية الآن عنصرا رئيسيا من عناصر التوازن والتناغم والانسجام ووسيلة من انجع وسائل النهضة الشاملة اذا لم نقل أقدرها على تحقيق مطامح البشر الى المزيد من الحرية والمناعة والارتقاء بالذات ٠

وعلى ضوء هذا المنظور الحركى للعمل الثقافي ولضمان التمويل المنتظم والتطويرى لجميع ميادينه وقطاعاته بوسائل مرنة للتدخل السريع لفائدة الابداع والتنشيط والترويج والاشعاع ٠

يوصي المجلس ببعث «صندوق العمل الثقافي» ويبارك مبدأ احداثه حسب النظام الذى يصدر فى شأنه مع الاشارة الى ضرورة تكوين الاطارات اللازمة لمجابهة حاجات التصرف المترتبة عن الانجازات الجديدة ٠

1 ــ ويتدخل الصندوق فى مستوى :

أ ــ التمويل المباشر للخلق الثقافي عن طريق المنح المسندة الى الانتاج المسرحى والموسيقى والادبى والى المهرجانات والتظاهرات الثقافية بأنواعها ٠ وكذلك الى الانتاج السنمائى والسمعى والبصرى والى برامج البحوث والدراسات الثقافية فى شتى المجالات ٠

ب ــ المساهمة فى تمويل تجهيز الهياكل الاساسية المتوفرة حاليا باقتناء الكتب لفائدة المطالعة العمومية وبتجهيز دور الثقافة ودور الشعب والمكتبات العمومية بالمزيد من الوسائل والآلات والمعدات السمعية والبصرية ٠ كما يساهم الصندوق فى مساعدة المجموعات المحلية وخاصة الصغيرة منها قصد انشاء هياكل قارة للتنشيط الثقافي ٠

ج ــ الاستثمار فى قطاع التجهيز الاساسى للمطالعة العمومية لبعث مكتبات عمومية على المستوى المحلى ٠

د ــ الضمان لدى البنوك للحصول على الاعتمادات الموجهة الى الاستثمارات الثقافية والى دعم الانتاج بالاتفاق مع مصالح وزارة الشؤون الثقافية ٠

هـ ـ تقديم اعانات فى صورة منح لتكوين عمال صناعات النشر ورفع مستواهم الثقافى ولدعم الطباعة وللباعثين الذين يقترحون ويحققون برامج تكوين وتحسين وتعهد ورسكلة القصد منها توفير الانتاجية بمؤسساتهم كما يمكن للصندوق أن يمنح تخفيضات فى الفائض تقدر حسب الجهات وحجم المشروع لفائدة باعثى قاعات السنما فى الشبكة التجارية .

2 ـ موارد صندوق العمل الثقافى :

تتكون هذه الموارد من :

أ ـ ضريبة التجهيز الثقافى التى توظف على القيمة الكهربائية قياسا على الضريبة المستخلصة لفائدة « الصندوق القومى لتحسين المسكن » ويكون مقدارها أربعة فى المائة على القيمة الكرائية .

ب ـ استخلاص على نقل ملكية الاراضى فى صورة جبائية تقدر بنسبة اثنين فى المائة على القيمة المصرح بها . بما أن المشرع جعل الاراضى المعدة للبناء تتمتع بايقاف معاليم النقل .

وتكون الجباية المقترحة قابلة للطرح من الفائض الذى وظفه المشرع فى حالة عدم انجاز البناء .

ج ـ استخلاص خمسة بالمائة من الرصيد المشترك للمجموعات المحلية على غرار ما هو مستخلص لفائدة الديوان القومى للتطهير ويخصص صندوق العمل الثقافى هذا الرصيد لمساهمات تستفيد منها المجموعات المحلية فى عملها الثقافى .

د ـ مساهمة وجوبية من قبل المؤسسات ذات الطابع العمومى والخاص بنسبة اثنين فى الالف من رقم معاملاتها ويمكن لهذه المؤسسات استرجاع المصاريف التى يتطلبها الانجاز بموافقة وزارة الشؤون الثقافية وذلك فى حدود خمسين بالمائة من المقادير التى تكون قد ساهمت بها فى تمويل الصندوق .

هـ ـ ضريبة قدرها مائتا مليم توظف على كل علبة بكر لاشرطة تسجيل الصوت المنتجة محليا أو المستوردة وضريبة أخرى بنسبة خمسة بالمائة على أشرطة الفيديو والادوات المتصلة بانتاجها سواء فى تونس أو فى حالة توريدها . وكذلك على ناسخات الصور . وقد وردت الاشارة الى هذه الضريبة

فى توصيات الينسكو ، على أن تعفى المؤسسات الثقافية من هذا الاداء وان يعود مقداره الى ناشرى الاشرطة المسجلة محليا ،

و ـ استخلاص مقدار مالى على المشروبات الكحولية يقدم فى صورة هبة من الدولة لتمويل الصندوق ، واصدار طابع خاص يلصق وجوبا على انواع علب السقاير والتبغ المنتجة محليا والمستوردة ، وقيمة الطابع خمسة مليمات على العلبة الواحدة ،

ز ـ توظيف اداء مقداره عشرة بالمائة من قيمة العقود المبرمة بين الفنانين تونسيين كانوا أو أجانب وبين متعهدى الحفلات المقامة بالنزل والمطاعم والنوادى الليلية ومختلف القاعات المعدة للاعراس ،

هذا ويعتبر المجلس أن مصادر التمويل هذه متنوعة ومتوفرة وانها لا تثقل كاهل المواطن ذى الدخل المتواضع بأية حال من الاحوال ويوصى بسن التشريعات الضرورية التى من شأنها أن تدعم التطوع والمبادرات الفردية أو الجماعية الواجبة فى الميدان بمداخيل قارة تدرج الثقافة بحق فى اهتمامات المجموعة القومية وتخرج بها نهائيا من الارتجال ومجرد النوايا الطيبة ومن الطوبائية التى لا تخضع للتصميم المسبق وبالتالى للتقييم والتقدير ،

II ـ التراث :

1 ـ الآثار :

يبارك المجلس الخطوات الايجابية الهامة التى قطعت فى الميدان وتمثلت فى اعادة تنظيم هياكل المعهد القومى للآثار والفنون فى السنتين الاخيرتين ، ولقد تجسم ذلك فى اصدار النصوص التشريعية التالية :

أ ـ بعث مركز دراسة الحضارة الفينيقية البونيقية وآثار اللوبيين ،

ب ـ بعث مركز دراسة الحضارة الكلاسيكية والآثار الرومانية والبيزنطية

ج ـ بعث مركز الفنون الاسلامية برقادة ،

هـ ـ بعث مركز تاريخ الحركة الوطنية ،

وتتجه عناية الوزارة الى اصدار نصوص تشريعية أثرية تكملة لاعادة هياكل المعهد ،

ويوصى المجلس :

1 ـ ببعث مجلس علمى للمعهد يتولى خاصة تخطيط سياسة المعهد القومى للآثار والفنون والتنسيق بين مختلف هياكله ،

2 ـ بتطوير متحف باردو ،

3 ـ باحداث متحف قومى للآثار والفنون يستجيب لحاجيات تونس الجديدة ويكون قائما على التقنيات الحديثة فى ميدان المتاحف ،

4 ـ بتوعية المواطنين بقيمة التراث على اختلاف أنواعه ، وذلك خاصة بادماجه ضمن برامج التعليم ودور الثقافة ودور الشعب والشباب ٠

5 ـ ببعث صندوق للتراث الاثرى التاريخى تتأتى موارده خاصة من :

أ ـ المعاليم الموظفة على زيارة المتاحف والمعالم ،

ب ـ عائدات حقوق الانتاج المتأتية من استغلال التراث الاثرى التاريخى (بطاقات بريدية ، نشر كتب ، شفافات ، أفلام ، مجسمات جبسية ، وغيرها ٠٠)

ج ـ الهبات على اختلافها ٠

2 ـ دار الكتب الوطنية :

يسجل المجلس الاعلى للثقافة بارتياح :

أ ـ صدور القانون الاساسى لدار الكتب الوطنية سنة 1979 ٠

ب ـ ترميم فرع دار الكتب الوطنية مما وفر قاعة ثالثة للمطالعة ٠

ج ـ رصد اعتمادات اضافية لترميم المبنى الحالى وتجهيز ورشات التسفير والتصوير المصغر ٠

يوصى المجلس :

أ ـ بانجاز البناية الجديدة لدار الكتب الوطنية ٠

ب ـ بتنقيح القانون الاساسى لسنة 1979 حتى يستجيب لحاجات دار كتب مجهزة بأحدث ما جد فى الميدان ٠

ج ـ باصدار تشريع يضمن حماية الوثائق من الاتلاف والتهريب ٠

هـ ـ باصدار تشريع يضمن لدار الكتب الوطنية حق الشفعة (أولوية الشراء) فيما يتعلق بالتراث الوطنى ،

و ـ بتمكين دار الكتب الوطنية من الاستفادة الفعلية من قانون الايداع ٠

ز ـ بتمكين دار الكتب من ارث حقوق النشر واعادة النشـر للكتب التى ليس لاصحابها ورثة ٠

3 ـ الادب الشعبى :

يسجل المجلس الاعلى للثقافة بارتياح المجهودات التى بذلت لتجميع الادب الشعبى سواء فى دار الكتب الوطنية أو فى مصلحة الادب الشعبـى بـوزارة الشؤون الثقافية ٠

ويوصى بدعم هذه المجهودات وتشجيع البحث الميدانى بجمـع المأثـورات الشعبية وتدوينها وحفظها من التلاشى ونشرها والعمل على تكوين أطر مختصة والاستفادة بذوى الخبرة فى الميدان ٠

III ـ العمل الثقافى :

1 ـ التنشيط :

يبارك المجلس المنحى الذى اتخذته الوزارة باصدار قانون يدعـم اللجـان الثقافية ومجالس دور الشعب ودور الثقافة بتشريك رجـال الاختصـاص فى العمل الثقافى ٠ ويوصى بتطوير الوضع العام الذى عليه دور الثقافة والشعب من حيث التجهيزات والاطارات المسيرة القارة منها والمتطوعة وبتوفير الاجهزة الصوتية والضوئية والوسائل السمعية البصرية بدور الشعب والثقافة وبتوفير الاطار المنشط فى مختلف الاختصاصات وبدعوة شركات النقل لاقرار تخفيضات للفرق الثقافية (على غرار ما يجرى به العمل لفائدة منظمات الشباب والجمعيات الرياضية) وبرسكلة اطار المنشطين الحاليين وتدعيمه باطارات كفء من ذوى الاختصاص وبتنسيق العمل بين وزارتى الشؤون الثقافية والشباب والرياضة لحسن استعمال الدور المشتركـة ٠ وكذلـك بالاسـراع باصدار النصوص التطبيقية المتعلقة بقانون الهياكل الاساسية ٠

2 ـ الجمعيات الثقافية :

يشيد المجلس بروح العمل التطوعي وبالمجهودات التي تبذلها الجمعيات ويوصي كل الجهات المعنية بمواصلة تشجيع الاتحادات والمجموعات الثقافية وبتكينها من الظروف المادية والمعنوية الملائمة للبحث والابتكار وترويج الانتاج.

3 ـ المهرجانات :

يبارك المجلس التوجه الجديد الذي انتهجته الوزارة طبقا للائحة العامة المنبثقة عن الندوة القومية للمهرجانات وذلك لجعل هذه التظاهرات متميزة بعضها عن بعض كما يتبنى التصورات الطريفة التي تساهم في دعم الابداع الفني والادبي التونسي المتميز خاصة وفي التنمية الثقافية بصفة عامة ويوصي المجلس بحث المؤسسات الاقتصادية والسياحية على الاسهام المتزايد والمكثف في تمويل المهرجانات كما يوصي بالبحث عن اشكال تجريبية طريفة مع توخي انتظارات الجماهير العريضة والتعرف عليها .

4 ـ المطالعة العمومية :

يسجل المجلس بارتياح المجهودات التي بذلت في ميدان المطالعة العمومية وبالخصوص في نطاق التمويل والتجهيز مما نتج عنه اتساع شبكة المطالعة العمومية التي أصبحت تغطي حاليا 111 مركز عمران أي مدينة وأكثر من 1000 مركز توزيع ريفي بفضل تعميم المكتبات المتنقلة (20 مكتبة متنقلة) أي بنسبة مكتبة متنقلة لكل ولاية ، وبفضل انشاء 100 مكتبة عمومية للاطفال و 19 مكتبة للشباب و 64 مكتبة للكهول ، زيادة على المكتبات المركزية في المؤسسات الثقافية المنتشرة في كامل تراب الجمهورية كمكتبات دور الشعب والثقافة ودور الشباب .

واعتبارا لضرورة بعث مكتبات عمومية محلية بكل مركز بلدية حسب المعايير المضبوطة وتمكينها من التجهيزات الضرورية لايصال المطالعة العمومية الى مراكز العمل (مصالح ادارية ومؤسسات ...) والى مراكز الايواء (مستشفيات اصلاحيات ، ثكنات ...) والوصول الى الحد الادنى الذي ينبغي أن تحققه المطالعة العمومية (وهو كتاب لكل مواطن) .

واعتبارا الى أن نشاط المطالعة العمومية يقوم على هياكل منظمة لهواة المطالعة مدعمة بما يقوم به المهنيون في مجال التنشيط . وحتى تتمكن الشبكة الحالية للمطالعة العمومية من أداء مهمتها على الوجه الاكمل .

يوصى المجلس الاعلى للثقافة :

بتركيز المطالعة العمومية بالاعتماد على نصوص تشريعية وتنظيمية وبعث مؤسسة عمومية لادارة شؤونها واللجوء الى صندوق العمل الثقافى المزمع احداثه ليتدخل سواء فى تجهيز المكتبات العمومية أو تنشيطها أو نشرها على أوسع نطاق ·

وسائل نشر الثقافة

يوصى المجلس بتنسيق الجهود بين الاذاعة والتلفزة وبين المؤسسات الثقافية وذلك لاستنباط صيغ جديدة لدعم الانتاج الثقافى وتوفيره وكذلك بتكوين ارصدة للعمل الثقافى من أفلام وكتب واصطوانات وأشرطة سمعية وبصرية وغيرها فى نسخ تكفى لسد الحاجة الماسة للانتاج الثقافى المتنوع ·

البحث والتوثيق :

أن المجلس اذ يبارك انشاء مركز الدراسات والتوثيق فى مجال التنمية الثقافية فانه يوصى بدعمه والاسراع فى اصدار قانونه الاساسى وباحداث بنك للمعطيات الثقافية وتدعيم الدراسات والبحوث الميدانية لتطوير العمل الثقافى ·

العمل الثقافى بالخارج

يوصى المجلس بتشريك وزارة الشؤون الثقافية فى اختيار الملحقين بسفاراتنا وبدعم السعى الى ترويج الانتاج الثقافى بالخارج وبالتخطيط الجاد لفتح مراكز ثقافية تونسية بأهم العواصم الاجنبية ·

١٧ ــ الفنون :

شملت لجنة الفنون بالنظر خمسة قطاعات هى المسرح والسنما والموسيقى والفنون التشكيلية والاداب (باستثناء الكتاب صناعة ونشرا وتوزيعا وترويجا لاهمية هذا القطاع الذى سيجتمع المجلس القومى للنشر لدراسة اوضاعه فى أجل قريب) ·

ولاحظت لجنة الفنون أن المجهودات المبذولة حتى الآن فى هذه الميادين قصد دعمها وتشجيع المنتجين فيها ليست كافية رغم اهميتها اذ أن النسبة المخصصة للتشجيع على الانتاج ضمن العنوان الاول من ميزانية وزارة الشؤون الثقافية لا تكفى بأية حال لمواجهة متطلبات النهضة بمنظور الثقافة الجديد ولادخال الثقافة فى الحياة اليومية وفى تطوير البيئة الثالثة .

واعتمادا على الوضع الراهن وعلى تطلعاتنا المستقبلية فى الميدان يبدو من المؤكد أن دور الدولة لا يعوض فى توفير الظروف الملائمة للانتاج الثقافى وفى تطوير المناخ الثقافى وخاصة فيما يتصل بالبنية الاساسية . كما يبدو من أوكد الواجبات تنسيق الجهود المبذولة من قبل كافة المؤسسات المعنية بالتكوين فى قطاعات الثقافة والتربية والبحث .

ويوصى المجلس الاعلى للثقافة بما يلى :

1 ـ تطوير الاعتمادات المخصصة للتشجيع على الانتاج الثقافى ضمن ميزانية الوزارة باعتباره جانبا أساسيا للنهوض بالميدان .

2 ـ تجنب تشتيت الجهود وتوظيفها على نحو مثمر بتحقيق الوضوح والتكامل والتنسيق بين الهياكل والمؤسسات المعنية بالتشجيع على الانتاج الثقافى مع ضبط مفهوم واضح للتشجيع يستند الى المعطيات التالية :

أ ـ اتخاذ التدابير اللازمة فى مستوى التشريعات والهياكل والتمويلات لتمكين المنتجين من الانتاج فى ظروف مناسبة كفيلة بتطوير الانتاج كما وكيفا

ب ـ اتخاذ الاجراءات الملائمة لاشاعة الانتاج التونسى فى حياة المجتمع ولاشعاعه بالخارج .

ج ـ تطوير الصناعات الثقافية ودعمها وتمكينها من التمويلات اللازمة على نحو يضمن المزيد من الانتاج الجيد ويساعد على ترويجه على نطاق واسع . وادراج هذه الصناعات ضمن الدورة الاقتصادية .

هـ ـ التأكيد على توجيه التشجيع على الانتاج الثقافى الذى يتميز بالجودة والجدة فعلا وضبط مقاييس ذلك بالاعتماد على الموضوعية . وتشريك المنتجين انفسهم فى عمليات التقييم حتى يكون الانتاج الثقافى التونسى فى مستوى يسمح برواجه الحقيقى فى الاسواق الداخلية والعربية والعالمية على حد سواء .

وعملا على تحقيق هذه الاهداف يرى المجلس أن هناك اجراءات وتدابير متأكدة يوصى بتنفيذها • وهى على سبيل المثال لا الحصر تتمثل فى التوصيات التفصيلية التالية :

1 ـ اصدار قانون أساسى يعترف بخصوصية المهن الثقافية •

2 ـ التأكيد على المشاركة الفعلية للفنان فى حياة المجموعة من خلال وعيه بمسؤولياته فى النهوض بالمجتمع وتطويره •

3 ـ مواصلة دعم العمل الفنى ومساعدة المنتجين على الابداع عن طريق صندوق العمل الثقافى •

4 ـ العمل على تطبيق التوصيات الصادرة عن اللجنة المشتركة بين وزارتى التربية القومية والشؤون الثقافية باعادة النظر فى مناهج التربية الفنية فى كافة مراحل التعليم •

كما يوصى المجلس لدعم القطاعات التقليدية بما يلى :

المسرح :

ـ احداث مسرح وطنى يجمع الممثلين فى مؤسسة واحدة تعنى بمتابعة الابداع وتأمين التوزيع ورسكلة العاملين فى القطاع المسرحي وبالسهر على التخطيط العام للتنشيط الثقافى وتوفير التجهيزات الضرورية للقطاع •

ـ اصدار مجلة قانونية للمسرح تضم كل القوانين المتعلقة بالقطاع •

ـ بناء مسارح بمراكز الولايات المفتقرة الى التجهيزات الاساسية المسرحية والشروع فى المقر المركزى للمسرح الوطنى بالعاصمة .

ـ اعادة النظر فى مناهج المسرح المدرسى واقراره كمادة اختيارية فى برامج التعليم الثانوى والسعى الى ادراجه فى برامج التعليم الابتدائى •

ـ التأكيد على ضرورة تنظيم قطاعى الهواية والاحتراف •

السنما :

ـ بعث خزينة وطنية للمحافظة على الوثائق السنمائية وتغذية الشبكات الثقافية بالمادة الرفيعة من الانتاج •

ـ مواصلة دعم الفيلم التونسي في الداخل والخارج انتاجا وتوزيعا واستغلالا ٠

ـ احكام عملية الاستخلاص لفائدة صندوق التنمية السنمائية وتنويع مصادر تمويله ٠

الموسيقى :

الاسراع باصدار القوانين الاساسية المتعلقة بالتعليم الموسيقي في المعاهد الراجعة بالنظر الى الوزارة .

ـ مواصلة دعم المهرجانات الموسيقية الخاصة بالانتاج الجديد ٠

ـ مزيد التنسيق بين الوزارة والاذاعة والتلفزة الوطنية قصد ترويج الانتاج الموسيقي التونسي الممتاز والانتاج العربي والاجنبي بما يخدم الذوق وينمي الذهن .

ـ اعفاء الآلات الموسيقية والاسطوانات ذات الصبغة الثقافية من جميع الاداءات القمرقية ٠

الفنون التشكيلية :

ـ توفير الاعتمادات لنشر دليل متحفي يشمل كامل الاعمال المحفوظة وانجاز جرد شامل لممتلكات الدولة من الاعمال الفنية وايداع نسخ منها في متحف الفن الحديث ٠

ـ وبخصوص المراسم الحرة العمل على تشجيع القطاع وفتحه في وجه كافة المواطنين لتمكينهم من ممارسة الفنون التشكيلية ٠ والتفكير من الآن في تعميم نوادي الفن التشكيلي في دور الثقافة ودور الشعب مع ضرورة توفير الاطار المنشط الذي يتولى التدريب ٠ ويمكن الاعتماد في هذه المرحلة على الاطار العامل بالمعاهد الثانوية بتنظيم دورات فصلية لمتابعة التكوين للعمل في النوادي المذكورة ٠

ـ اعفاء المواد المستعملة في الاعمال الفنية التشكيلية من الاداءات ٠

ـ العمل على تطبيق الامر عدد 295 بتاريخ 27 أوت 1962 المتعلق بتزويق البناءات المدنية تحقيقا للانتشار الواسع للفنون التشكيلية في البيئة الاجتماعية وقصد النهوض بالوضع المهني للفنان ٠

الاداب :

ـ تنويع جوائز التشجيع على الانتاج الادبي والعلمي بمراجعة الامر عدد 749 بتاريخ 21 أوت 1979 المتعلق بتشجيع حركة الانتاج الادبي والعلمي قصد الترفيع من قيمة هذه الجوائز واصدار القرارات التطبيقية المتصلة بهذا الامر .

7 ـ تكوين الاطارات :

يبارك المجلس الانجازات التي تحققت في الميادين التالية :

1 ـ تاسيس معاهد التكوين وهي :

المعهد العالي للفن المسرحي بمقتضى الامر عدد 1205 بتاريخ 20 أوت 1982 مع اصدار قانونه الاساسي .

ـ المعهد العالي لتكوين المنشطين الثقافيين بمقتضى الامر عدد 1204 بتاريخ 20 أوت 1982 مع اصدار قانونه الاساسي .

ـ المعهد العالي للموسيقى الذي فتح ابوابه في نوفمبر 1982 للطلبة المتحصلين على البكلوريا والناجحين في اختبار مادة الموسيقى .

ـ المدرسة التطبيقية لعلوم المحافظة على التراث باشراف المعهد القومي للآثار والفنون . وتتولى تكوين اخصائيين في ميدان المحافظة على التراث الاثري .

2 ـ ضبط البرامج التدريبية والخطط التكوينية :

ـ بتوحيد برامج التعليم الموسيقي في كامل المدارس التابعة لوزارة الشؤون الثقافية ودعم اتجاهها في خدمة التراث الوطني والقومي .

ـ باعداد مشاريع القوانين الاساسية المنظمة لمدارس الموسيقى ولرجال التعليم بها .

ـ بضبط خطة زمنية ضمن المخطط السادس لتكوين أخصائيين في مختلف الميادين الثقافية .

ـ بانجاز التربصات والتعهدات في مختلف الاختصاصات بتونس وبالخارج

3 ـ التجهيز :

ـ اتمام المرحلة الاولى من تجهيز مدارس الموسيقى بالآلات الوترية .

ـ تكثيف تجهيز المعاهد التكوينية التابعة للوزارة بالادوات التعليمية والسمعية البصرية ٠

4 ـ **الميزانية :**

ـ الترفيع بنسبة ملحوظة فى حجم ميزانيتى التصرف والتجهيز المخصصتين لمصلحة التكوين التى تعنى بالدراسات والتربصات والبناءات والتجهيز ٠

5 ـ **التعاون الدولى :**

وينوه المجلس بما تم من تدعيم التعاون مع منظمتى اليونسكو والالكسو للتحصيل على منح دراسية لفائدة طلبتنا وعلى التجهيزات السمعية البصرية وذلك لتنظيم التربصات والدورات التدريبية فى نطاق الرسكلة والتكوين المستمر كما ينوه المجلس بدعم الروابط الثقافية الثنائية مع البلدان الصديقة فى ميدان تبادل الخبرات وزيارة الاساتذة المحاضرين وتمتيع طلبتنا بمنح التكوين والتخصص ٠

ويوصى المجلس لدعم تكوين الاطارات بما يلى :

1 ـ الاسراع باصدار النصوص التنظيمية بالنسبة الى مدارس الموسيقى بما فيها المعهد القومى للموسيقى والرقص ٠ وكذلك الى المعهد العالى للموسيقى

2 ـ اصدار القوانين الاساسية لرجال التعليم الموسيقى ٠

3 ـ الاسراع فى توسيع مبانى المعهد العالى للفن المسرحى ومدرستى الموسيقى بسوسة وصفاقس ٠ وبناء الجزء الاول من المعهد العالى لتكوين المنشطين الثقافيين ووضع تصميم للمعهد العالى للموسيقى ٠

4 ـ وضع خطة تكوين لاطارات تونسية فى الآلات الموسيقية وتقنيات المسرح للاستغناء تدريجيا عن الاجانب فى هذه الاختصاصات ٠

5 ـ دعم تجهيز المعاهد والمدارس بالادوات البيداغوجية والوسائل السمعية البصرية الحديثة ٠

6 ـ العناية بالرسكلة والتكوين لمختلف أصناف العاملين فى الميادين الثقافية بمواصلة تنظيم تربصات ودورات تدريبية وملتقيات لاساتذة الموسيقى والمنشطين الثقافيين وللمنشطين المسرحيين وللمكتبيين وغيرهم وفتح شعب فى مختلف المعاهد العليا المختصة تعنى بالتكوين المستمر وتوفير الاطارات والامكانات لهذه المعاهد للقيام بهذه المهمة ٠

7 ـ السعى الى انشاء قسم للآثار بالجامعة التونسية بالتعاون مع المعهد القومى للفنون والاثار وذلك ليتم تكوين الاثريين بالجمهورية التونسية ٠

8 ـ تتويج ما اتفق عليه من تدعيم تعليم الفنون بالمعاهد الثانوية التابعة لوزارة التربية القومية ببعث شعبة جديدة لشهادة البكلوريا تكون المادة الاختيارية فيها احدى الاختصاصات الفنية ٠

9 ـ بعث شعبة لتكوين معاونى المكتبيين بالمعاهد الثانوية من بين التلاميذ المنتمين لشعبة التقنية الاقتصادية والادارية قصد تلافى النقص الملاحظ فى هذا الاطار ٠

الخاتمة :

وبعد فان مشروع صندوق العمل الثقافى الذى قام المجلس الاعلى للثقافة بدرسه مع جملة المشاريع الاخرى التى تعتزم وزارة الشؤون الثقافية انجازها فى المستقبل فى شتى ميادين الخلق والابداع ليعتبر حجر الزاوية بالنسبة الى تطور القطاعات الثقافية وتنمية الثقافة فى بلادنا ٠ ويؤكد المجلس أن انجاز هذا المشروع سيكون له دور فعال فى تجسيم تلك الرؤية الجديدة الشاملة للثقافة وهى كما حددتها اللجان الاستشارية ربط الميدان الثقافى بالاقتصاد والتجهيز واللامركزية والتكوين والاشعاع ٠

ولا يسع المجلس الاعلى للثقافة الا أن يبارك الاشواط الكبيرة التى قطعت منذ حوالى سنتين على درب هذه الرؤية الجديدة الرامية الى ترسيخ اقدام الثقافة فى مسالك التنمية ٠

ويتوجه المجلس الاعلى للثقافة الى وزير الشؤون الثقافية السيد البشير بن سلامة بعبارات الشكر والامتنان لحرصه الدؤوب على توفير كل ما من شأنه أن يساعد على التسامى بقطاع الثقافة ولاشرافه على رسم الاتجاه العام الذى من الواجب أن يتسم به العمل الثقافى وفقا لاختيارات الدولة كما نوه بذلك سيادة الوزير الاول فى عدة مناسبات نذكر منها بالخصوص بيانه أمام مجلس النواب بتاريخ 30 ماى 1980 وبيانه فى جلسة اختتام اعمال اللجان الاستشارية للثقافة الملتئمة بتاريخ 8 جوان 1981 وبيانه الضافى فى افتتاح اشغال المجلس فى دورته الحالية بتاريخ 28 جانفى 1983 استيحاء من رؤية المثقف الاول راعى الثقافة المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة ٠

كما يبارك المجلس هذه الفرصة الثمينة التى أتيحت له للتقدم بهذه التوصيات القطاعية التى تعبر عن طموحات رجال الثقافة والساهرين على حظوظها فى بلادنا » ٠

كتاب " ذكرياتي الأولى "

تأليف : إدقار فور
تقديم : المختار بن زاكور



تحدث عنا ، صديق تونس ،
ادقــار فــور

قــال :

نعم ، قد قال الرئيس ادغــار فــور Edgar Faure فى كتابه العظيم الحجم ، اذ فيه من الصفحات 691 صدر عنه مؤخرا ، وبالتدقيق فى موفى جانفى 1983 ، بباريس ، **ان « بـــداية الشـــرق ، هى تـــونس » يعنى ان هذا الرجل السياسى** الممتاز والرجل العلمى والقانونى ، معا ، قد اخذ فى تأليفه هـــذا ، يخـــاطب الناشئة وكذلك الكهول ، بما وقع وحدث فى ميدان التاريخ المعاصر الواضح ، المستبين ، متحدثا عن أسرار الدولة وأسرار السياسة الفرنسية والدولية ، ومخبآت ومصادر الازمات ، عندما كان هو المسير لدواليب الحكم فى بلاده، ان

لم أقل الماسك بشخصيته المحترمة بزمام احوال الجمهورية الفرنسية الثالثة والرابعة وهى تصارع اذذاك الامرين .

وفعلا ، لقد أصاب المؤلف المحز وطبق المفصل ، خصوصا عندما وصل الى الحديث عنا ، أقصد بذلك تونسنا ، فى أبواب جهادها وكفاحها الحقيقيين ، معترفا لنا ، بقلمه الفذ ، بالقومية والاصالة والعروبة المسلمة ، والحجة القاطعة نجدها فى الباب الاول من كتابه « ذكرياتى الاولى » حين يقص ما هو الحق ، عندما فر ادغار فور من طاغوت النازية والفاشيستية فى نوفمبر 1942 ، تاركا وراءه وطنه ، قاصدا أرضنا التى آوته وأكرمته ، شاهدا علينا ، هو وغيره من أصحابه ، مثل المحامى الشهير « تكسييي فنيانكور » Tixier Vignancour, بما اتخذناه من اختيار العاجل على الآجل فى شأن تعلقنا بالحلفاء واجتنابنا لمعسكر المحور ، متجهين فى النظرة البعيدة الى الواقعية لا الى الكراهية .

فقد ذاق ذلك الرجل السياسى والعلمى المفكر ، حلاوة صدقنا فى القول والعمل ، وادرك ـ طبعا ، عن يقين ، افكاره ـ نزاهة مسعانا ، والحرب تجرى اذذاك رحاها فوق ترابنا ، مسعانا التى ترمى الى غاية واحدة جعلناها شعارنا : كرامة الانسان منذ وجد الانسان .

هذا ، وما يوم حليمة بسر ، كما يقول المثل العربى الصحيح ، حين أخذ المؤلف ادغار فور يتحدث لا عن احداث تاريخية ، فحسب ، قد كان عاشها وربما قد أثارها بمفعول مسؤولياته الحكومية والبرلمانية ، ولكن أخذ يعتنى بالتاريخ الذى لم يحصره فى مدة مجد فرنسا وعزها ، فى أيام ذروة غنفوانها الامبراطورى ، بل باسطا بحق شرح كان فى منتهى الايضاح والبيان ، ما حدث فى المدة المظلمة ، الصادرة عن همجية تضارب المواقف والازمات الحزبية بمختلف ألوان النزاعات حتى ... نعم ، حتى ادرك ـ عندما وصل الحديث عنا ، نحن ابناء تونس البررة ـ الروح الحماسية التى تتجلى فيها المبادى الانسانية والاجتماعية والثقافية وحتى الاخلاقية ، تلك الروح ـ روحنا ـ التى عززت فينا روح الوطنية التى عملت فى آن واحد ـ حسب اعترافه ـ لايقاد نيران الغضب وتشجيع المقاومة التحريرية التى انغمس فيها زعيمنا المفدى ، الحبيب بورقيبه ، الذى خصص الكاتب لمواقفه الجليلة أكثر من صفحة نيرة لافهام العامة والخاصة ما حصل بينهما من التفاهم واحسنه بقصر « ماتينيون » Matignon مقر رئاسة الحكومة بباريس ، والاول فى الذكر ، كان اذ ذاك رئيسا لمجلس الوزراء والثانى ، ما هو الا ذاك المحامى المجاهد حتى الموت فى تخليص بلاده ـ تونس ـ من القهر واليأس والاغراء .

ادغار فور ، صاحب هذا التأليف بصفحاته 691 وأبوابه الخمسة وأقسامه 51 ، وان اطلق عليه العنوان « ذكرياتي الاولى » فقد أراد أن يرسم على الورقة الافتتاحية له ، مع صورته ، ما كان اتخذه العالم الاقتصادي « تورڤو » Turgot جوهرةالقرن السابع عشر ، من قاعدة اختصرها في قوله : « ... **من ادعى بدوام الكمال ، فهو النقصان حقا** » . ولذا ، فاذا تأملنا بامعان في هذاالكتابالضخم من أول كلمته الى آخر سطر منه ، نصرح بدون توقف ولا تردد ، ان ادغار فور قد نجح ، بدون شك ، في استخلاص ابرز المقدمات التاريخية الاصيلة ، الثابتة ، الراسخة في الواقع الذي عاشه العديد منا ، أي في استخلاص الميزات التي لا مفر منها لحرية الشعوب من خلال مشاركتها الفعالة في خضم المعارك المباركة التي امتلأت من جراها القبور والسجون والمنافي بخيرة أولادنا .

وان شرفنا ادغار فور باختيار تونس عن بقية بلدان العالم ، **عندما صعبت عليه الحياة وعلى بيته بفرنسا** ، والماريشال بيتان Maréchal Pétain وبيار لافال Pierre Laval واذنابهم ، في خدمة هتلر وموسوليني ، جاء الينا ، الى سيدي أبي سعيد ، الى الحمامات ، الى نابل ، الى دار شعبان ، وكل فيه مقام وديع ، آمن أمين ، سالم سليم ، مقام عربي ، محمدي ، **عرف فيه وفينا** عن دراية ممزوجة بالخير وحسن القبول وطيب الضيافة ، القياس الدقيق عن مفهوم اسم تونس معدن الفضيلة .

691 صفحة ، كنت شخصيا محظوظا حقا ، عندما خصصت نفسي وفكري ووقتي لمطالعتها جيدا ، هي ـ والله ـ سلسلة لا انقطاع فيها ، لذكريات يحق أن يطلق عليها ، انه على قدر أهل العزم تأتي العزائم ، حيث يتحول لقاء القارىء المهتم بفحوىالكتاب الىلقاء مععنصر منأكبر عناصر اللغة الفرنسية والادب الفرنسي ، باعتبار نفس المؤلف ، ادغار فور ، مدرسة حية ، مفتوحة لمتابعة حقائق التاريخ في فكر صائب ، وقلم صادق وذكرى راجحة . ولا غرابة حيث ان الكاتب ، الوزير ، البرلماني ، العالم الاكاديمي ، في اتصال أسباب كتابه هذا بأسباب المعاني الخالدة قد نطق في الصفحة عدد 590 بالباب الخامس، بجملة تبقى بقاء الدهر ، متصلة دوما باتصال الزمان : «... **تونس الفوز الثاني !** » ، نعم جملة اخترقت حجب آراء المغفور له ، صديق تونس الحميم ، الوفي ، الرئيس بيار منداس فرانس Pierre Mendès France تؤدي الى ما سبق ان فاه به ادغارفورنفسه في 22 فيفري 1955 من أعلى منبر مجلس الامة الفرنسي :

« **ستقطع قريبا أغلال التبعية بين الدول !** » والحجة عليه ، استرجاع سيادة تونس الى ابناء تونس ، وأيضا استرجاع عرش العلويين الاماجد الاشراف الى سلطانه المبرور محمد الخامس .

وختاما ، ولا تحسبوني مغاليا ، فان « ذكرياتي الاولى » بقلم ادغار فور ، الذي قل من لا يعرفه هنا وهناك ، هو ذلك الكتاب القيم الذي جمع فأوعى ، وفيه نعمت وفيه يتنعم كل قارى ، كتاب لم يكد يتأمل فيه التونسي بالمطالعة الجيدة ، حتى يبهر ويسهر بالحق الذي سجلته الصحائف 691 والتي سردت الاحداث التاريخية المعاصرة بدون مجازفة ولا مغالطة .

ولذا باعتبار ما قاله المؤلف وكتبه فينا ، وباعتبار أيضا ما فعله معنا ، نحن أبناء تونس ، فالامر بالمعروف الذي يهز فينا ، الكهول والشباب ، أدق اعلاق الشعور ويستفز كوامن الاحساس ، يسمح لنا ، أن نقول لادغار فور ، صديق أيام الشدة والمحنة : « ... لكم الشكر وجزيل الشكر ! » .

المختار بن زاكور

ندوة القراء

التّغطية الشّعريّة ب (الاتحاف) وحظّ الرّياحي منها

بقلم : مصطفى بوهلال

من المهمّ المبهج : الانشغال بمدارسة التراث الوطني (1) تقوية للشخصية وتأصيلا ، ودفعا في منهاج الوصل والتّرابط السّليمين ، شريطة تقوّم حركة المدارسة بشرائط البحث العلمي وأساليبه الحديثة : صدقا مع الآثار دون تحريف ، واحتراما للمتلقّين دون استهانة بعقولهم ..

ومن القراءات في التراث مقالة : (إبراهيم الرّياحي شاعرا) للحبيب بن فضيلة ، والمنشور ب(الفكر) جويلية 1982 . ترى هل استوت (النّظريّة

---

(1) ملاحظة : اسمحوا لي بهذا الاحتراز : بدراستي هذه ص4 نقدت الأستاذ الحبيب بن فضيله في قوله (وكاتب ابراهيم الرياحي صدر المالكية ؟ لما جعل مرتبا ...) وقد قلّبت الأمر فتأكّد لديّ الخطأ كما بالدراسة إنما عذر واحد ، إن صحّ أسقط ما حرّرته في هذا الخصوص ، وهو : لعلّ كلمة (الباى) سقطت عند الطّبع مع ثبوتها بمراسلة ابن فضيله ؟ ولا أرجّح ذاك لأسباب ... على كلّ ، إن صحّ سقوط (الباى) عند الطّباعة تسقط وجاهة نقدى ، لذا فالرجاء محو الأسطر التي بص 4 ابتداء من : (غير أنّ الذي أو قفني ... إلى : وبعد ، فلا أزيد) وشكرا جزيلا

العلميّة) فيها ؟ من استقامت على (فتح أدبيّ) يثري الذّهن وينعش القلب ؟ وبالتّالي هل ارتكزت على ملكة نقدية أمينة ناهضة على مقدرة علمية وطول نفس في التّقصّي ؟

مقدّما ، حين وقعت على الدّراسة اهتززت فأسرعت بالمتابعة . لماذا ؟ لعلّتين :

1) كون (الإتحاف) وثيقة علميّة حبلى بالمعطيات ، مازالت تستأهل المزيد من النّظر والتّوليدات ، رغم ماظهر عنها وعن باعثها من بحوث قيّمة .

أيضا ، كون (الرّياحي) علما بارزا من روّاد العلم الرّاسخ والأدب الإنسانيّ الرّائق ، ومن المثقّفين الأوائل الذين امتازوا بالتّعريف الصّادق والمخلص بأدب تونس خارج حدودها . ورغما عن تلكم الرّيادة لم يوفّ الرّجل حقّه من التّعريف المتمكّن . وبالمناسبة كم يكون رائعا لو أعيد طبع ديوان شاعرنا (تعطير النّواحي) الذي هو في حكم المفقود !

2) مجيء الحديث عن ذلك كلّه من باب البحث عن خصوصيّة الثّقافة الوطنية ، بكلّ آفاقها الدّينيّة والتّاريخيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة والتّعبيريّة ، وذلك مطلب جماعي عزيز ، يبقى لزوم الإيفاء به قائما ، دون حكر على أحد .. ومن النّافذة تلك ، وتتبّعا للحقيقة العلميّة ، أطلّ – اليوم – على عالم الشعر في الإتحاف كما أحصاه وجدوله الأستاذ بن فضيلة ، واستنادا على استقصائي الشامل ...

(إبراهيم الرّياحي شاعرا) دراسة لها مسربان :

1) كمّ الشّعر بالإتحاف ، ونسبته إلى قائليه .

2) الرّياحي – الشاعر – في الإتحاف . وقد اتخذ هذا المسرب له محطّات :

1 – ترجمة الرّيـــاحي .

ب – توزيع أغراض شعر الرّياحي على أساس حساب الأبيات . وهذا البيان الجدولي غير مختصّ بالإتحاف بل شامل لمجموع شعر إبراهيم المخطوط منه والمطبوع .

ج – تعداد أبيات الرّياحي التي بالإتحاف وجدولة مواقعها بأجزائه مع جلب ثلاثة نماذج من هذا الشعر .

هذا ، وإني لن أتعرّض إلى المحطّة الثانية من المسرب الثاني لوجهين :

1) لخروجها بنا عن دائرة (الإتحاف) وهذا ما لا يجمل بنا الآن لخصوصيّة المبحث .

2) لاتّساع مجالها الذي لا يحتمله المقام .

1) كمّ الشّعر بالإتحاف ونسبته لقائليه :

انطلق الأستاذ الحبيب انطلاقة خاطئة ، حيث وهم بأنّ أحمد ابن أبي الضّياف (خصّص الجزأين الأخيرين منها (أي أجزاء الإتحاف الثمانية) لتراجم الأعلام ، أما البقيّة فكانت مزيجا من النثر والشعر والأخبار) لذا : (وبعد عمليّة إحصاء تبيّن أنّ ابن أبي الضياف قد سجّل في مؤلّفه 430 بيت شعري) . وقد أحصاها موزّعة على الأجزاء الستّة ، غير أنّ جملة وادي عدد الأبيات بجدوله كانت 432 بيت !؟

ويخالط هذا الوهم خبط إحصائي اخر ، هو أنّ جملة أبيات الجزء الأوّل جعلها 42 والصّحيح 43 ، وأبيات الجزء الثاني 91 والصّحيح 90 وأبيات الجزء الثالث 49 والصّحيح 52 وأبيات الجزء الرّابع 150 والصّحيح

146 وأبيات الجزء الخامس 91 والصّحيح 95 وأبيات الجزء السادس 9 والصّحيح 6 .

وكان ينبغي – في عمليّة الإحصاء هاته – السّير على منهجيّة واضحة للجميع ، من عمدها طرح الأبيات المكرّرة ، وعددها 19 بيتا في كامل الأجزاء ، وقد اعتبرت ذلك في استبياناتي اللاحقة . وسواء طرحنا أم أبقينا التكرارات يبقى المغمز لاصقا بإحصاء الأستاذ بن فضيله .

وكما سبق ، جرّ الحكم المسبّق صاحبه إلى هوّة سحيقة ، فهو لم يكلّف نفسه التّفتيش في الجزأين الأخيرين حيث أعلن أنّهما لتراجم الأعلام ، وكأنّ التّراجم ليست مزيجا من النثر والشعر والأخبار ، حسب استنتاجه ! ألا فليعلم أنّ بالجزء السّابع 150 بيت شعري ، وبالجزء الثامن 4 أبيات ، بدون حسبان المكرّر منها كما التزمت .

وعلى ذاك كانت جملة هذا الشعر بالإتحاف 586 بيت ، منها 93 بيتا لم ينسبها المؤلف إلى أصحابها ، وليس العدد 80 بيتا كما ادّعى كاتب (إبراهيم الرّياحي شاعرا) ! وحسب بيانه – كذلك – أوقف عدد الشعراء المصرّح بأسمائهم في (الإتحاف) عند 21 شاعرا والثابت أنهم 28 شاعرا .

أمّا عن أسمائهم – إلى جانب البتر ذاك – ففيها دخل قبيح وحشر مستهجن من ذلك إقحامه (عبد الله بن عبد الواحد بن أبي حفص) ضمن القائمة . وهذا محض غفلة .. أعد – معي – ماجاء بالإتحاف ج1 ص 154 ط1 . و : ص 196 ط2 : (وبينما هو يفكّر فيمن يوليه ، وقع بصره على عبد الله بن عبد الواحد بن أبي حفص ، فاستدعاه وسأله عن حاله ، فأجاب متمثلا بقول الشاعر : ...) مع الإشارة إلى أنّ المعنيّ ليس له أيّ بيت شعري في الإتحاف ...!!

من هذا القبيل : ابن إبراهيم بن الأغلب ، فمن هو هذا الإبن ؟ إنّ المترجم لهم بالإتحاف بهذا النّسب تسعة . وحسب الكاتب يكون المعيّن هو : أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب ابن إبراهيم بن الأغلب ، لأنه هو الذي أورد ابن أبي الضّياف أثناء خبره أربعة أبيات شعريّة ، لكن هل هي من ابتكاره ؟ اقرأ — وإيّاي — مقولة الإتحاف ج1 ص109 ط1 و : ص138 ط2 : (... وهذا من ثمرات بيوت الملك ، حيث يرى الأمير نفسه في داره ومسقط رأسه ومعهد شبابه وقاعدة فخره ، فيجهد جهده في بقاء مآثره بمحلّ إمرته ، لا أقلّ من حفظه لاثار سلفه الذين يمتّ بهم إلى الملك ، بخلاف الوارد من دار الخلافة ، فإنه لا ينفكّ عن الحنين لمسقط رأسه ، يرى نفسه في غربة ، وفقد لعاداته ومألوفاته ، فلا يطمح نظره إلى أمثال ذلك ، كما وقع لجدهم باني البيت إبراهيم بن الأغلب ، فإنه لم يزل في أشعاره يحنّ إلى مصر ، وهذا صقر قريش عبد الرحمان الداخل الأمويّ ، خرج فارًا بنفسه من الشام إلى الأندلس ، وحصل بها ملكا توارثه بنوه ، ولم تنسه زهرة الأندلس وعزّة الملك الحنين إلى وطنه ، ومن شعره متشوقا له :

أيها الراكب الميمم أرضي أقْرِ من بعضِيَ السلامَ لبعض

...فانظر همّه بمسقط رأسه وهو في نعمتين : نجاة من القتل ، وملك باذخ ...) أيبقى مع هذا ادّعاء أنّ الأبيات لغير صقر قريش ؟

2) ج : تعداد أبيات الرّياحي التي بالإتحاف ... مع جلب ثلاثة نماذج منها :

لقد نزل الدّارس بن فضيلة بالشعر الرّياحي الذي بالإتحاف إلى ما يقارب النّصف ، نتيجة إعراضه عن المسح الشامل لكل الأجزاء ، غير أنّ الذي أوقفني مندهشا رغبة الكاتب في إكمال صورة الرّياحي الشّاعر ، لكن أية صورة هي ؟! ليته تنحّى عن التّدخّل فنقل ما نقل ! انظر هذا

البيـان الحامل على معانقة مقطوعـة منتقاة من شعر الرّياحي !! قال الأستاذ الحبيب : (وكاتب إبراهيم الرّياحي صدر المـالكيّة لمّا جعل مرتبا للعلمـاء مع الجند النظامي مثل مرتب الفقهـاء الحنفيـة مع جند التّرك سنـة 1255هـ 1840م قـائلا : ...)

إنّ الأبيات المشار إليهـا قالهـا صدر المـالكيّة (أي شيخهـا وكبير علمـائهـا) وهو الشيخ أبو إسحـاق إبراهيم الرّيـاحي ، مخاطبـا بهـا البايِ (وهو على المذهب الحنفي كبقيّة الحسينيين) لمّـا قرّر إسناد مرتّبات قارّة لشيوخ المذهب المالكي مثل العلمـاء الحنفيّين الحاصلين عليهـا من قديم !

وبعد ، فلا أزيد وقد ارتأيت تقديم الكشوف الواردة إسهاما منّي في خدمـة هذا الأثر الجليل بإحكـام ، ومسحـا للتشويه الذى حصل فيمـا نشر سابقـا ، وإعـانة للدّارسين ، خـاصّة وأنّ الطبعـة الثـانية للاتحـاف هي والأولى ، خاليتان من الفهرسة الشّعريّة كالتّي صنعت .. على أنّه ينبغي التذكير بأنّ صاحب « إتحاف أهل الزمـان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمـان » لم يستخدم الشعر لذات الأدب ونقده ، إنّمـا وظّفه — في كتابه — لدواعي ، من أبرزهـا :

أ : الأمـانة في نقل أحـاديث المجالس وتقتضي إيراد النقـاش الذى دار فيهـا من شعر ونثر ...

ب : تعمّد الإتيـان بالشعر في مواضع لتأكّد توجيه الضوء على الخبر المتحدّث عنه والإلمـام بجوانبه ..

وبهذا المعنى وردت للشعر بالإتحـاف وظيفـة تسجيليّة إخباريّة إمتاعيّة ، ومنهـا اشتققت عنواني ...

1 الشّبكة الشّعرية بالإتحاف :

الشاعر	الصّفحة ط 1	بداية الصدر	الرويّ	عدد الابيات
مجهول	16	أوتيت	راعي	(1)1
مجهول	21	وراعي	رعاى	1
الناصر الأموي	54	همم	البنيان	2
ابن رشيق	54	ممّا	ومعتضد	2
روح بن حاتم	96	وإنّا	الظهر	1
عبد الرحمان الداخل	109	أيّتها	لبعض	4
أحمد البريدي (ابن حيون)	114	هبني	والنّدم	3
مجهول	117	ياسائرا	كلّه	(2)2
مجهول	118	ماينبري	وأذلّه	(3)2
الشريف الرضي	120	مامقامي	حميّ	4
الإمام الشافعي	121	إن كان	رافقني	(4)1
ابن هاني	127	تقول	الأمر	2
مجهول	128	وفيك	خلقوا	1
مجهول	139	وإنّ	رجال	2
تميم بن المعزّ بن باديس	140	فإمّا	السرير	2
تميم بن المعزّ بن باديس	140	فكرت	مناص	2
مجهول	141	هذا	والأواخر	2
مجهول	141	أعيا	الذهب	2
مجهول	146	وقلما	لقبه	1
مجهول	146	وكلّ	يسرف	2

مجهـــول	154	حـــال	تـــائبـــا	1
مجهـــول	161	اهنـــأ	والاسعـــاد	3

جملـــة أبيـــات الجزء الأوّل : 43

مجهـــول	61	أيا ابـن	معـــدود	3
محمد فتاتـــة	70	إليـــك	أحمـالي	7
مجهـــول	85	وما ينفـع	باهلـــــة	1(5)
مجهـــول	100	مـا كلّـف	تجـــد	1
مجهـــول	108	لانسـب	الـرّاقـع	1
محمد الورغي	114	أبـو الحـزم	أكـــول	2
محمد الورغي	130	تقـــدم	ثقيـــل	5
محمد الورغي	131	بين الظبـا	تعـــب	21
محمد الورغي	131	هو العزّ	المراتب ؟	40
محمد الورغي	143	مضـت	مـاعـاشـا	3
مجهـــول	145	وأسـرع	ضـــدّه	1
محمد بلي	157	هـل زورة	وزمـزم	1
محمـد بـــاي	157	أمولاي	تنطـــق	2
مجهـــول	173	يـامنزليّ	قـــايـــد	1(6)
مجهـــول	176	واحـــزم	عواقبـه	1(7)

جملـــة أبيـات الجزء الثـاني : 90

مجهـــول	13	وأتعـب	وجـــده	1(8)
مجهـــول	14	وقـــال	الرحمـــان	3
مجهـــول	36	ولائـــم	الحسيـن	2
إبراهيم الرياحي	52	ولمـّـــا	المحـــل	2
إبراهيم الرياحي	52	نظرت	والكرامـه	2
مجهـــول	75	الـــرأي	بـإصبـاح	2
مجهـــول	110	تـــردى	خضـــر	1

إبراهيم الرياحي	128	يا إلاهي	الشفاء	12
مجهول	133	إنّ الأمير	عزله	2(9)
إبراهيم الرياحي	142	سكنت	تذليلا	4
محمود باشا	147	علوت	زين	1
مجهول	159	ولكن	الهشيم	1
مجهول	167	إذا صدق	حصين	2
مجهول	176	وأتعب	يخرقها	1(10)
مجهول	210	ونغضبه	ولينا	2
إبراهيم الرياحي	215	إليك	الوقد	14
جملة أبيات الجزء الثالث :				52

مجهول	15	ولو أنّ	بخلوده	1
إبراهيم الرياحي	23	العزّ	فمحمود	17(11)
إبراهيم الرياحي	23	الصّدر	المنزل	9(12)
إبراهيم الرياحي	24	ركبت	عصف	10
إبراهيم الرياحي	24	بلد	بعيد	2
إبراهيم الرياحي	25	وإذا	غارف	8
إبراهيم الرياحي	35	جبرت	مالك	10
محمد بن سلامة	36	نظمت	ابتسام	8
مجهول	46	وأرفه	واجد	1
محمد الطيب الرياحي	52	تمدّ	جزر	7
محمد بيرم	52	تاهت	حجالة	7
مجهول	54	قليل	كتب	7
أحمد ابن أبي الضياف	61	تألق	جمرا	14
محمد الطيب الرياحي	71	انظر	جميل	15
محمد بيرم	77	أرحها	ونجدها	15

مجهـــول	83	وأنكد	المساكين	1
مجهـــول	172	إن القداح	أيـــد	2
مجهـــول	172	وماخفي	الهـوى	1
مجهـــول	175	أزال	حجـاب	2
مجهـــول	178	عليـك	السّفـر	2
مجهـــول	181	ومن ذا	معائبه	1
مجهـــول	181	ومن الذي	فقـط	1
مجهـــول	218	إذا أنتَ	صاحب	2
مجهـــول	236	وقد قيل	يكتـم	1
مجهـ ول	237	ومن دعا	وبالباطل	1
مجهـــول	263	تبغـي	اليَبَس	1
جملـة أبيـات الجزء الرّابع :				146

مجهـول	24	وماكلّ	مجـري	1
مجهـول	26	جميع	كالعنكبوت	1
أحمـد كريّـم	45	تيقّـن	نسفـا	8
محمود قـابادو	46	العـدل	والعمـران	79
مجهـــول	55	متـى	يهـدم	1
مجهـ ول	90	ومن غـدا	ينـزعـه	1
مجهـــول	91	قـد قيـل	إذا قيل	1
مجهـــول	169	وإذا أراد	تصعـد	1
مجهـــول	192	احـذر	يعسـر	2
جملـة أبيات الجـزء الخـامس :				95

مجهـــول	77	إذا كـان	الـرقـص	1
مجهـــول	86	إذا شئت	العسـر	3

مجهـــول	113	إذا مــا	على غــرم	1
مجهـــول	117	عســى	أمـــــر	1
جملـة أبيـات الجـزء السـادس :				6

محمد بيرم	30	قفـــاه	الشعـــرا	1
محمـد بيرم	32	سعــد	الآ مـــال	1
مجهـــول	33	ومن النوائب	نـــاتب	2
محمد بيرم	34	لله درّ	أكملـــه	2
محمد بيرم	35	أجزت	مـــالك	5
عمر المحجوب	35	أحسـن	النّعمـــان	1
أحمد زروق	46	وقـــال	صـــالح	1
عبد الرحمان	55	قـــف	الخنســاء	1
إبراهيم الريـاحي	75	إن عـزّ	استبشـــار	26
إبراهيم الريـاحي	76	دلائـــل	نـــوّم	8
إبراهيم الريـاحي	77	هذا المعنى	مطـــال	7
مجهـــول	77	حيّت	وصـــال	4
محمدالباجي المسعودي	82	أرى	جمـــرا	4
أحمد ابن أبي الضياف	85	على أي	كتـابي ؟	1
إبراهيم الريـاحي	85	كلّ الورى	الحكـــام	1
إبراهيم الريـاحي	87	عـــش	قبـــورا	1
مجهـــول	90	اثـــاره	تـراه	2
إبراهيم الريـاحي	92	ذكـر	مخلـــدة	17
محمد بيرم الثاني	93	أهنـــي	الأمـــر	22
إبراهيم الريـاحي	99	للّـــه	للحمـــام	26
محمد الخضـار	133	الـدّهـر	المنبــري	13

مجهـــول	133	فارحمـه	شهيـــدا	1
ابن سعيـد	148	حمـدا	الأنـف	3
جملـــة أبيـــات الجزء السّابع				150

الإمام الشافعي	26	قـــف	والنـــاهض	1
محمد بيرم الثالث	55	إنّ الزّمان	اللعـــب	3
جملـة أبيـــات الجزء الثـــامن :				4
جملـة أبيات الأجـــزاء الثمـــانية :				586

الشاعـر	عدد أبيـاته بـكل جـزء								الجملـة
	ج 1	ج 2	ج 3	ج 4	ج 5	ج 6	ج 7	ج 8	
ابراهيم الرياحي	0	0	34	56	0	0	86	0	176
محمـود قابادو	0	0	0	0	79	0	0	0	79
محمـد الورغـي	0	71	0	0	0	0	0	0	71
محمـد بيـرم	0	0	0	22	0	0	9	0	31
محمد الطيب الرياحي	0	0	0	22	0	0	0	0	22
محمد بيرم الثاني	0	0	0	0	0	0	22	0	22
احمدابن ابي الضيـاف	0	0	0	14	0	0	1	0	15
محمـد الخضار	0	0	0	0	0	0	13	0	13
أحمـد كـريم	0	0	0	0	8	0	0	0	8
محمـد بن سـلامه	0	0	0	8	0	0	0	0	8
محمـد فتاتـه	0	7	0	0	0	0	0	0	7

الباجي المسعودي	0	0	0	0	0	0	4	4	4
عبدالرحمان الداخل	4	0	0	0	0	0	0	0	4
الشريف الرضي	4	0	0	0	0	0	0	0	4
تميم بن المعز	4	0	0	0	0	0	0	0	4
محمد بيرم الثالث	0	0	0	0	0	0	0	3	3
ابن حيون	3	0	0	0	0	0	0	0	3
محمد باي	0	3	0	0	0	0	0	0	3
ابن سعيد	0	0	0	0	0	0	3	0	3
ابن رشيق	2	0	0	0	0	0	0	0	2
ابن هانيء	2	0	0	0	0	0	0	0	2
الناصر الأموي	2	0	0	0	0	0	0	0	2
الإمام الشافعي	1	0	0	0	0	0	0	1	2
أحمد زروق	0	0	0	0	0	0	1	0	1
روح بن حاتم	1	0	0	0	0	0	0	0	1
محمود باشا	0	0	1	0	0	0	0	0	1
عمر المحجوب	0	0	0	0	0	0	1	0	1
عبد الرحمان الكامل	0	0	0	0	0	0	1	0	1
الجملة	23	81	35	122	87	0	141	4	493
مجهولون	20	9	17	24	8	6	9	0	93
الجملة العامة	43	90	52	146	95	6	150	4	586

3 تموضع شعر الرّياحي في الإتحاف وأغراضه :

الجزء	الصفحة ط1	عدد الابيات	الموضوع
3	52	2	شكر الشريف المغربي اللاجيء بتونس سلامه العلوي على حسن ضيافته للشاعر .

3	52	2	وصف خاتم مهدى للشاعر من سلامه
3	128	12	استغاثة من هول طاعون سنة 1818م
3	142	4	رثاء آمنة زوجة محمود باي
3	215	14	شكاة الشاعر للرسول في حرمه من تلميذه القاضي محمد البحري المجادل له بالتي هي أسوأ
4	23	17	مدح السلطان العثماني محمود بإسلامبول
4	23	9	مدح الوزير الأول العثماني رشيد باشا ، والتماس تدخله لإسقاط غرم الخراج
4	24	10	مدح السلطان محمود ، وتوسل لطرح مطلبه المالي
4	24	2	وصف القسطنطينية
4	25	8	إجازة الشاعر لعالم المشرق أحمد عارف
4	35	10	الثناء من صدر المالكية : الرياحي ، على الباي لتسويته – في المرتب – بين علماء المالكية – المهضومين – والحنفيين ، سنة 1840م
7	75	26	مدح السلطان المغربي سليمان العلوي بفاس
7	76	8	وتهنئته بنصر حربي وغنيمة .. (13)
7	77	7	تهنئة أيضا – من تونس – بعودة ابنه من الحجّ
7	85	1	رثاء الشيخ حسين برناز المفتي بالمنستير
7	87	1	رثاء الشيخ أحمد البارودي المفتي بتونس
7	92	17	تدشين جامع صاحب الطابع وتهنئة منشئه
7	99	26	رثاء الوزير المغتال يوسف صاحب الطابع سنة 1815م والتنديد بالقتلة الممثلين به .

هوامش

1) لم أدخل هنا بيتا بالمقدمة التي لم يحررها المؤلف ، وكذلك 16 بيتا للباجي المسعودي .

2) سيتكرران في ج4 ص 202 ط1

3) سيتكرران في ج4 ص 202 ط1

4) سيتكرر في ج8 ص26 ط1

5) سيتكرر في ج8 ص29 ط1

6) هذا بيت من الشعر الشعبي ، وحيد لا ثاني له بالإتحاف !.

7) سيتكرر في ج4 ص188 ط1

8) سيتكرر في ج4 ص180 ط1 ، وفي ج5 ص119 ط1 ، وفي ج6 ص103 ط1

9) سيتكرران في ج8 ص12 ط1

10) سيتكرر في ج4 ص56 ط1 ، وفي ج4 ص91 ط1 ، وفي ج6 ص104 ط1

11) سيتكرران في ج7 ص79 ط1

12) بيتان من المقطوعة سيتكرران في ج6 ص 109 ط1

13) انظر دراستي : التعامل المغربي التونسي... بمجلة :(دعوة الحق) المغربية س23 ع 3 ماي 1982 مساكن مصطفى بوهلال

قراءات سريعة

• فى التـراث المـوسيقى العـربى :

ـ صدر للاستاذ صالح المهدى فى المنشورات المـوسيقية لألفـونس لادوك كتيب جميل يحوى أربع عشرة قطعة موسيقية من التراث الموسيقى العـربى لأشهر البلدان العربية مع التعريف بها محتوى ونوعا وشكلا .

فشكرا للاخ صالح المهدى على هذا العمل الفني الدقيق والمبسط الذى يخدم الموسيقى العربية بتعريف الغربيين بها وتحبيبها اليهـم (اذ المقـدمة جـاءت باللغات الثلاث الفرنسية والانقليزية والالمانية) .

• مجموعتان شعريتان لحلمي الزواتي :

ـ صدر لحلمي الزواتي فى « سلسلـة السنـابل الثقـافية » **مجموعتـان شعريتان تجمعان** بين رقة العاطفة والحماس المتدفق والغضب الملتهب والعزيمة الصماء على مواصلة النضال حتى النصر بالـرغم من كـل العراقيـل وكـل الرواسب وكل الخيانات .

المجموعة الاولى : « **ترفض السرج الجياد** » .

المجموعة الثانية : « **قصائد ممنوعة التجوال** » .

• الأغنيــة الشعبيــة الفلسطينيــة :

ـ صدر عن مؤسسة السنابل الثقافية كتـاب لحلمـي الـزواتي بعنـوان : « الوجه النضالى للاغنية الفلسطينية » .

فبعد ضبط الملامح والسمات الاجتماعية للاسرتين الفلسطينية والكويتية يتناول الكاتب ملامح الاغنية الشعبيـة الفلسطينية فى الكـويت مع حصـر أنماطها الفنية فالوجه النضالى لتلك الاغنية ثم يستخلص سماتهـا الفنيـة بتناول أوزانها ومميزات اللحن فيها وقاموسها وينتهى الكتاب بملحق يحتوى

على قصائد للشعراء الشعبيين : أبى شرف وأبى جمال وأبى فراس وأبى سائد وأبى البيك وأبى عدنان ويختم الكتاب بقائمة للمراجع .

كتاب دسم ومفيد للاطلاع على النضال الفلسطينى من خلال الاغنية الشعبية الفلسطينية فى الكويت .

• مجموعة الخضراء :

ـ صدر عن منشورات تهامة السعودية مجموعة شعرية بعنوان : «مجموعة الخضراء » تحتوى على ستة دواوين للشاعر السعودى الكبير الطاهر الزمخشرى خصصها جميعها بتونس الخضراء ولا يجهل أحد الشاعر الطاهر الزمخشرى والصداقة والحنين اللذين يكنهما لتونس والاعجاب الصادق الذى لا يتورع عن التصريح به فى جل اشعاره فشكرا له على عواطفه النبيلة التى نتأثر لها جميعا وعن المتعة المتنوعة التى نجدها عند قراءة شعره الذى يذكرنا بعصور ازدهار الشعر العربى العريق .

• العدد 24 من المناهل :

ـ صدر العدد 24 السنة 9 من « المناهل » التى تصدرها وزارة الشؤون الثقافية المغربية بتاريخ رمضان 1402 الموافق يوليو 1982 زاخرا بالدراسات الادبية والاجتماعية العامة والخاصة القومية والاقليمية يتصدرها الخطاب الذى ألقاه الدكتور سعيد ابن البشير وزير الشؤون الثقافية للمملكة المغربية فى المؤتمر الثانى العالمى للسياسات الثقافية المنعقد بمكسكو من 26 جويلية الى 5 أوت 1982 وعنوانه : نظام ثقافى عالمى جديد قائم على احترام كيانات الشعوب الثقافية .

• اتصلنا بالنشريات التالية :

لمنظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول نشريات وصلنا منها :

1 ـ الطاقة من أجل التنمية فى الوطن العربى للدكتور على أحمد عتيقة (الامين العام للمنظمة) .

2 ـ « تقرير الامين العام السنوى الثامن » 1401 ـ 1981

3 ـ العدد 4 من المجلد 8 لمجلة المنظمة : النفط والتعاون العربى .

4 ـ نشرية المنظمة الشهرية : العـدد 1 من السنـة 9 جـانفى 1983 فى نسختيها العربية والانقليزية

◆ **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة :**

ـ صدر بتاريخ نوفمبر 1982 عن الدار التونسية للنشر كتـاب : « مـلء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجة الوجيهة الى الحرمين مكـة وطيبـة » من تقديم وتحقيق سماحة الشيخ محمـد الحبيب ابن الخـوجة مفتى الجمهورية التـونسية .

والكتاب هو الجزء الثانى من الرحلة وهو خاص « بتونس عنـد الـورود » يشمل تراجم وأخبار من اتصل بهم ابن رشيد الفهرى السبتى بتونس عنـد وروده ، من الشيوخ المحدثين والفقهاء الاصوليين والحفاظ المتصوفين والادباء والنحاة والشعراء والرواة وغيرهم .

نص القسم من الرحلة الخاص بهذا الجزء الثانى مسبـوق باثبـات كافـة المصادر والمراجع وتقديم واف عن الرحالة والرحلة ومتبوع بملحق فيالاستدعاء الصغير والاجازات (ثم تصويبات الجزئين الثانى والثالث) وبجملة فهارس ـ وهذا هام جدا ـ لا تقل عن 120 صفحة تشمل الآيات والاحاديث والاشعار والاعلام والاماكن والموضوعات وغيرها .

وإنه لعمل جليل فى نثر الغبار عن أهم أثر لابن رشيد ولكل من عرفـوا عندنا بالرحلات نلتمس من سماحة الاخ الشيخ الحبيب ابن الخـوجة مواصلة إبراز أجزائه الاخرى والتعريف بها تحقيقا وتقديما .

وإنا والتراث العربى المغربى له لشاكرون .

◆ **الأدب الـذهنى :**

ـ صدر العدد 25 من سلسلة « الأخـلاء » تحت عنوان « الأدب الـذهنى » للاستاذ علي دب . والنشرة فى 80 صفحة من الحجـم الصغير الذى اختارته « الأخـلاء » تحتو على دراسات عن ميخائيل نعيمة وتوفيق الحكيم وأبى العلاء المعرى واخوان الصفا موجهة خصيصا لتلاميذ المعاهد الثانوية المترشحين الى شهادة البكلوريا .

عمل جيد اذ هو عصارة تجربة طويلة ومفيـدة لطـلاب البكلوريـا ييسـر ويوضح لهم عملهم طبقا للبرنامج الذى هم مطالبون به مع تجاوزه أحيانا فى هذا الكتاب المفيد لاكمال تثقيفهم وتوسيع معلوماتهم .

◆ القمـر والاســوار :

ـ صدر عن الدار العربية للكتاب فى أواخر 1982 رواية « القمر والاسوار » للكاتب العراقى عبد الرحمن مجيد الربيعى الذى عرف منـذ الستينـات فى الحركة الادبية العربية وهو قصاص (ثمانى مجموعات) وروائى (خمس روايات) عراقى معروف حظيت مؤلفاته بالنقد والتقييم والدراسة ونماذج منها بالترجمة الى عدة لغات وبالتدريس فى عدة جامعات فى الـوطن العـربى وفى العـالم شرقـا وغربـا .

وهذه رواية جديدة فيها تصوير للمجتمع العربى بكل مـا يزخـر بـه من التموجات والانتفاضات الاجتماعية والسياسية وحتى الفـردية والشخصيـة يخيم عليها دائما ظل المأساة الفلسطينية .

◆ مقتطف من « إيبلا » فى عددها : 150 فيفرى 1983 :

ـ وصلنا مقتطف من مجلة « معهد الآداب العربية » IBLA (من العدد 150 لفيفرى 1982) باللغة الفرنسية بعنوان « أوجه المـوسيقى التـونسية » لمحمود القطاط مدير المعهـد الأعـلى للموسيقى يشمل بعض التوضيحات عن المالوف والموسيقى الشعبية مع المراتب والطبوع والنماذج النغمية .

◆ كتاب عن « وليم بليك » :

ـ صدر عن منشورات وزارة الثقافة والاعـلام للجمهـورية العـراقية فى سلسلة الكتب المترجمة كتاب « وليم بليك » من ترجمة الدكتور عبد الواحد لؤلؤة وهو كتاب جديد آخر عن وليم بليك الشاعر الانقليزى الشهير للقرنين الثامن والتاسع عشر يزيد فى إثراء المكتبة العربية الانقليزية الشعرية .

◆ قصـص مـن بـلاد المغـرب :

ـ عن « وكالة التعاون الثقافى والتقنى » بباريس صدر باللغتين العـربية والفرنسية كتاب « قصص من بلاد المغرب » اشتـرك فى جمعهـا وتهذيبهـا وتحريرها ونقلها الى الفرنسية ثلة من المغربيين وقدم لها أوتير جولى الكاتب العام للمجلس الدولى للغة الفرنسية .

◆ **شـؤون عـربيـة :**

الشهرية الفكرية التى تصدرها وحدة المجلات فى الامانة العامة لجامعة الدول العربية العدد 21 لمحرم 1403 ـ نوفمبر 1982 هذا العدد ثرى بالابحاث المتنوعة السياسية مثل « التجربة والخطأ فى استراتيجية الدفاع المشتـرك » لجميـل جبورى . والفنية مثل « خطة عربية موحدة لنقل التكنلوجيا » لأسامة الخولى . والادبية مثل « شبلى الشميل » لاحمد ماضى . و « الحـدث الصحفى وأثـره الاجتماعى واللغوى فى المجتمع العربى » لمحمد رشاد الحمزاوى . والتاريخية مثل « المغرب » لنقولا زيادة .

وتختم الشهرية كالعادة ـ بعد نص خطابات الاميـن العـام ـ بيوميـات الجامعة للمدة المعنية (أى هنا أكتوبر ونوفمبر 1982) .

◆ **تـاج المفـرق :**

ـ صدر بالمحمدية بالمغرب الشقيق عن صندوق احياء التـراث الاسـلامى ودولة الامارات العربية المتحدة كتاب « تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق » للبلوى تقديم وتحقيق الحسن السائح .

والكتاب فى جزأين يبتدىء الجزء الاول بتقديم كامل ضاف (140 صفحة) لحياة البلوى ورحلته مع المقارنة بالرحالة الآخرين المشارقة والمغاربة بما فيهم معاصره ابن بطوطة الذى اشتهر دون غيره من الرحالة المغاربة والاندلسيين ثم يأتى نص رحلة البلوى المسماة بـ « تاج المفرق » فى بقية الجزء الاول والجزء الثانى الذى ينتهىبفهارس الجزء الاول والثانى وبفهـرس الخطـا والصـواب بالجزء الاول .

ومما يجب التنبيه اليه أهمية الجانب الادبى فى رحلة البلوى ومعجم المؤلفين المغاربة والاندلسيين فى فن الرحلات فى مقدمة الحسن السائح .

الامضاء : **محسن بن حميده**

◆ **« عائشة » الرواية الاولى الجديدة للبشير بن سلامه :**

هذه أول رواية للاستاذ البشير بن سلامه تحمل اسم « عائشه » تحكى عن فتـاة عاشت فى خضم الاحداث القاهرة فى مجتمع متقلب و « عائشه » التى تعالج منزلة المرأة فى المجتمع وهى الشخصية الـرئيسية لهذه الرواية التى يشاركها فى هذا الدور شخصيات أخرى مختلفة هى :

« عـادل ، خـالد ، الطـاهر ، زبيـدة ، دوجـة ، الأم حفصيـة » .

فهذه الرواية نقلة هامة وأساسية جدا بالنسبة للبشير بن سلامه وفيها يضع الاساس لبناء عالم روائى خاص به وفيها لغة خاصة جدا ساخنة وحية وتقدم تجربة روائية جديدة وهى تجربة جديدة لاختلافها عن عمل السابقين وفى هذه الرواية اجتهاد لغوى واضح فيها الدراما الحية ومواقف قوية وشديدة الوضوح .

« عائشه » عمل روائى جاد مبهر وجيد فهو من المحاولات الروائية الجادة يحتوى على علامات أساسية فى تطور الرواية التونسية خاصة والرواية العربية عامة .

الامضاء : **محمد العائش القوتي**

● **مقدمات وأبحاث فى الوطن العربى :**

هذا عنوان كتاب صدر أخيرا عن الدار العربية للكتاب بتونس وقد أهدى المؤلف كتابه قائلا : «**الى من علمنى حرفة النجارة المرحوم : محمد الصفاقسى ، وثانيا الى من علمنى الحرف العربى الاول : عمر الجمالى للذكرى التى لا تغور ما دام الانسان يثور** : » المؤلف : د٠ محمود عبد المولى ٠

وهذه المقدمات والابحاث تتناول علم الاجتماع والايديلوجيا والبحث العلمى والتاريخ واللغة والتراث فى الوطن العربى ٠

يعتبر الكتاب هذا موسوعة علمية ثقافية تحبل بالبحوث الجادة والمفيدة فى علم الاجتماع والبحوث الاجتماعية فى الوطن العربى ، والعلوم الاجتماعية والايديلوجية بين التوجه الرأسمالى والتوجه الاشتراكى ، والغزو اللغوى والثقافى الاستعمارى للمغرب العربى قبل الاستقلال ، والفصحى واللهجات ، ومن أجل كتابة التاريخ العربى ، وملاحظات نقدية حول علاقة اللغة بالثقافة والادب والتربية ، والتعريب والتونسة ومستقبل التعليم فى بلادنا ، واللغة الوطنية وتحديات الغزو الثقافى الاستعمارى للمغرب العربى ٠٠ وكل هذه عناوين رئيسية لكل ما جاء فى الكتاب من بحوث ودراسات وقد اردفها المؤلف بملحقين :

ملحق أ : بيان تاريخى من مثقفى المغرب حول سياسة التعليم والغزو اللغوى العربى ٠

ملحق ب : الوثيقة الصادرة عن ندوة أزمة التطور الحضارى فى الوطن الاستعمارى للمغرب العربى ٠

نشكر الدكتور **محمود عبد المولى** على النسخة التى وصلتنا **هدية منه لنا** ونرجو له التوفيق فى أعماله خدمة للثقافة العربية وفكرها **وحضارتها** .

● **ملصقات على جدار الذاكرة :**

صدر العدد 26 من « الأخلاء » يحمل لنا مجموعة من الشعر التونسى الحديث مرسومة بعنوان يوحى للقارىء (ببعدين متقابلين) :

ملصقات على جدار الذاكرة وهى المجموعة الشعرية الرابعة التى يصدرها الشاعر الشاب حميده الصولى وقد تميزت عن غيرها من المجموعات الشعرية الصادرة عن « الأخلاء » بكونها مخطوطة ذات حروف بارزة بنية اللون جميلة فهى تغري بالقراءة شكلا ومضمونا .

احتوت المجموعة على ثلاث مطولات هى على التوالى : **ملصقات على جدار الذاكرة ، أزهار الحلم ، معزوفة صامتة فى موائد أكل الشهواء ...**

وقد أهدى الشاعر حميده الصولى مجموعته هذه : « **الى قريتى .. حين تمسى ظلالها** مفتونة **بالتحول** » لنستمع الى هذا العزف الحاد على الذاكرة العربية :

وأصحب ذاكرتى لزمان الأعاصير .. فالراكعون على الصمت مرضى..
وأقرأ سفر الحوانيت .. ألقاك تكتب رفضا
وتعزف فى السر للناس أن يرفضوا ..
وكنت على قاب قوسين من دك حصن الشقاوة تحمل للناس بشرى
لو استيقظوا
وكنت المحمل بالحب فى الأغنيات ..
وتصرخ فى الناس أن يركضوا

قصائد هذه المجموعة مثقلة بالأجنة الذهنية شأن أشعار حميدة الصولى التى لا تخلو أية قصيدة منها ولو كانت عاطفية ــ وهى قليلة عنده ــ من التدخل الذهنى عن طريق الكلمة المتجذرة فى البعد الزمانى مقابل انغراسها فى القرب المكانى :

فـ « زمان الأعاصير .. وسفر الحوانيت .. وعلى قاب قوسين من دك حصن الشقاوة » كل هذه الكلمات المركبة تركيبا ذهنيا تجعلنا لا نتوقف فى التعامل معها فى حدود الاستعمال المنهوك بالرغم من أن الزمان. والركوع. والحوانيت. وقاب قوسين. والحصون. والبشرى كلها كلمات ضرستها الاقلام الا أن جدتها

تبدو فى ذلك التدخل الذهنى للتركيبة الشعرية لتجعل منها عالما آخر ذا مدلولات حضارية للتجمع فى الحاضر يعود بالماضى اليه كاضاءة ويجذب المستقبل له كتوهج واع .

فهذه العلاقة التقابلية بين المدلول الحضارى للزمن مجيئا من الماضى واجتذابا للمستقبل لتأسيس مركز للثقل فى الحاضر يبين ما أشرت اليه ـ من قبل ـ من أن عنوان المجموعة نفسه يحمل فى طياته (تقابلية الأبعاد) باعتبار أن **الملصقات** لم تكن على الذاكرة بل هى على (**جدار**) الذاكرة .. فلو أنه قال : ملصقات على الذاكرة فان تقابل الأبعاد ينتفى .. ولوجود كلمة (جدار) تأكد لى ذلك التقابل البعدي ليضع التجمعات فى مركز الثقل وهو الحاضر ..

فالزمن عند حميده الصولى ببعديه الماضى والمستقبلى مستخدم لا لذاته بل لمضمونه فى التاريخ بالنسبة للماضى ، ولمضمونه فى توهج الشاعر ذهنيا بالنسبة للمستقبل .

فالماضى له مضمون عند الشاعر وللمستقبل مضمونه فى ذهن الشاعر كرؤية وكلا المضمونين (التاريخ والرؤية) متفاعلان أو يجعلهما الشاعر يتفاعلان (كميائيا) لصنع كينونة الحاضر .. ومن هنا يكون ما يكتبه حميده الصولى شعرا باعتبار ذلك النتاج الرؤيوي لا كحلم يستحيل تحقيقه بل كمتوقع نستطيع أن نحلم به لنصنع الحاضر .. كمؤسسة لطموحات الانسان العربى الرافض لتمحل الحال .

فشعر حميده الصولى فى هذه المجموعة (خاصة) مثقل بالأجنة الذهنية كعمل تعبيرى لا يتورع عن الادانة الصريحة وحيثيات الادانة يستوردها **تاريخيا** ويتصورها كـ (**رؤية مستقبلية**) ويعتبر أن (التجربة) لميلاد الأجنة تلك هى العامل الوحيد ليأتي المولود حيا برغم الموت .. وهنا تتضح قولته الأم:

جـرب .. فالـذى لا يستطيـع المـوت ...
لا يـدري متـى يولـد !

وقد نلتقى فى « قراءتنا السريعة » هذه مع الاستاذ رياض المرزوقى الذى يعلن فى قراءته المدخلية أنه « على الرغم من بعض المصادمات اللفظية وبعض ما قد لا نتفق فيه مع الصولى من صور ، أو توظيف لأفكار ، **فالمجموعة تترجم بصدق آلام قلب عربى يريد أن يقهر الموت ، وأن يعيش** » .

الامضاء : **الصادق شرف**

بريد القراء

في ذكرى يوم الأرض

تحية لام سهيل

شعر : عبد الله البلطي

إذا رقت تواشيح المصابيح
وحن الصوت للأرض
وهفت للرياحين المواويل
اضاء الطفل للعيد
وعيد الأرض ترتيم
له تشدو النواقيس
وفي الأقصى أغاريد
تآخيها الحساسين
وأطفال المساجين
ليوم العيد أغنية
ليوم العيد أضحية
ليوم العيد أشرعة
وإبحار العناقيد
فيا أما لهذا الطفل إن ضاعت مآقيه
وإن شاخت نواميس الحيا بين [!] ...
مآسيه
وإن مات [!] ...
بلا أرض
ولا أطيار تبكيه
خذي من عمر تيه العشق آهات
ومن أيام سبي النحل عادات
وترحالا تحاكيه الى ربي

أصداء الفكر

● الكلمة الختامية لاشغال المجلس الاعلى للثقافة :

ارتجل الاستاذ البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية لدى اشرافه على اختتام أشغال المجلس الاعلى للثقافة يوم السبت 29 جانفي 1983 كلمة هـذا نصها :

أيها السيدات والسادة ، بعد هذا العمل البناء ، يمكن لنا أن نختم أشغال المجلس الذى تطرق الى درس العديد من المشاكل والمواضيع المختلفة فانا لا أريد أن استأثر بالكلام لان التقرير العام قد أتى على كل ما يمكن أن نعده سياسة ثقافية فبعد ما قام به هذا الجمع الغفير الملتئم وبعد هذا التقرير العام وبعد هذه الاجراءات التى هي في واقع الامر منبثقة عن تقارير اللجان المفصلة والمجزاة التى ضبطت الاجراءات العملية لكل قطاع لا يمكن لقائل ان يقول بانه ليست لنا سياسة ثقافية كما تطالعنا به بعض الصحف او نستمع اليـه فى بعض الندوات فنحن بهذا العمل الجدى الثرى يمكن لنا ان نؤكد على وجود سياسة ثقافية واضحة المعالم وان ندلل على وجود خطة ثقافية مضبوطة اهتمت بكـل القطاعات الثقافية وحددت معالمها .

واذا كانت سياستنا الثقافية منذ الاستقلال تخضع لمبادىء عامة نحن بصدد مواصلتها فاننا فى الواقع أردنا أن نخرج بالعمل الثقافى من الوضع الذى كان عليه طيلة سنوات وأن نكسبه صبغة قانونية أكثر عمقا وشمولا بفضل النصوص التشريعية والقوانين التى ساهمت فى اعطاء دفع جديد لعديد القطاعات الثقافية بالبلاد . ولا يسعنى هنا وانا اذكر هذه التشريعات الا ان اشكر المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة الذى ساند ودعم العمل الثقافى منذ الاشهر الاولى من الاستقلال والذى ما انفك يولى عطفا خاصا لرجال الثقافة واهتماما كبيرا بقطاع الثقافة بتونس ـ اذ أنه فى المدة الاخيرة قد امضى تقريبا كل أسبوع أو يكاد نصا قانونيا يتعلق بتنظيم ميدان من ميادين الثقافة.غير أنه ما فتىء يؤكد على ضرورة أخذ المعطيات الحقيقية والواقعية بعين الاعتبار ويحض على البحث عن

التمويلات حتى يتسنى لوزارة الثقافة تطبيق ما اتفق عليه الجميع مسؤولون ومواطنون .

أما الملاحظة الثانية التي أردت أن الفت نظركم اليها فهي تتعلق بالصندوق الذي سيمول جانبا هاما من العمل الثقافي ببلادنا ـ فهذا الصندوق الذي سيساهم فيه المواطن والمجموعات المحلية ستكون اعماله مرنة تتدخل بمقتضاها الوزارة عندما تقتضي الحاجة حتى يقع الوصول الى التوازن الذي نصبو اليه دائما ـ فلا يخفى عنكم ان وزارة الشؤون الثقافية قامت منذ سنوات بمجهودات كبيرة فيما يتعلق بالتجهيزات الاساسية الضرورية التي تمكن من تدعيم عملنا الثقافي ـ فنحن كثيرا ما نجد أنفسنا عاجزين لتسديد ما تتطلبه دور الثقافة والشعب من تجهيزات وانتاج فهذا الصندوق سيقضي دون شك على العجز المالي الذي طالما جابه بعض أعمالها ونشاطاتها وهو ما سيمكننا من اعطاء دفع للانتاج التونسي واني أريد بهذه المناسبة أن أتوجه بالشكر الى السيد محمد مزالي الوزير الاول الذي ما انفك يولي اهتماما خاصا بالثقافة ويعطيها ما تستحق من العناية . فقد كان حقا الحافز والمشجع الدائم للعمل الثقافي • كما اتوجه بالشكر الى كل الذين شاركوا في انجاح هذا العمل الهام من مثقفين ومهتمين بقطاع الثقافة ـ كما لا يسعنى هنا الا أن أنوه بالنتائج التي توصل اليها مكتب الدراسات وللمنحى الاقتصادي الذي أعطاه لعملنا الثقافي حيث أصبح من اليسير علينا اليوم تقييم حاجات المواطنين التونسيين من الغذاء العقلي الضروري . هذا ولا يمكن أن ننسى ما قامت به اطارات وزارة الشؤون الثقافية من عمل ونشاط مكننا من الوصول الى نتائج ملموسة •

وقبل ان اختم كلمتي هذه أريد ان اؤكد على ضرورة القيام بحملة اعلامية واسعة النطاق خاصة في الجهات حتى يتسنى للمثقفين ان يطلعوا على نتائج اعمالنا . كما انني اغتنم هذه الفرصة لالفت نظر الكثيرين من المواطنين والمثقفين الذين يعتقدون ان العمل الثقافي هو حكر على وزارة الشؤون الثقافية وحدها • فهذا اعتقاد خاطىء ، لان العمل الثقافي هو عمل تقوم به الوزارة بالاعتماد على بقية المصالح والمؤسسات والوزارات الاخرى •

كما أنني أريد ان اسوق كلمة في خصوص تطبيق قرارات المجلس وهي نقطة هامة من شأنها أن تمكننا من الخروج بها الى حيز التطبيق فلنا لجان استشارية قارة يجب أن تجتمع للخوض في هذه الاجراءات العملية ويسبقها عمل أولي تقوم به الادارة وتعرضه في صورته العملية على هذه اللجان •

أما فيما يتعلق ببعض الملاحظات العامة فاني الفت نظركم الى نقطة هامة وهى أننا فى تونس لنا سياسة ثقافية واحدة ومجلس واحد يسطر الثقافة ونحن نطبقها ـ فليست لنا سياسات ثقافية متعددة ولكن سياسة ثقافية واحدة اتفقنا على خطوطها العريضة ـ كما انني أريد أن أشير الى مسألة دفع الانتاج التونسي ودعمه وتوفيره وهى غايتنا الاولى والاساسية لكننا نعلم ان ذلك لا يمكن ان يكون بالاعتماد فقط على انتاجنا المحلي بل باحتكاكه بغيره من الانتاج الاجنبي وتطعيمه بأحسن ما يوجد خارج بلادنا ولدى شعوب العالم وسيعمل الصندوق على دعم التعاون الثقافي بين تونس وبعض الدول الشقيقة والصديقة لكي نتمكن بفضل ذلك من التغلب على النقص الحاصل وأخص بالذكر هنا ما توصلنا اليه من تبادل مثمر مع بعض الدول التى استعنا بها فى ميدان الموسيقى بفضل الاساتذة الذين أمدتنا بهم تلكم البلدان ـ وسنعمم فى المستقبل هذا النوع من التبادل وسنعمل على تكثيفه لصالح الانتاج التونسي كما وكيفا ـ وكما تعلمون ذلك قررنا ابتداء من نوفمبر 1983 اقامة أيام قرطاج للمسرح بالتناوب مع أيام قرطاج السينمائية .

هذا وستصبح وزارة الشؤون الثقافية ابتداء من السنة القادمة 1984 وبعد الاتفاق الحاصل بينها وبين الوزارة الاولى ووزارة الشؤون الخارجية بامكانها تعيين الملحقين الثقافيين بالسفارات التونسية بالخارج . كما أننا سنفتح عددا من المراكز الثقافية بالخارج لتعزيز وتدعيم الحضور الثقافي التونسي بالخارج وفي هذا المضمار قد شرعنا بعد فى فتح مفاوضات مع السلط الفرنسية لفتح مركز ثقافي بباريس يكون مقره المبنى الذى وقع فيه المعرض العالمي الذى انعقد سنة 1834 بهذه المدينة الفرنسية وكلنا عزم على الاسراع بفتح هذا المركز فى أقرب الآجال . هذه اذن حوصلة لما نعتزم القيام به فى المستقبل ولذا يجب أن لا نضيع فى الجزئيات او نسخر اكثر وقتنا فى الامور الهامشية بل كل ما نحن مطالبون به هو دعم الانتاج الثقافي التونسي ولكن شريطة ان يكون من الطراز الممتاز والابتعاد عن الابتذال ـ وهنا اريد ان اعرج على كلمة السيد محمد مزالى الذى أكد على أن الديمقراطية هى أولا وقبل كل شيء قانون وانضباط ونحن لا نسعى أبدا الى ضرب الثقافة واحباط العزائم وتكبيل الخلاقين والمبدعين بل كل ما نرمي اليه من وراء هيكلة القطاع الثقافي هو اعطاء كل مبدع وكل خلاق الاطار الضروري الذى يمكنه من العمل فى راحة بال مطلقة واطمئنان على انتاجه ومصيره ـ فالثقافة ايها السيدات والسادة هى عمل موجه ونبذ للعقلية النحلية والفوضوية ـ والثقافة ليست مطية تتخذ من طرف

الفاشلين للوصول لغايات مشبوه فيها ـ الثقافة هي حوار متواصل ومستمر بناء من أجل انسانية آمنة مطمئنة متآلفة متعاونة ٠

● **المدينة الادبية ورواية « عائشه » :**

نشرت جريدة «المدينة الادبية» التى تصدر بالسعودية فى عددها 5780 بتاريخ 1983/1/19 ٠٠ دراسة بقلم الصديق الصحفى محمد بن رجب عن رواية «عائشة» التى صدرت أخيرا للاستاذ البشير بن سلامه رئيس تحرير مجلة الفكر ووزير الشؤون الثقافية بتونس ٠٠ وقد جاء فيها بالخصوص قوله :

«يعود بنا الاستاذ بن سلامة بروايته «عائشة» الى الاجواء التى عاشتها تونس فى المنتصف الاول من هذا القرن الميلادى ٠٠ قرن ملء بالمتناقضات الاجتماعية والسياسية فقد كانت البلاد تحت الهيمنة الاستعمارية الفرنسية من جهة ، وتحت وطأة الحكام ـ البيايات وهم من بقايا الدولة العثمانية باعتبار البلاد كانت الى حد دخول فرنسا ولاية من ولايات السلطان العثمانى ٠٠»

ويمضى السيد محمد بن رجب فى تحليله للرواية متعمقا فى إثارة المتناقضات التى كانت تحبل الساحة الاجتماعية بها فى الفترة التى تعرضت لها الرواية بالنقد والتمحيص وتعرية الخلفيات التى تكمن وراء ممارسات بعض الشرائح الاجتماعية باتجاه الدعم الذى كان يلقاه الاستعمار الفرنسى من طرف المشبوه فيهم حين يقول :

وبطريقة غير مباشرة اظهر لنا الكاتب ان الطبقة الثرية القريبة من فرنسا والباى لم تلعب دورا فى مقاومة الاستعمار ٠٠ ولم يكن لها اى تأثير على الحركة القومية وان كان لها تأثير فهو سلبى ويمكن ان نلاحظ ذلك من خلال تجربة الطاهر الذى كاد ينزلق فى خزعبلات هذه الطبقة ويصبح مثلها ٠٠ وحتى بعد ذلك لم نشعر بان الطاهر فعال فى النضال ضد المستعمر وهذا دليل على اهتزاز شخصيته التى تأثرت بالطبقة العالية وكان يمكن ان يصبح رجل نضال ومقاومة.. فقد رأينا فى بداية الرواية ان الطاهر كان يحقد على مدير المدرسة لا لشىء الا لانه فرنسى اى انه يمثل الاستعمار فى ابشع مظاهره ٠٠ الا وهو مظهر الاستعمار الثقافى الذى يسيطر على الاذهان ويجعل الناس يتقبلون الاستعمار عن طواعية ٠٠

ان الطاهر ضحية التجربة التى قضاها فى القصر فحطمته وجعلته مهزوز الشخصية ضعيف الارادة ٠٠ لا يمكنه ان يسيطر على شىء سوى السيطرة على النساء ٠٠

● ملامح الثقافة التونسية بالخارج :

انتظم يوم الجمعة 1983/1/21 فى المركز الجامعى للبحر الابيض المتوسط فى نيس الذى يوجد فيه كرسى بورقيبة حفل قلد خلاله السيد الهادى المبروك سفير تونس بباريس باسم المجاهد الاكبر اربعة جامعيين من نيس بوسام الجمهورية .

وفى نطاق التظاهرات الثقافية الخاصة بكرسى بورقيبة بجامعة نيس الفرنسية القى السيد احمد عبد السلام الاستاذ بكلية الاداب والعلوم الانسانية بالجامعة التونسية محاضرة بعنوان ملامح عن الثقافة التونسية .

وبعد ان تحدث السيد احمد عبد السلام عن الثقافة التونسية فى اطارها التاريخى والجغرافى اكد بالخصوص على طابعها المتوسطى والعربى الاسلامى .

كما تعرض الى مختلف جوانبها التى تعكس ازدهار الثقافة التونسية من خلال الفنون والهندسة والادب والشعر وغيرها .

وابرز المحاضر بالخصوص ما قام به الرئيس الحبيب بورقيبة من اعمال لفائدة الثقافة مشيرا الى ان تونس اليوم بقيادة رئيس الدولة قد تشبعت بماضيها وهى تعمل بروية من اجل انشاء مستقبل ثقافى يشجع على الخلق ويساهم فى ازدهار الثقافة واثرائها .

● ندوة هامة فى الحمامات حول المرأة والبحث العلمى :

ضمن نشاطاته لهذا الموسم نظم المركز الدولى بالحمامات يومى 26 و 27 فيفرى 1983 ندوة حول المرأة والبحث العلمى .

تشتمل هذه الندوة على ثلاثة محاور ويتعلق المحور الاول بواقع البحث العلمى الخاص بوضعية المرأة فى تونس ويتفرع هذا المحور بدوره الى ثلاثة عناصر :

أ ـ تقييم كمى ونظرى .

ب ـ الاتجاهات الكبرى فى مختلف الميادين (الاقتصاد والاجتماع ـ مادة القانون والعلوم السياسية ـ علم النفس) .

ج ـ حصر المراجع فى مختلف الميادين .

اما المحور الثانى فهو علاقة المراة بالبحث والكتابة والمشاكل التى تتعرض اليها فى مختلف المستويات :

ـ مستوى نظرى

ـ مستوى منهجى

ـ مستوى اجتماعى .

وكان المحور الثالث خاصا بالتصورات المستقبلية للبحث النسائى فى بلادنا وهو يشتمل على :

ـ اقتراحات لتشجيع البحث العلمى .

ـ تشجيع البحوث الجماعية المتعددة الاختصاص .

ـ دفع هيكل اولى تمهيدا لانشاء مركز بحوث وتوثيق نسائى .

وقد شاركت فى هذا اللقاء وجوه نسائية عديدة من النخبة المثقفة ببلادنا .

● **مؤتمر التعريب ينعقد فى الاردن :**

تحتضن الاردن فى السنة المقبلة المؤتمر الخامس للتعريب ، ومن المقرر ان يتدارس المؤتمرون مصطلحات فى مواد التعليم العالى الجامعى ضمن مشاريع المعاجم التالية :

ـ مشروع معجم التربية .

ـ مشروع معجم مصطلحات الوسائل السمعية البصرية .

ـ مشروع معجم علم الاجتماع والانتربلوجيا .

ـ مشروع معجم الالعاب الرياضية .

ـ مشروع معجم اللسانيات فى التعليم العالى .

ـ مشروع معجم الكيمياء .

ـ مشروع معجم الفيزياء النووية .

ـ مشروع معجم الفيزياء العامة .

ـ مشروع معجم النبات .

ـ مشروع معجم الفنون .

● **مهرجان سعيد أبي بكر بالمكنين :**

انتظم بالمكنين يومي 29 و30 جانفي 1983 المهرجان الثالث للشاعر سعيد أبي بكر الذي مرت حاليا على وفاته خمس وثلاثون سنة ، وذلك تحت اشراف المندوبية الثقافية الجهوية بالمنستير وبحضور السيد عبد العزيز بن ضياء وزير التعليم العالي والبحث العلمي ..

وقد شمل المهرجان عدة مسابقات فكرية ورياضية وثقافية شبابية كما انتظمت أمسية أدبية بمناسبة هذه الذكرى ، حيث قام كل من الاساتذة الحبيب شيبوب وعبد الرحمان الكبلوطي والحبيب الشاوش والاخت رنجة الدباش بتقديم دراسات عن شخصية الشاعر ومختلف أطوار حياته وعن القضايا التي تناولها في شعره مبرزين بالخصوص الجانب الوطني والاجتماعي ومكانة المرأة فيه .

كما قام كل من الشعراء محمد الشعبوني وعبد الرحمان الكبلوطي وكمال قداوين وعبد الله الزناد بالقاء قصائد متعلقة بحياة الشاعر ودوره النضالي من أجل تحرير الوطن واصلاح المجتمع والدفاع عن حرية المرأة وكرامتها وحقوق الانسان بصفة عامة .

وقد اختتم المهرجان بتوزيع جوائز على الفائزين في المسابقات وبعرض مسرحية «الشابي» لفرقة مسرح الجنوب بقفصة .

● **النجوم في «ديرب نجم» المصرية :**

العدد الثالث جانفي 83 من المجلة الادبية التي يصدرها شباب «ديرب نجم» وصلنا مع كلمة من رئيس التحرير الصديق مجدي محمود جعفر جاء فيها : «هذه هي مجلة النجوم ، ترسل اليكم عددها الثالث .. راجين أن يجد منكم اهتماما .. كما رأينا في مجلتكم الغراء «الفكر» فالفناها تحتضن المجلات الوليدة .. وتوليها عطفها .. وهذا أملنا .. وشكرا ..»

ونحن اذ نبارك جهود شباب «ديرب النجم» وهذه الحركية المتواصلة باتجاه الصحو الادبي .. والعطاء الفكري الذي يصنع الاضافة .. تؤكد ان دور «الفكر» كان وسيظل احتضان كل البراعم الادبية التي تحمل على ورقاتها تأشيرات الحضور على ساحة الادب العربي .

شكرا للنجوم على النسخة التي وصلتنا منها وتمنياتنا لها باطراد الصدور والنجاح .

● التنشيط الثقافي في المناطق العمالية :

انبثقت عن اللجنة الثقافية المحلية بالمتلوى لجنة خاصة باعداد برامج ومتطلبات سنة 1983 لعرضها على الاوساط المعنية قصد المساهمة في توفير الامكانات اللازمة لانجاح النشاط الذى سيعود بالفائدة على المتساكنين على مختلف اعمارهم ومستوياتهم التعليمية والاجتماعية والثقافية .

وبعد دراسة متطلبات التنشيط الثقافي اتفقت اللجنة على ان تكون البرمجة شاملة ومتنوعة بمحتوياتها التى ستقدمها الى الشبان والعملة والتلاميذ والمتساكنين بما يكفل لهم تكوينا وترفيها يبعدهم عن عناء الفراغ الفكرى والاستلاب الايديلوجي والتهور الاخلاقي ورتابة الحياة .

وايمانا بما للثقافة من اهمية بالغة في حياة الافراد والمجموعات حيث تربطهم بواقعهم الحضارى والوطنى والاجتماعى وتجعلهم اكثر تمسكا بشخصيتهم وانتسابهم الى شعبهم ووطنهم وتزيدهم تفتحا على الحضارات الخارجية المتطورة لجاراتها ومنافستها في شتى ميادين الحياة والعمل ٠

واقتناعا بان العمل الثقافي جزء لا يتجزأ من المسيرة الانمائية للبلاد في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية ٠

واعتبارا لما لها من دور بارز في حماية الانسان من كل ما من شانه ان يؤدى به الى الانحلال الخلقي واللامبالاة بالدور الذى يجب ان يؤديه لخدمة المخططات الهادفة الى الرقي والازدهار بالبلاد ٠

وقع الاتفاق على تنظيم ندوة ثقافية تحت شعار التنشيط الثقافي في المناطق العمالية واشرف السيد مدير الشؤون الاجتماعية بشركة فسفاط قفصة بالمتلوى بمعية السيد المندوب الجهوى للثقافة بقفصة على جلسة يوم الاثنين 7 فيفرى 1983 على الساعة الثالثة من بعد الزوال ٠

واشتمل مشروع البرمجة الذى تمت مناقشته في الندوة على مجموعة من البرامج والنشاطات المختلفة الموزعة على الميادين التالية : 1) المسرح 2) السنما 3) الموسيقى 4) الندوات : المحاضرات والمباريات الثقافية ٠ 5) التكوين الثقافي العام 6) التبادل الثقافي 7) المهرجانات ٠

● اجتماع حول التنشيط الثقافي القومي :

أشرف السيد البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية مساء يوم الاربعاء 1983/11/19 بمقر الوزارة على اجتماع حول التنشيط الثقافي القومى نصب خلاله الاستاذ محمد الطالبى رئيسا للجنة الثقافية القومية والسادة عمارة

السخيرى كاتبا عاما لها وصالح المهـدى مديرا عاما لادارة التنشيط الثقافى القومى وتوفيق بن عامر مديرا لهذه الادارة ٠

وحضر الاجتماع بالخصوص المندوبون الجهويون للشؤون الثقافية واعضاء اللجنة الثقافية القومية الجدد .

وبين السيد البشير بن سلامه فى الكلمة التى ألقاها بالمناسبة ان الاتجاه الذى اتخذته الدولة فى شأن التنشيط الثقافى يتمثل بالخصوص فى الفصـل بين اللجنـة الثقـافية القـومية وادارة التنشيط الثقـافى وضبط وتحديـد مسؤولية كل منهما وابرز فى هذا السياق ان اللجنة الثقافية القومية مدعـوة الى اعداد برنامج سنوى للنشاط الثقافى والفنى بالتعاون مع ادارة التنشيط الثقافى والى تنظيم الملتقيات الدولية والقومية والاشراف عليها وكـذلك على التظاهرات الثقافية الجهوية والمحلية بالاضافة الى مساعدة الجمعيات والنوادى المختصة فى هذا الميدان والسعى الى توطيد العلاقات مع الخارج .

● **الايام الشعرية بدار الثقافة ابن خلدون :**

التأمت بدار الثقافة ابن خلدون بالعاصمة الايـام الشعرية التى تواصلت من يوم 11 جانفى الى موفى يوم 22 من نفس الشهر . وقد شهدت هذه الايـام أكبر تجمع شعرى فى تاريخ الحركة الشعرية الجديـدة فى تـونس من حيث عدد الشعراء المشاركين على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم الفكرية والسياسية كذلك سجلت هذه الايام حضورا مكثفا للجمهور الـذى واكب الجلسـات الى ساعة متأخرة من الليل ٠ وكما برزت بعض الاصوات الشعرية الشابة التى بدأت تدق على بوابات الثمانينات بارهاصات ابداعية تبشر بكل خير برزت كذلك بعض المواهب النقدية التى يجب ان يفسح لها المجال لتؤكد حضورها الدائم من أجل خلق حركة نقدية نشيطة تواكب وترصد الابداعات ٠

وقد واكب عدد من الشعراء الفلسطينيين هـذه التظاهـرة نذكـر منهـم بالخصوص : يوسف غانم والهادى دانيال وحاتم آدم وقرأوا بعض أشعارهم .

● **نادى الادب والمجلة بـ « لمطة » :**

دار الثقافة «على بوسريح» بلمطة بها عدة نواد للنشاطات الفكرية والعلمية والفنية منها «نادى الادب والمجلة» الذى أصدر أخيرا العدد السابـع لشهـر فيفرى 1983 من النشرية التى تحمل اسم « لبتيس » وقد جاء العدد يحمل عدة عناوين منها : لمطة عبر التاريخ بقلم : المازرى بوسريح ، محاضرة الاستـاذ أحمد قرفال حول المولد النبوى الشريف ، وقد وقع افتتاح النشرية برسالة

شكر على الجهود التى بذلها «نادى الادب» من أجل بروز مجلة «لبتيس» الى حيز الوجود • وقد صدرت هذه الرسالة عن الكاتب العام للجنة التنسيق الحزبى بالمنستير السيد المنصف الهرڤلى •

ونحن بدورنا نشكر الصديق المنصف الهرڤلى على تشجيعه لهذه البراعم الادبية متوجهين لها بكلمة دعم وتشجيع آملين أن تتواصل هذه المسيرة المباركة باتجاه النضج والجدوى •

● **الايام القصصية بدار الثقافة ابن خلدون :**

على امتداد المساحة الزمنية الواصلة بين 8 و 19 فيفرى 1983 انتظمت تظاهرة ثقافية هامة وسمت بعنوان «الايام القصصية» وقد شارك في هذه الايام العديد من القصاصين التونسيين نذكر منهم على سبيل المثال: عمر بن سالم، يوسف عبد العاطى ـ مصطفى الفارسى ـ الصادق شرف ـ نعيمة الصيد ، حسونة المصباحى ، على عزيزى ، بنت البحر ، نجاة بوثره ، حياة الوسلاتى ، سمير العيادى ، عز الدين المدنى ، محمود عبد المولى ، يوسف رزوقه ، وغيرهم •

والظاهرة التى اتسمت بها الايام القصصية وكذلك الايام الشعرية أن النقد كان عبارة عن «ارتسا..مات» تتسم حينا بالاحكام الايديلوجية وأحيانا بالاحكام الانشائية المرتجلة . الا أن ذلك لم يمنع من ظهور بعض الاتجاهات الابداعية فى القصة والنقد الجادة والهادفة .

كما ظهرت خلال النقاش موجات من العنف الثنائى حينا واحيانا يكون العنف الزمراتى الكتلى • الا أن ذلك رغم ما فيه من سلبيات فقد ترك للحاضرين الفرصة لاكتشاف بعض الخلفيات التى كانت متسترة وراء التمذهبات والنحل والحاجات الشخصية ووقوف الجمهور الحاضر منها موقف الناقد الواعى ورفضها باعتبارها تهمش الايام القصصية والهدف الذى من أجله انتظمت تلك الايام • وان كنت أفضل أن تسمى : «الليالى القصصية» باعتبار أننا نقبل عليها من مستهل الليل الذى قد يمضى بنا الى منتصفه خارج الدار فى النقاش ان لم يسمح لنا داخلها بالبقاء الى وقت يتجاوز الحد الزمنى لاحتضانها الرواد .

وخلاصة القول : إنها تظاهرات جد مفيدة باعتبارها ستكون نواة لنشأة جيل الحوار القصصى الذى سيصنع الاضافة الجادة للقصة العربية فى تونس •